(٥٦) سورة الواقعة مكية وآياتها ست وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ﴿ إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة ﴾

أما تعلق هذه السورة بما قبلها ، فذلك من وجوه (أحدها) أن تلك السورة مشتملة على تعديد النعم على الإنسان ومطالبته بالشكر ومنعه عن التكذيب كما مر ، وهذه السورة مشتملة على ذكر الجزاء بالخير لمن شكر وبالشر لمن كذب وكفر (ثانيها) أن تلك السورة متضمنة للتنبيهات بذكر الآلاء فى حق العباد ، وهذه السورة كذلك لذكر الجزاء فى حقهم يوم التناد (ثالثها) أن تلك السورة سورة إظهار الرحمة وهذه السورة سورة إظهار الهيبة على عكس تلك السورة مع ما قبلها ، وأما تعلق الأول بالآخر ففى آخر تلك السورة إشارة إلى الصفات من باب النفى والإثبات ، وفى أول هذه السورة إلى القيامة وإلى ما فيها من المثوبات والعقوبات ، وكل واحد منهما يدل على علو اسمه وعظمة شأنه ، وكمال قدرته وعز سلطانه . ثم فى الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى تفسيرها جملة وجوه (أحدها) المراد إذا وقعت القيامة الواقعة أو الزلزلة الواقعة يعترف بها كل أحد ، ولا يتمكن أحد من إنكارها ، ويبطل عناد المعاندين فتخفض الكافرين فى دركات النار ، وترفع المؤمنين فى درجات الجنة ، هؤلاء فى الجحيم وهؤلاء فى النعيم (الثانى) (إذا وقعت الواقعة) تزلزل الناس ، فتخفض المرتفع ، وترفع المنخفض ، وعلى هذا فهى كقوله تعالى (فجعلنا عاليها سافلها) فى الإشارة إلى شدة الواقعة ، لأن العذاب الذى جعل العالى سافلا بالهدم ، والسافل عالياً حتى صارت الأرض المنخفضة كالجبال الراسية ، والجبال الراسية كالأرض المنخفضة أشد وأبلغ ، فصارت البروج العالية مع الأرض متساوية ، والواقعة التى تقع ترفع المنخفضة فتجعل من الأرض أجزاء عالية . ومن السماء أجزاء سافلة ، ويدل عليه قوله تعالى (إذا رجت الأرض رجاً) ، (وبست الجبال بساً) فإنه إشارة إلى أن الأرض تتحرك بحركة مزعجة ، والجبال تتفتت ، فتصير الأرض المنخفضة كالجبال الراسية ، والجبال الشامخة كالأرض السافلة ، كما يفعل هبوب الريح فى الأرض المرملة (الثالث) (إذا وقعت الواقعة) يظهر وقوعها

لكل أحد ، وكيفية وقوعها ، فلا يوجد لها كاذبة ولا متأول يظهر فقوله (خافضة رافعة) معطوف على كاذبة نسقاً ، فيكون كما يقول القائل : ليس لى فى الأمر شك ولا خطأ ، أى لا قدرة لأحد على رفع المنخفض ولا خفض المرتفع .

﴿ المسألة الثانية ﴾ (إذا وقعت الواقعة) يحتمل أن تكون الواقعة صفة لمحذوف وهى القيامة أو الزلزلة على ما بينا ، ويحتمل أن يكون المحذوف شيئاً غير معين ، وتكون تاء التأنيث مشيرة إلى شدة الأمر الواقع وهوله ، كما يقال كانت الكائنة والمراد كان الأمر كائناً ما كان ، وقولنا الأمر كائن لا يفيد إلا حدوث أمر ولو كان يسيراً بالنسبة إلى قوله كانت الكائنة ، إذ فى الكائنة وصف زائد على نفس كونه شيئاً ، ولنبين هذا ببيان كون الهاء للمبالغة فى قولهم : فلان راوية ونسابة ، وهو أنهم إذا أرادوا أن يأتوا بالمبالغة فى كونه راوياً كان لهم أن يأتوا بوصف بعد الخبر ويقولون فلان راو جيد أو حسن أو فاضل ، فعدلوا عن التطويل إلى الإيجاز مع زيارة فائدة ، فقالوا نأتى بحرف نيابة عن كلمة كما أتينا بهاء التأنيث حيث قلنا ظالمة بدل قول القائل : ظالم أنثى ، ولهذا لزمهم بيان الأنثى عند مالا يمكن بيانها بالهاء فى قولهم شاة أنثى وكالكتابة فى الجمع حيث قلنا قالوا بدلا عن قول القائل : قال وقال وقال ، وقالا بدلا عن قوله قال وقال فكذلك فى المبالغة أرادوا أن يأتوا بحرف يغنى عن كلمة والحرف الدال على الزيادة ينبغى أن يكون فى الآخر ، لأن الزيادة بعد أصل الشىء ، فوضعوا الهاء عند عدم كونها للتأنيث والتوحيد فى اللفظ المفرد لافى الجمع للمبالغة إذا ثبت هذا فنقول فى كانت الكائنة ووقعت الواقعة حصل هذا معنى لا لفظاً ، أما معنى فلأنهم قصدوا بقولهم كانت الكائنة أن الكائن زائد على أصل ما يكون ، وأما لفظاً فلأن الهاء لو كانت للمبالغة لما جاز إثبات ضمير المؤنث فى الفعل ، بل كان ينبغى أن يقولوا كان الكائنة ووقع الواقعة ، ولا يمكن ذلك لأنا نقول المراد به المبالغة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ العامل فى إذا ماذا ؟ نقول فيه ثلاثة أوجه (أحدها) فعل متقدم يجعل إذاً مفعولا به لا ظرفاً وهو اذكر ، كأنه قال اذكر القيامة (ثانيها) العامل فيها ليس لوقعتها كاذبة كما تقول يوم الجمعة ليس لى شغل (ثالثها) يخفض قوم ويرفع قوم ، وقد دل عليه خافضة رافعة ، وقيل العامل فيها قوله (وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) أى فى يوم وقوع الواقعة .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ليس لوقعتها إشارة إلى أنها تقع دفعة واحدة فالوقعة للمرة الواحدة ، وقوله (كاذبة) يحتمل وجوهاً (أحدها) كاذبة صفة لمحذوف أقيمت مقامه تقديره ليس لها نفس تكذب (ثانيها) الهاء للمبالغة كما تقول فى الواقعة وقد تقدم بيانه (ثالثها) هى مصدر كالعاقبة فإن قلنا بالوجه الأول فاللام تحتمل وجهين (أحدهما) أن تكون للتعليل أى لا تكذب نفس . فى ذلك اليوم لشدة وقعتها كما يقال لا كاذب عند الملك لضبطه الأمور فيكون نفياً عاماً بمعنى أن كل أحد يصدقه فيما يقول وقال وقبله نفوس كواذب فى أمور كثيرة ولا كاذب فيقول :

إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾

لا قيامة لشدة وقعتها وظهور الأمر وكما يقال لايحتمل الأمر الإنكار لظهوره لكل أحد فيكون نفياً خاصاً بمعنى لا يكذب أحد فيقول لاقيامة وقبله نفوس قائلة به كاذبة فيه (ثانيهما) أن تكون للتعدية وذلك كما يقال ليس لزيد ضارب ، وحينئذ تقديره إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها امرؤ يوجد لها كاذب إن أخبر عنها فهي خافضة رافعة تخفض قوماً وترفع قوماً وعلى هذا لا تكون عاملا فى إذا وهو بمعنى ليس لها كاذب يقول هى أمر سهل يطاق يقال لمن يقدم على أمر عظيم ظاناً أنه يطيقه سل نفسك أى سهلت الأمر عليك وليس بسهل ، وإن قلنا بالوجه الثانى وهو المبالغة ففيه وجهان (أحدهما) ليس لها كاذب عظيم بمعنى أن من يكذب ويقدم على الكذب العظيم لا يمكنه أن يكذب لهول ذلك اليوم (وثانيهما) أن أحداً لو كذب وقال فى ذلك اليوم لاقيامة ولا واقعة لكان كاذباً عظيما ولا كاذب لهذه العظمة فى ذلك اليوم والأول أدل على هول اليوم ، وعلى الوجه الثالث يعود ما ذكرنا إلى أنه لا كاذب فى ذلك اليوم بل كل أحد يصدقه .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ خافضة رافعة تقديره هى خافضة رافعة وقد سبق ذكره فى التفسير الجملى وفيه وجوه أخرى (أحدها) خافضة رافعة صفتان للنفس الكاذبة أى ليس لوقعتها من يكذب ولا من يغير الكلام فتخفض أمراً وترفع آخر فهى خافضة أو يكون هو زيادة لبيان صدق الخلق فى ذلك اليوم وعدم إمكان كذبهم والكاذب يغير الكلام ، ثم إذا أراد نفى الكذب عن نفسه يقول ماعرفت مما كان كلمة واحدة وربما يقول ماعرفت حرفاً واحداً ، وهذا لأن الكاذب قد يكذب فى حقيقة الأمر وربما يكذب فى صفة من صفاته والصفة قد يكون ملتفتاً إليها وقد لايكون ملتفتاً إليها التفاتاً معتبراً وقد لايكون ملتفتاً إليها أصلا (مثال الأول) قول القائل ماجاء زيد ويكون قد جاء (ومثال الثانى) ماجاء يوم الجمعة (ومثال الثالث) ماجاء بكرة يوم الجمعة ويكون قد جاء بكرة يوم الجمعة وماجاء أول بكرة يوم الجمعة والثانى دون الأول والرابع دون الكل ، فاذا قال القائل ما أعرف كلمة كاذبة نفى عنه الكذب فى الإخبار وفى صفته والذى يقول ما عرفت حرفاً واحداً نفى أمراً وراءه ، والذى يقول ما عرفت أعرافة واحدة يكون فوق ذلك فقوله (ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة) أى من يغير تغييراً ولو كان يسيراً .

ثم قال تعالى ﴿ إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثاً ﴾ أى كانت الأرض كثيباً مرتفعاً والجبال مهيلا منبسطاً ، وقوله تعالى (فكانت هباء منبثاً) كقوله تعالى فى وصف الجبال (كالعهن المنفوش) وقد تقدم بيان فائدة ذكر المصدر وهى أنه يفيد أن الفعل كان قولا معتبراً ولم يكن شيئاً لا يلتفت إليه ، ويقال فيه إنه ليس بشىء فإذا قال القائل ضربته ضرباً معتبراً لا يقول القائل فيه ليس بضرب محتقراً له كما يقال هذا ليس بشىء ، والعامل فى (إذا رجت)

وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾

يحتمل وجوهاً (أحدها) أن يكون إذا رجت بدلا عن إذا وقعت فيكون العامل فيها ما ذكرنا من قبل (ثانيها) أن يكون العامل فى (إذا وقعت) هو قوله (ليس لوقعتها) والعامل فى (إذا رجت) هو قوله (خافضة رافعة) تقديره تخفض الواقعة وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال والفاء للترتيب الزمانى لأن الأرض مالم تتحرك والجبال مالم تنبس لا تكون هباء منبثاً ، والبس التقليب ، والهباء هو الهواء المختلط بأجزاء أرضية تظهر فى خيال الشمس إذا وقع شعاعها فى كوة ، وقال الذين يقولون إن بين الحروف والمعانى مناسبة إن الهواء إذا خالطه أجزاء ثقيلة أرضية ثقل من لفظه حرف فأبدلت الواو الخفيفة بالباء التى لا ينطق بها إلا بإطباق الشفتين بقوة ما وفى الباء ثقل ما .

قوله تعالى : ﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ أى فى ذلك اليوم أنتم أزواج ثلاثة أصناف وفسرها بعدها بقوله (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ الفاء تدل على التفسير ، وبيان ماورد على التقسيم كأنه قال (أزواجاً ثلاثة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الخ ، ثم بين حال كل قوم ، فقال (ما أصحاب الميمنة) فترك التقسيم أولا واكتفى بما يدل عليه . فإنه ذكر الأقسام الثلاثة مع أحوالها ، وسبق قوله تعالى (وكنتم أزواجاً ثلاثة) يغنى عن تعديد الأقسام ، ثم أعاد كل واحدة لبيان حالها .

﴿ المسألة الثانية ﴾ (أصحاب الميمنة) هم أصحاب الجنة ، وتسميتهم بأصحاب الميمنة إما لكونهم من جملة من كتبهم بأيمانهم ، وإما لكون أيمانهم تستنير بنور من الله تعالى ، كما قال تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) وإما لكون اليمين يراد به الدليل على الخير ، والعرب تتفاءل بالسانح ، و[هو] الذى يقصد جانب اليمين من الطيور والوحوش عند الزجر والأصل فيه أمر حكمى ، وهو أنه تعالى لما خلق الخلق كان له فى كل شىء دليل على قدرته واختياره ، حتى أن فى نفس الإنسان له دلائل لا تعد ولا تحصى ، ودلائل الاختيار إثبات مختلفين فى محلين متشابهين ، أو إثبات متشابهين فى محلين مختلفين ، إذ حال الإنسان من أشد الأشياء مشابهة فانه مخلوق من متشابه ، ثم إنه تعالى أودع فى الجانب الأيمن من الإنسان قوة ليست فى الجانب الأيسر لو اجتمع أهل العلم على أن يذكروا له مرجحاً غير قدرة الله وإرادته لا يقدرون عليه . فإن كان بعضهم يدعى كياسة وذكاء يقول إن الكبد فى الجانب الأيمن ، وبها قوة التغذية ، والطحال فى الجانب الأيسر ، وليس فيه قوة ظاهرة

النفع فصار الجانب الأيمن قوياً لمكان الكبد على اليمين ؟ فنقول هذا دليل الاختيار لأن اليمين كالشمال ، وتخصيص الله اليمين بجعله مكان الكبد دليل الاختيار إذا ثبت أن الإنسان يمينه أقوى من شماله . فضلوا اليمين على الشمال ، وجعلوا الجانب الأيمن للأكابر ، وقيل لمن له مكانة هو من أصحاب اليمين ، ووضعوا له لفظاً على وزن العزيز ، فينبغي أن يكون الأمر على ذلك الوجه كالسميع والبصير ، وما لا يتغير كالطويل والقصير ، وقيل له اليمين ، وهو يدل على القوة ، ووضعوا مقابلته اليسار على الوزن الذى اختص به الإسم المذموم عند النداء بذلك الوزن ، وهو الفعال ، فإن عند الشتم والنداء بالإسم المذموم يؤتى بهذا الوزن مع البناء على الكسر ، فيقال ياجار يافساق ياخباث ، وقيل اليمين اليسار ، ثم بعد ذلك استعمل فى اليمين ، وأما الميمنة فهى مفعلة كأنه الموضع الذى فيه اليمين وكل ماوقع بيمين الإنسان فى جانب من المكان ، فذلك موضع اليمين فهو ميمنة كقولنا ملعبة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ جعل الله تعالى الخلق على ثلاثة أقسام دليل غلبة الرحمة ، وذلك لأن جوانب الإنسان أربعة ، يمينه وشماله ، وخلفه وقدامه ، واليمين فى مقابلة الشمال والخلف فى مقابلة القدام ثم إنه تعالى أشار بأصحاب اليمين إلى الناجين الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وهم من أصحاب الجانب الأشرف المكرمون ، وبأصحاب الشمال إلى الذين حالهم على خلاف أصحاب اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم مهانون وذكر السابقين الذين لا حساب عليهم ويسبقون الخلق من غير حساب بيمين أو شمال ، أن الذين يكونون فى المنزلة العليا من الجانب الأيمن ، وهم المقربون بين يدى الله يتكلمون فى حق الغير ويشفعون للغير ويقضون أشغال الناس وهؤلاء أعلى منزلة من أصحاب اليمين ، ثم إنه تعالى لم يقل فى مقابلتهم قوماً يكونون متخلفين مؤخرين عن أصحاب الشمال لا يلتفت إليهم لشدة الغضب عليهم وكانت القسمة فى العادة رباعية فصارت بسبب الفضل ثلاثية وهو كقوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) ولم يقل منهم متخلف عن الكل .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ما الحكمة فى الابتداء بأصحاب اليمين والانتقال إلى أصحاب الشمال ثم إلى السابقين مع أنه فى البيان بين حال السابقين ثم أصحاب الشمال على الترتيب (والجواب) أن نقول : ذكر الواقعة وما يكون عند وقوعها من الأمور الهائلة إنما يكون لمن لا يكون عنده من محبة الله تعالى ما يكفه مانعاً عن المعصية ، وأما الذين سرهم مشغول بربهم فلا يحزنون بالعذاب ، فلما ذكر تعالى (إذا وقعت الواقعة) وكان فيه من التخويف ما لا يخفى وكان التخويف بالذين يرغبون ويرهبون بالثواب والعقاب أولى ذكر ما ذكره لقطع العذر لا نفع الخبر ، وأما السابقون فهم غير محتاجين إلى ترغيب أو ترهيب فقدم سبحانه أصحاب اليمين الذين يسمعون ويرغبون ثم ذكر السابقين ليجتهد أصحاب اليمين ويقربوا من درجتهم وإن كان لا ينالها أحد إلا بجذب من الله فإن السابق يناله ما يناله بجذب ، وإليه الإشارة بقوله : جذبة من جذبات الرحمن خير من عبادة سبعين سنة .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ مامعنى قوله (ما أصحاب الميمنة) ؟ نقول هو ضرب من البلاغة وتقريره هو أن يشرع المتكلم فى بيان أمر ثم يسكت عن الكلام ويشير إلى أن السامع لايقدر على سماعه كما يقول القائل لغيره أخبرك بما جرى على ثم يقول هناك هو مجيباً لنفسه لاأخاف أن يحزنك وكما يقول القائل من يعرف فلاناً فيكون أبلغ من أن يصفه ، لأن السامع إذا سمع وصفه يقول هذا نهاية ماهو عليه ، فإذا قال من يعرف فلاناً يفرض السامع من نفسه شيئاً ، ثم يقول فلان عند هذا الخبر أعظم مما فرضته وأنبه مما علمت منه .

﴿ المسألة السادسة ﴾ ما إعرابه ومنه يعرف معناه ؟ نقول فأصحاب الميمنة مبتدأ أراد المتكلم أن يذكر خبره فرجع عن ذكره وتركه وقوله (ما أصحاب الميمنة) جملة استفهامية على معنى التعجب كما تقول لمدعى العلم ما معنى كذا مستفهماً ممتحناً زاعماً أنه لا يعرف الجواب حتى إنك تحب وتشتهى ألا يجيب عن سؤالك ولو أجاب لكرهته لأن كلامك مفهوم كأنك تقول إنك لا تعرف الجواب ، إذا عرفت هذا فكأن المتكلم فى أول الأمر مخبراً ثم لم يخبر بشىء لأن فى الأخبار تطويلا ثم لم يسكت وقال ذلك ممتحناً زاعماً أنك لا تعرف كنهه ، وذلك لأن من يشرع فى كلام ويذكر المبتدأ ثم يسكت عن الخبر قد يكون ذلك السكوت لحصول علمه بأن المخاطب قد علم الخبر من غير ذكر الخبر ، كما أن قائلا إذا أراد أن يخبر غيره بأن زيداً وصل ، وقال إن زيداً ثم قبل قوله جاء وقع بصره على زيد ورآه جالساً عنده يسكت ولا يقول جاء لخروج الكلام عن الفائدة وقد يسكت عن ذكر الخبر من أول الأمر لعلمه بأن المبتدأ وحده يكفى لمن قال من جاء فإنه إن قال زيد يكون جواباً وكثيراً ما نقول زيد ولا نقول جاء ، وقد يكون السكوت عن الخبر إشارة إلى طول القصة كقول القائل : الغضبان من زيد ويسكت ثم يقول : ماذا أقول عنه . إذا علم هذا فنقول لما قال (وأصحاب الميمنة) كان كأنه يريد أن يأتى بالخبر فسكت عنه ثم قال فى نفسه إن السكوت قد يوهم أنه لظهور حال الخبر كما يسكت على زيد فى جواب من جاء فقال (ما أصحاب الميمنة) ممتحناً زاعماً أنه لا يفهم ليكون ذلك دليلا على أن سكوته على المبتدأ لم يكن لظهور الأمر بل لخفائه وغرابته ، وهذا وجه بليغ ، وفيه وجه ظاهر وهو أن يقال معناه أنه جملة واحدة استفهامية كأنه قال : وأصحاب الميمنة ماهم على سبيل الاستفهام غير أنه أقام المظهر مقام المضمر وقال (أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) والإتيان بالمظهر إشارة إلى تعظيم أمرهم حيث ذكرهم ظاهراً مرتين وكذلك القول فى قوله تعالى (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) وكذلك فى قوله (الحاقة ما الحاقة) وفى قوله (القارعة ما القارعة) .

﴿ المسألة السابعة ﴾ ما الحكمة فى اختيار لفظ المشأمة فى مقابلة الميمنة ، مع أنه قال فى بيان أحوالهم (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) ؟ نقول اليمين وضع للجانب المعروف أولا ثم تفاءلوا به واستعملوا منه ألفاظاً فى مواضع وقالوا . هذا ميمون وقالوا أيمن به ووضعوا للجانب المقابل

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾

له اليسار من الشيء اليسير إشارة إلى ضعفه ، فصار فى مقابلة اليمين كيفما يدور فيقال فى مقابلة اليمنى اليسرى ، وفى مقابلة الأيمن الأيسر ، وفى مقابلة الميمنة الميسرة ، ولا تستعمل الشمال كما تستعمل اليمين ، فلا يقال الأشمل ولا المشملة ، وتستعمل المشأمة كما تستعمل الميمنة ، فلا يقال فى مقابلة اليمين لفظ من باب الشؤم ، وأما الشآم فليس فى مقابلة اليمين بل فى مقابلة يمان ، إذا علم هذا فنقول بعد ما قالوا باليمين لم يتركوه ، واقتصروا على استعمال لفظ اليمين فى الجانب المعروف من الآدمى ، ولفظ الشمال فى مقابلته وحدث لهم لفظان آخران فيه (أحدهما) الشمال وذلك لأنهم نظروا إلى الكواكب من السماء وجعلوا ممرها وجه الإنسان وجعلوا السماء جانبين وجعلوا أحدهما أقوى كما رأوا فى الإنسان ، فسموا الأقوى بالجنوب لقوة الجانب كما يقال غضوب وركوب ، ثم رأوا فى مقابلة الجنوب جانباً آخر شمل ذلك الجانب عمارة العالم فسموه شمالا (واللفظ الآخر) المشأمة والأشأم فى مقابلة الميمنة والأيمن ، وذلك لأنهم لما أخذوا من اليمين اليمن وغيره للتفاؤل وضعوا الشؤم فى مقابلته لافى أعضائهم وجوانبهم تكرهاً لجعل جانب من جوانب نفسه شؤماً ، ولما وضعوا ذلك واستمر الأمر عليه نقلوا اليمين من الجانب إلى غيره ، فالله تعالى ذكر الكفار بلفظين مختلفين فقال (أصحاب المشأمة ـ وأصحاب الشمال) وترك لفظ الميسرة واليسار الدال على هون الأمر ، فقال ههنا (أصحاب المشأمة) بأفظع الاسمين ، ولهذا قالوا فى العساكر الميمنة والميسرة اجتناباً من لفظ الشؤم .

قوله تعالى : ﴿ والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ﴾ وفيه مسائل :

﴿ **المسألة الأولى** ﴾ فى إعرابه ثلاثة أوجه (أحدها) والسابقون عطف على أصحاب الميمنة وعنده تم الكلام ، وقوله و (السابقون أولئك المقربون) جملة واحدة (والثانى) أن قوله (والسابقون السابقون) جملة واحدة كما يقول القائل : أنت أنت . وكما قال الشاعر :

أنا أبو النجم وشعرى شعرى

وفيه وجهان (أحدهما) أن يكون لشهرة أمر المبتدأ بما هو عليه فلا حاجة إلى الخبر عنه وهو مراد الشاعر وهو المشهور عند النحاة (والثانى) للاشارة إلى أن فى المبتدأ مالا يحيط العلم به ولا يخبر عنه ولا يعرف منه إلا نفس المبتدأ ، وهو كما يقول القائل لغيره أخبرنى عن حال الملك فيقول لاأعرف من الملك إلا أنه ملك فقوله (السابقون السابقون) أى لايمكن الإخبار عنهم إلا بنفسهم فإن حالهم وما هم عليه فوق أن يحيط به علم البشر (وههنا لطيفة) وهى أنه فى أصحاب الميمنة قال (ما أصحاب الميمنة) بالاستفهام وإن كان للاعجاز لكن جعلهم مورد الاستفهام وههنا لم يقل والسابقون ما السابقون ، لأن الاستفهام الذى للاعجاز يورد على مدعى العلم فيقال

فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

له إن كنت تعلم فبين الكلام وأما إذا كان يعترف بالجهل فلا يقال له كذبت ولا يقال كيف كذا ، وما الجواب عن ذلك ، فكذلك فى (والسابقون) ما جعلهم بحيث يدعون ، فيورد عليهم الاستفهام فيبين عجزهم بل بنى الأمر على أنهم معترفون فى الابتداء بالعجز ، وعلى هذا فقوله تعالى (والسابقون السابقون) كقول العالم لمن سأل عن مسألة معضلة وهو يعلم أنه لا يفهمها وإن كان أبانها غاية الإبانة أن الأمر فيها على ما هو عليه ولا يشتغل بالبيان (وثالثها) هو أن السابقون ثانياً تأكيد لقوله (والسابقون) والوجه الأوسط هو الأعدل الأصح ، وعلى الوجه الأسط قول آخر وهو أن المراد منه أن السابقين إلى الخيرات فى الدنيا هم السابقون إلى الجنة فى العقبى .

﴿ المسألة الثانية ﴾ (أولئك المقربون) يقتضى الحصر فينبغى أن لا يكون غيرهم مقرباً ، وقد قال فى حق الملائكة إنهم مقربون ، نقول (أولئك المقربون) من الأزواج الثلاثة ، فإن قيل (فأصحاب الميمنة) ليسوا من المقربين ، نقول للتقريب درجات والسابقون فى غاية القرب ، ولا حد هناك ، ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يقال المراد السابقون مقربون من الجنات حال كون أصحاب اليمين متوجهين إلى طريق الجنة لأنه بمقدار ما يحاسب المؤمن حساباً يسيراً ويؤتى كتابه بيمينه يكون السابقون قد قربوا من المنزل أو قربهم إلى الله فى الجنة وأصحاب اليمين بعد متوجهون إلى ما وصل إليه المقربون ، ثم إن السير والارتفاع لا ينقطع فان السير فى الله لا انقطاع له ، والارتفاع لا نهاية له ، فكلما تقرب أصحاب اليمين من درجة السابق ، يكون قد انتقل هو إلى موضع أعلى منه ، فأولئك هم المقربون فى جنات النعيم ، فى أعلى عليين حال وصول أصحاب اليمين إلى الحور العين .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ بعد بيان أقسام الأزواج لم يعد إلى بيان حالهم على ترتيب ذكرهم ، بل بين حال السابقين مع أنه أخرهم ، وأخر ذكر أصحاب الشمال مع أنه قدمهم أولا فى الذكر على السابقين ، نقول قد بينا أن عند ذكر الواقعة قدم من ينفعه ذكر الأهوال ، وأخر من لا يختلف حاله بالخوف والرجاء ، وأما عند البيان فذكر السابق لفضيلته وفضيلة حاله .

قوله تعالى : ﴿ فى جنات النعيم ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ عرف النعيم باللام ههنا وقال فى آخر السورة (فروح وريحان وجنة نعيم) بدون اللام ، والمذكور فى آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنة من هذه الجنات وهذه معرفة بالإضافة إلى المعرفة ، وتلك غير معرفة فما الفرق بينهما ؟ فنقول الفرق لفظى ومعنوى فاللفظى هو أن السابقين معرفون باللام المستغرقة لجنسهم ، فجعل موضع المعرفين معرفاً ، وأما هناك فهو غير معرف ، لأن قوله إن كان من المقربين أى إن كان فرداً منهم فجعل موضعه غير معرف

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾

مع جواز أن يكون الشخص معرفاً وموضعه غير معرف ، كما قال تعالى (إن المتقين فى جنات وعيون) (وإن المتقين فى جنات ونهر) وبالعكس أيضاً ، وأما المعنوى : فنقول عند ذكر الجمع جمع الجنات فى سائر المواضع . فقال تعالى (إن المتقين فى جنات) وقال تعالى (أولئك المقربون فى جنات) لكن السابقون نوع من المتقين ، وفى المتقين غير السابقين أيضاً ، ثم إن السابقين لهم منازل ليس فوقها منازل ، فهى صارت معروفة لكونها فى غاية العلو أو لأنها لا أحد فوقها ، وأما باقى المتقين فلكل واحد مرتبة وفوقها مرتبة فهم فى جنات متناسبة فى المنزلة لا يجمعها صقع واحد لاختلاف منازلهم ، وجنات السابقين على حد واحد فى على عليين يعرفها كل أحد ، وأما الواحد منهم فإن منزلته بين المنازل ، ولا يعرف كل أحد أنه لفلان السابق فلم يعرفها ، وأما منازلهم فيعرفها كل أحد ، ويعلم أنها للسابقين ، ولم يعرف الذى المتقين على وجه كهذا .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إضافة الجنة إلى النعيم من أى الأنواع ؟ نقول إضافة المكان إلى ما يقع فى المكان يقال دار الضيافة ، ودار الدعوة ، ودار العدل ، فكذلك جنة النعيم ، وفائدتها أن الجنة فى الدنيا قد تكون للنعيم ، وقد تكون للاشتغال والتعيش بأثمان ثمارها ، بخلاف الجنة فى الآخرة فإنها للنعيم لا غير .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ فى جنات النعيم ، يحتمل أن يكون خبراً بعد خبر ، ويحتمل أن يكون خبراً واحداً ، أما الأول فتقديره (أولئك المقربون) كائنون فى جنات ، كقوله (ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد) ، وأما الثانى فتقديرهم المقربون فى الجنات من الله كما يقال هو المختار عند الملك فى هذه البلدة ، وعلى الوجه الأول فائدته بيان تنعيم جسمهم ، وكرامة نفسهم فهم مقربون عند الله فهم فى غاية اللذة وفى جنات ، فجسمهم فى غاية النعيم ، بخلاف المقربين عند الملوك ، فإنهم يلتذون بالقرب لكن لا يكون لجسمهم راحة ، بل يكونون فى تعب من الوقوف وقضاء الأشغال ، ولهذا قال (فى جنات النعيم) ولم يقتصر على جنات ، وعلى الوجه الثانى فائدته التمييز عن الملائكة ، فإن المقربين فى يومنا هذا فى السموات هم الملائكة . والسابقون المقربون فى الجنة فيكون المقربون فى غيرها هم الملائكة (وفيه لطيفة) وهى أن قرب الملائكة قرب الخواص عند الملك الذين هم للأشغال ، فهم ليسوا فى نعيم ، وإن كانوا فى لذة عظيمة ولا يزالون مشفقين قائمين بباب الله يرد عليهم الأمر ولا يرتفع عنهم التكليف ، والسابقون لهم قرب عند الله ، كما يكون لجلساء الملوك ، فهم لا يكون بيدهم شغل ولا يرد عليهم أمر ، فيتلذذون بالقرب ، ويتنعمون بالراحة .

قوله تعالى : ﴿ ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين ﴾ وهذا خبر بعد خبر ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قد ذكرت أن قوله (والسابقون السابقون) جملة ، وإنما كان الخبر عين المبتدأ

لظهور حالهم أو لخفاء أمرهم على غيرهم ، فكيف جاء خبر بعده ؟ نقول ذلك المقصود قد أفاد ذكر خبر آخر لمقصود آخر ، كما أن واحداً يقول زيد لا يخفى عليك حاله إشارة إلى كونه من المشهورين ثم يشرع فى حال يخفى على السامع مع أنه قال لا يخفى ، لأن ذلك كان لبيان كونه ليس من الغرباء كذلك ههنا قال (السابقون السابقون) لبيان عظمتهم ثم ذكر حال عددهم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الأولين من هم ؟ نقول المشهور أنهم من كان قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وإنما قال (ثلة) والثلة الجماعة العظيمة ، لأن من قبل نبينا من الرسل والأنبياء من كان من كبار أصحابهم إذا جمعوا يكونون أكثر بكثير من السابقين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا قيل إن الصحابة لما نزلت هذه الآية صعب عليهم قلتهم ، فنزل بعده (ثلة من الأولين ، وثلة من الآخرين) وهذا فى غاية الضعف من وجوه (أحدها) أن عدد أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان فى ذلك الزمان بل إلى آخر الزمان ، بالنسبة إلى من مضى فى غاية القلة فاذا كان عليهم من إنعام الله على خلق كثير من الأولين . وما هذا إلا خلف غير جائز (وثانيها) أن هذا كالنسخ فى الأخبار وأنه فى غاية البعد (ثالثها) ما ورد بعدها لا يرفع هذا لأن الثلة من الأولين هنا فى السابقين من الأولين وهذا ظاهر لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم كثروا ورحمهم الله تعالى فعفا عنهم أموراً لم تعف عن غيرهم ، وجعل للنبى صلى الله عليه وسلم الشفاعة فكثر عدد الناجين وهم أصحاب اليمين ، وأما من لم يأثم ولم يرتكب الكبيرة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهم فى غاية القلة وهم السابقون (ورابعها) هذا توهم وكان ينبغى أن يفرحوا بهذه الآية لأنه تعالى لما قال (ثلة من الأولين) دخل فيهم الأول من الرسل والأنبياء ، ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا جعل قليلا من أمته مع الرسل والأنبياء والأولياء الذين كانوا فى درجة واحدة ، يكون ذلك إنعاماً فى حقهم ولعله إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام « علماء امتى كأنبياء بنى إسرائيل » (الوجه الثانى) المراد منه (السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) فإن أكثرهم لهم الدرجة العليا ، لقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق) الآية (وقليل من الآخرين) الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، وعلى هذا فقوله (وكنتم أزواجاً ثلاثة) يكون خطاباً مع الموجودين وقت التنزيل ، ولا يكون فيه بيان الأولين الذين كانوا قبل نبينا عليه السلام ، وهذا ظاهر فإن الخطاب لا يتعلق إلا بالموجودين من حيث اللفظ ، ويدخل فيه غيرهم بالدليل (الوجه الثالث) (ثلة من الأولين) الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنفسهم (وقليل من الآخرين) الذين قال الله تعالى فيهم (وأتبعناهم ذرياتهم) فالمؤمنون وذرياتهم إن كانوا من أصحاب اليمين فهم فى الكثرة سواء ، لأن كل صبى مات وأحد أبويه مؤمن فهو من أصحاب اليمين ، وأما إن كانوا من المؤمنين السابقين ، فقلما يدرك ولدهم درجة السابقين وكثيراً ما يكون ولد المؤمن أحسن حالا من الأب لتقصير فى أبيه ومعصية لم توجد فى الابن الصغير وعلى هذا فقوله (الآخرين) المراد منه الآخرون التابعون من الصغار .

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾

ثم قال تعالى ﴿ على سرر موضونة ، متكئين عليها متقابلين ﴾ والموضونة هي المنسوجة القوية اللحمة والسدى ، ومنه يقال للدرع المنسوجة موضونة والوضين هو الحبل العريض الذى يكون منه الحزم لقوة سداه ولحمته ، والسرر التى تكون للملوك يكون لها قوائم من شيء صلب ويكون مجلسهم عليها معمولا بحرير وغير ذلك لأنه أنعم من الخشب وما يشبهه فى الصلابة وهذه السرر قوائمها من الجواهر النفيسة ، وأرضها من الذهب الممدود ، وقوله تعالى (متكئين عليها) للتاكيد ، والمعنى أنهم كائنو على سرر متكئين عليها متقابلين ، ففائدة التأكيد هو أن لا يظن أنهم كائنون على سرر متكئين على غيرها كما يكون حال من يكون على كرسى صغير لا يسعه للاتكاء فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه ، فلما قال على سرر متكئين عليها دل هذا على أن استقرارهم واتكاءهم جميعاً على سرر ، وقوله تعالى (متقابلين) فيه وجهان (أحدهما) أن أحداً لا يستدبر أحداً (وثانيهما) أن أحداً من السابقين لا يرى غيره فوقه ، وهذا أقرب لأن قوله (متقابلين) على الوجه الأول يحتاج إلى أن يقال متقابلين معناه أن كل أحد يقابل أحداً فى زمان واحد ، ولا يفهم هذا إلا فيما لا يكون فيه اختلاف جهات ، وعلى هذا فيكون معنى الكلام أنهم أرواح ليس لهم أدبار وظهور ، فيكون المراد من السابقين هم الذين أجسامهم أرواح نورانية جميع جهاتهم وجه كالنور الذى يقابل كل شيء ولا يستدبر أحداً ، والوجه الأول أقرب إلى أوصاف المكانيات .

ثم قال تعالى ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ والولدان جمع الوليد ، وهو فى الأصل فعيل بمعنى مفعول وهو المولود لكن غلب على الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين ، والدليل أنهم قالوا للجارية الصغيرة وليدة ، ولو نظروا إلى الأصل لجردوها عن الهاء كالقتيل ، إذا ثبت هذا فنقول فى الولدان وجهان (أحدهما) أنه على الأصل وهم صغار المؤمنين وهو ضعيف ، لأن صغار المؤمنين أخبر الله تعالى عنهم أنه يلحقهم بآبائهم ، ومن الناس المؤمنين الصالحين من لا ولد له فلا يجوز أن يخدم ولد المؤمن مؤمناً غيره ، فيلزم إما أن يكون لهم اختصاص ببعض الصالحين وأن لا يكون لمن لا يكون له ولد من يطوف عليه من الولدان ، وإما أن يكون ولد الآخر يخدم غير أبيه وفيه منقصة بالأب ، وعلى هذا الوجه قيل هم صغار الكفار وهو أقرب من الأول إذ ليس فيه ما ذكرنا من المفسدة (والثانى) أنه على الاستعمال الذى لم يلحظ فيه الأصل وهو إرادة الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين وهو حينئذ كقوله تعالى (ويطوف عليهم غلمان لهم) وفى قوله تعالى (مخلدون) وجهان (أحدهما) أنه من الخلود والدوام ، وعلى هذا الوجه يظهر

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾

وجهان آخران (أحدهما) أنهم مخلدون ولا موت لهم ولا فناء (وثانيهما) لا يتغيرون عن حالهم ويبقون صغاراً دائماً لا يكبرون ولا يلتحون (والوجه الثاني) أنه من الخلدة وهو القرط بمعنى فى آذانهم حلق ، والأول أظهر وأليق .

قوله تعالى : ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ أوانى الخمر تكون فى المجالس ، وفى الكوب وجهان (أحدهما) أنه من جنس الأقداح وهو قدح كبير (وثانيهما) من جنس الكيزان ولا عروة له ولا خرطوم والإبريق له عروة وخرطوم ، وفى الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما الفرق بين الأكواب والأباريق والكأس حيث ذكر الأكواب والأباريق بلفظ الجمع والكأس بلفظ الواحد ولم يقل وكئوس ؟ نقول هو على عادة العرب فى الشرب يكون عندهم أوان كثيرة فيها الخمر معدة موضوعة عندهم . وأما الكأس فهو القدح الذى يشرب به الخمر إذا كان فيه الخمر ولا يشرب واحد فى زمان واحد إلا من كأس واحد ، وأما أوانى الخمر المملوءة منها فى زمان واحد فتوجد كثيراً ، فإن قيل الطواف بالكأس على عادة أهل الدنيا وأما الطواف بالأكواب والأباريق فغير معتاد فما الفائدة فيه ؟ نقول عدم الطواف بها فى الدنيا لدفع المشقة عن الطائف لثقلها وإلا فهى محتاج إليها بدليل أنه عند الفراغ يرجع إلى الموضع الذى هى فيه ، وأما فى الآخرة فالآنية تدور بنفسها والوليد معها إكراماً لا للحمل ، وفيه وجه آخر من حيث اللغة وهو أن الكأس إناء فيه شراب فيدخل فى مفهومه المشروب ، والإبريق آنية لا يشترط فى إطلاق اسم الإبريق عليها أن يكون فيها شراب ، وإذا ثبت هذا فنقول الإناء المملوء الاعتبار لما فيه لا للاناء ، وإذا كان كذلك فاعتبار الكأس بما فيه لكن فيه مشروب من جنس واحد وهو المعتبر ، والجنس لا يجمع إلا عند تنوعه فلا يقال الأرغفة من جنس واحد أخباز ، وإنما يقال أخباز عند ما يكون بعضها أسود وبعضها أبيض وكذلك اللحوم يقال عند تنوع الحيوانات التى منها اللحوم ولا يقال للقطعتين من اللحم لحمان ، وأما الأشياء المصنفة فتجمع ، فالأقداح وإن كانت كبيرة لكنها لما ملئت خمراً من جنس واحد لم يجز أن يقال لها خمور فلم يقل كئوس وإلا لكان ذلك ترجيحاً للظروف ، لأن الكأس من حيث إنها شراب من جنس واحد لا يجمع واحد فيترك الجمع ترجيحاً لجانب المظروف بخلاف الإبريق فان المعتبر فيه الإناء فحسب ، وعلى هذا يتبين بلاغة القرآن حيث لم يرد فيه لفظ الكئوس إذ كان ما فيها نوع واحد من الخمر ، وهذا بحث عزيز فى اللغة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى تأخير الكأس ترتيب حسن ، فكذلك فى تقديم الأكواب إذا كان الكوب منه يصب الشراب فى الإبريق ومن الإبريق الكأس .

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾

﴿ المسألة الثالثة ﴾ من معين بيان مافى الكأس أو بيان مافى الأكواب والأباريق ، نقول يحتمل أن يكون الكل من معين والأول أظهر بالوضع ، والثانى ليس كذلك ، فلما قال (وكأس) فكأنه قال ومشروب . وكأن السامع محتاجاً إلى معرفة المشروب ، وأما الإبريق فدلالته على المشروب ليس بالوضع ، وأما المعنى فلأن كون الكل ملآناً هو الحق ، ولأن الطواف بالفارغ لايليق فكان الظاهر بيان مافى الكل ، ومما يؤيد الأول هو أنه تعالى عند ذكر الأوانى ذكر جنسها لا نوع ما فيها فقال تعالى (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) الآية ، وعند ذكر الكأس بين ما فيها فقال (بكأس من معين) فيحتمل أن الطراف بالأباريق ، وإن كانت فارغة للزينة والتجمل وفى الآخرة تكون للاكرام والتنعم لا غير .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ما معنى المعين ؟ قلنا ذكرنا فى سورة الصافات أنه فعيل أو مفعول ومضى فيه خلاف ، فإن قلنا فعيل فهو من معن الماء إذا جرى . وإن قلنا مفعول فهو من عانه إذا شخصه بعينه وميزه ، والأول أصح وأظهر لأن المعيون يوهم بأنه معيوب لأن قول القائل عانى فلان معناه ضرنى إذا أصابتنى عينه ، ولأن الوصف بالمفعول لا فائدة فيه ، وأما الجريان فى المشروب فهو إن كان فى الماء فهو صفة مدح وإن كان فى غيره فهو أمر عجيب لا يوجد فى الدنيا ، فيكون كقوله تعالى (وأنهار من خمر) .

قوله تعالى : ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ (لا يصدعون) فيه وجهان (أحدهما) لا يصيبهم منها صداع يقال : صدعنى فلان أى أورثنى الصداع (والثانى) لاينزفون عنها ولا ينفدونها من الصدع ، والظاهر أن أصل الصداع منه ، وذلك لأن الألم الذى فى الرأس يكون فى أكثر الأمر بخلط وريح فى أغشية الدماغ فيؤلمه فيكون الذى به صداع كأنه يتطرق فى غشاء دماغه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إن كان المراد نفى الصداع فكيف يحسن عنها مع أن المستعمل فى السبب كلمة من ، فيقال مرض من كذا وفى المفارقة يقال عن ، فيقال برىء عن المرض ؟ نقول الجواب هو أن السبب الذى يثبت أمراً فى شىء كأنه ينفصل عنه شىء ويثبت فى مكانه فعله ، فهنالك أمران ونظران إذا نظرت إلى المحل ورأيت فيه شيئاً تقول هذا من ماذا ، أى ابتداء وجوده من أى شىء فيتبع نظرك على السبب فتقول هذا من هذا أى ابتداء وجوده منه ، وإذا نظرت إلى جانب السبب ترى الأمر الذى صدر عنه كأنه فارقه والتصق بالمحل ، ولهذا لا يمكن أن يوجد ذلك مرة أخرى ، والسبب كأنه كان فيه وانتقل عنه فى أكثر الأمر فههنا يكون الأمران من الأجسام والأمور التى لها قرب وبعد ، إذا علم هذا فنقول : المراد ههنا بيان خمر الآخرة فى

وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾

نفسها وبيان ما عليها ، فالنظر وقع عليها لا على الشاربين . ولو كان المقصود أنهم لا يصدعون عنها لوصف منهم لما كان مدحاً لها ، وأما إذا قال هي لا تصدع لأمر فيها يكون مدحاً لها فلما وقع النظر عليها قال عنها ، وأما إذا كنت تصف رجلا بكثرة الشرب وقوته عليه ، فإنك تقول فى حقه هو لا يصدع من كذا من الخمر ، فإذا وصفت الخمر تقول هذه لا يصدع عنها أحد .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله تعالى (ولا ينزفون) تقدم تفسيره فى الصافات والذى يحسن ذكره هنا أن نقول إن كان معنى (لا ينزفون) لا يسكرون ، فنقول إما أن نقول معنى (لا يصدعون) أنهم لا يصيبهم الصداع ، وإما أنهم لا يفقدون ، فإن قلنا بالقول الأول فالترتيب فى غاية الحسن لأنه على طريقة الارتقاء ، فإن قوله تعالى (لا يصدعون) معناه لا يصيبهم الصداع لكن هذا لا ينفى السكر فقال بعده ولا يورث السكر ، كقول القائل ليس فيه مفسدة كثيرة ، ثم يقول ولا قليلة ، تتميما للبيان ، ولو عكست الترتيب لا يكون حسناً ، وإن قلنا (لا ينزفون) لا يفقدون فالترتيب أيضاً كذلك لأن قولنا (لا يصدعون) أى لا يفقدونه ومع كثرته ودوام شربه لا يسكرون فإن عدم السكر لنفاد الشراب ليس بعجب ، لكن عدم سكرهم مع أنهم مستديمون للشراب عجيب وإن قلنا (لا ينزفون) بمعنى لا ينفد شرابهم كما بينا هناك . فنقول أيضاً إن كان لا يصدعون بمعنى لا يصيبهم صداع فالترتيب فى غاية الحسن ، وذلك لأن قوله (لا يصدعون) لا يكون بيان أمر عجيب إن كان شرابهم قليلا فقال (لا يصدعون عنها) مع أنهم لا يفقدون الشراب ولا ينزفون الشراب ، وإن كان بمعنى لا ينزفون عنها فالترتيب حسن لأن معناه لا ينزفون عنها بمعنى لا يخرجون عما هم فيه ولا يؤخذ منهم ما أعطوا من الشراب ، ثم إذا أفنوها بالشراب يعطون .

قوله تعالى : ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما وجه الجر ، والفاكهة لا يطوف بها الولدان والعطف يقتضى ذلك ؟ نقول : الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن الفاكهة واللحم فى الدنيا يطلبان فى حالتين (أحدهما) حالة الشرب والأخرى حال عدمه ، فالفاكهة من رءوس الأشجار تؤخذ ، كما قال تعالى (قطوفها دانية) وقال (وجنى الجنتين دان) إلى غير ذلك ، وأما حالة الشراب فجاز أن يطوف بها الولدان ، فيناولوهم الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للأكل بل للاكرام ، كما يضع المكرم للضيف أنواع الفواكه بيده عنده وإن كان كل واحد منهما مشاركا للآخر فى القرب منها (والوجه الثانى) أن يكون عطفاً فى المعنى على جنات النعيم ، أى هم المقربون فى جنات وفاكهة ، ولحم وحور ، أى فى هذه النعم يتقلبون ، والمشهور أنه عطف فى اللفظ للمجاورة لا فى المعنى ، وكيف لا يجوز هذا ، وقد جاز تقلد سيفاً ورمحاً .

﴿ المسألة الثانية ﴾ هل فى تخصيص التخيير بالفاكهة والاشتهاء باللحم بلاغة ؟ قلت وكيف لا وفى وفى كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة ، وإن كان لا يحيط بها ذهنى الكليل ، ولا يصل إليها على القليل ، والذى يظهر لى فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم ، وإذا حضرا عند الشبعان تميل إلى الفاكهة ، والجائع مشته والشبعان غير مشته ، وإنما هو مختار إن أراد أكل ، وإن لم يرد لا يأكل ، ولا يقال فى الجائع إن أراد أكل لأن أن لا تدخل إلا على المشكوك ، إذا علم هذا ثبت أن فى الدنيا اللحم عند المشتهى مختار والفاكهة عند غير المشتهى مختارة وحكاية الجنة على ما يفهم فى الدنيا فخص اللحم بالاشتهاء والفاكهة بالاختيار ، والتحقيق فيه من حيث اللفظ أن الاختيار هو أخذ الخير من أمرين . والأمران اللذان يقع فيهما الاختيار فى الظاهر لا يكون للمختار أولا ميل إلى أحدهما ، ثم يتفكر ويتروى ، ويأخذ ما يغلبه نظره على الآخر فالتفكه هو ما يكون عند عدم الحاجة ، وأما إن اشتهى واحدا فاكهة بعينها فاستحضرها وأكلها فهو ليس بمتفكه وإنما هو دافع حاجة ، وأما فواكه الجنة تكون أولا عند أصحاب الجنة من غير سبق ميل منهم إليها ثم يتفكهون بها على حسب اختيارهم ، وأما اللحم فتميل أنفسهم إليه أدنى ميل فيحضر عندهم ، وميل النفس إلى المأكول شهوة ، ويدل على هذا قوله تعالى (قطوفها دانية) وقوله (وجنى الجنتين دان) وقوله تعالى (وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة) فهو دليل على أنها دائمة الحضور ، وأما اللحم فالمروى أن الطائر يطير فتميل نفس المؤمن إلى لحمه فينزل مشويا ومقليا على حسب ما يشتهيه ، فالحاصل أن الفاكهة تحضر عندهم فيتخير المؤمن بعد الحضور واللحم يطلبه المؤمن وتميل نفسه إليه أدنى ميل ، وذلك لأن الفاكهة تلذ الأعين بحضورها ، واللحم لا تلذ الأعين بحضوره ، ثم إن فى اللفظ لطيفة ، وهى أنه تعالى قال (مما يتخيرون) ولم يقل مما يختارون مع قرب أحدهما إلى الآخر فى المعنى ، وهو أن التخير من باب التكلف فكأنهم يأخذون ما يكون فى نهاية الكمال ، وهذا لا يوجد إلا ممن لا يكون له حاجة ولا اضطرار .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما الحكمة فى تقديم الفاكهة على اللحم ؟ نقول الجواب عنه من وجوه (أحدها) العادة فى الدنيا التقديم للفواكه فى الأكل والجنة وضعت بما علم فى الدنيا من الأوصاف وعلى ما علم فيها ، ولا سيما عادة أهل الشرب وكأن المقصود بيان حال شرب أهل الجنة (وثانيها) الحكمة فى الدنيا تقتضى أكل الفاكهة أولا لأنها ألطف وأسرع انحداراً وأقل حاجة إلى المكث الطويل فى المعدة للهضم ، ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل واللحم يدفعها (وثالثها) يخرج مما ذكرنا جواباً خلا عن لفظ التخيير والاشتهاء هو أنه تعالى لما بين أن الفاكهة دائمة الحضور والوجود ، واللحم يشتهى ويحضر عند الاشتهاء دل هذا على عدم الجوع لأن الجائع حاجته إلى اللحم أكثر من اختياره اللحم فقال (وفاكهة) لأن الحال فى الجنة يشبه حال الشبعان فى الدنيا . فيميل إلى الفاكهة أكثر فقدمها ، وهذا الوجه أصح لأن من الفواكه ما لا يؤكل إلا بعد الطعام ، فلا يصح الأول جواباً فى الكل .

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾

ثم قال تعالى ﴿وحور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ وفيها قراءات (الأولى) الرفع وهو المشهور ، ويكون عطفاً على ولدان ، فإن قيل قال قبله (حور مقصورات فى الخيام) إشارة إلى كونها مخدرة ومستورة ، فكيف يصح قولك إنه عطف على ولدان ؟ نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) وهو المشهور أن نقول هو عطف عليهم فى اللفظ لا فى المعنى ، أو فى المعنى على التقدير والمفهوم لأن قوله تعالى (يطوف عليهم ولدان) معناه لهم ولدان كما قال تعالى (ويطوف عليهم غلمان لهم) فيكون (حور عين) بمعنى ولهم حور عين (وثانيهما) وهو أن يقال ليست الحور منحصرات فى جنس ، بل لأهل الجنة (حور مقصورات) فى حظائر معظمات ولهن جوارى وخوادم ، وحور تطوف مع الولدان السقاة فيكون كأنه قال يطوف عليهم ولدان ونساء (الثانية) الجر عطفاً على أكواب وأباريق ، فإن قيل كيف يطاف بهن عليهم ؟ نقول الجواب سبق عند قوله (ولحم طير) أو عطفاً على (جنات) أى (أولئك المقربون فى جنات النعيم) وحور وقرىء حوراً عيناً بالنصب ، ولعل الحاصل على هذه القراءة على غير العطف بمعنى العطف لكن هذا القارىء لابد له من تقدير ناصب فيقول يؤتون حوراً فيقال قد رافعاً فقال ولهم حور عين فلا يلزم الخروج عن موافقة العاطف وقوله تعالى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) فيه مباحث .

﴿ الأول ﴾ الكاف للتشبيه ، والمثل حقيقة فيه ، فلو قال أمثال اللؤلؤ المكنون لم يكن إلى الكاف حاجة ، فما وجه الجمع بين كلمتى التشبيه ؟ نقول الجواب المشهور أن كلمتى التشبيه يفيدان التأكيد والزيادة فى التشبيه ، فإن قيل ليس كذلك بل لا يفيدان ما يفيد أحدهما لأنك إن قلت مثلا هو كاللؤلؤة المشبه ، دون المشبه به فى الأمر الذى لأجله التشبيه ؟ نقول التحقيق فيه ، هو أن الشىء إذا كان له مثل فهو مثله ، فاذا قلت هو مثل القمر لا يكون فى المبالغة مثل قولك هو قمر وكذلك قولنا هو كالأسد ، وهو أسد ، وإذا قلت كمثل اللؤلؤ كأنك قلت مثل اللؤلؤ وقولك هو اللؤلؤ أبلغ من قولك هو كاللؤلؤ ، وهذا البحث يفيدنا ههنا ، ولا يفيدنا فى قوله تعالى (ليس كمثله شىء) لأن النفى فى مقابلة الإثبات ، ولا يفهم معنى النفى من الكلام ما لم يفهم معنى الإثبات الذى يقابله ، فنقول قوله (ليس كمثله شىء) فى مقابلة قول من يقول كمثله شىء ، فنفى ما أثبته لكن معنى قوله (كمثله شىء) إذا لم نقل بزيادة الكاف هو أن مثل مثله شىء ، وهذا كلام يدل على أن له مثلا ، ثم إن لمثله مثلا ، فإذا قلنا ليس كذلك كان رداً عليه ، والرد عليه صحيح بقى أن يقال إن الراد على من يثبت أموراً لا يكون نافياً لكل ما أثبته ، فإذا قال قائل زيد عالم جيد ، ثم قيل رداً عليه ليس زيد عالماً جيداً لا يلزم من هذا أن يكون نافياً لكونه عالماً ، فمن يقول ليس كمثله شىء بمعنى ليس مثل مثله شىء لا يلزم أن يكون نافياً لمثله ، بل يحتمل أن يكون نافياً لمثل المثل ، فلا يكون

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾

المراد أيضاً موحداً فيخرج الكلام عن إفادة التوحيد ، فنقول : يكون مفيداً للتوحيد لأنا إذا قلنا ليس مثل مثله شيء لزم أن لا يكون له مثل لأنه لو كان له مثل لكان هو مثل مثله ، وهو شيء بدليل قوله تعالى (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله) فإن حقيقة الشيء هو الموجود فيكون مثل مثله شيء وهو منفي بقولنا ليس مثل مثله شيء ، فعلم أن الكلام لايخرج عن إفادة التوحيد ، فعلم أن الحمل على الحقيقة يفيد في الكلام مبالغة في قوله تعالى (كأمثال) وأما عدم الحمل عليها في قوله (ليس كمثله شيء) فهو أوجز فتجعل الكاف زائدة لئلا يلزم التعطيل ، وهو نفي الإله ، نقول فيه فائدة ، وهو أن يكون ذلك نفياً مع الإشارة إلى وجه الدليل على النفي ، وذلك لأنه تعالى واجب الوجود ، وقد وافقنا من قال بالشريك ، ولا يخالفنا إلا المعطل ، وذلك إثباته ظاهراً . وإذا كان هو واجب الوجود فلو كان له مثل لخرج عن كونه واجب الوجود ، لأنه مع مثله تعادلا في الحقيقة ، وإلا لما كان ذلك مثله وقد تعدد فلا بد من انضمام مميز إليه به يتميز عن مثله ، فلو كان مركباً فلا يكون واجباً لأن كل مركب ممكن ، فلو كان له مثل لما كان هو هو فيلزم من إثبات المثل له نفيه ، فقوله (ليس كمثله شيء) إذا حملناه أنه ليس مثل مثله شيء ، ويكون في مقابلته قول الكافر مثل مثله شيء فيكون مثبتاً لكونه مثل مثله ويكون مثله يخرج عن حقيقة نفسه ومنه لا يبقى واجب الوجود فذكر المثلين لفظاً يفيد التوحيد مع الإشارة إلى وجه الدليل على بطلان قول المشرك ولو قلنا ليس مثله شيء يكون نفياً من غير إشارة إلى دليل ، والتحقيق فيه أنا نقول في نفي المثل رداً على المشرك لا مثل لله ، ثم نستدل عليه ونقول لو كان له مثل لكان هو مثلا لذلك المثل فيكون ممكناً محتاجاً فلا يكون إلهاً ولو كان له مثل لما كان الله إلهاً واجب الوجود ، لأن عند فرض مثل له يشاركه بشيء وينافيه بشيء ، فيلزم تركه فلو كان له مثل لخرج عن حقيقة كونه إلهاً فإثبات الشريك يفضي إلى نفي الإله فقوله (ليس كمثله شيء) توحيد بالدليل وليس مثله شيء توحيد من غير دليل وشيء من هذا رأيته في كلام الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله[1] بعد ما فرغت من كتابة هذا مما وافق خاطري خاطره على أني معترف بأني أصبت منه فوائد لاأحصيها ، وأما قوله تعالى (اللؤلؤ المكنون) إشارة إلى غاية صفائهن أي اللؤلؤ الذي لم يغير لونه الشمس والهواء .

ثم قال تعالى ﴿ جزاءاً بما كانوا يعملون ﴾ .

وفي نصبه وجهان (أحدهما) أنه مفعول له وهو ظاهر تقديره فعل بهم هذا ليقع جزاء وليجزون بأعمالهم ، وعلى هذا فيه (لطيفة) وهي أن نقول المعنى أن هذا كله جزاء عملكم وأما الزيادة

(١) هذه العبارة تشعر أن هذا التفسير لمؤلف آخر غير فخر الدين الرازي وإنما هذا لأحد تلاميذه أكلها بعد وفاته أو نقص بالأصل وكمله أحد العلماء المتأخرين والله أعلم .

فلا يدركها أحد منكم (وثانيهما) أنه مصدر لأن الدليل على أن كل ما يفعله الله فهو جزاء فكأنه قال تجزون جزاء، وقوله (بما كانوا) قد ذكرنا فائدته فى سورة الطور وهى أنه تعالى قال فى حق المؤمنين (جزاءاً بما كانوا يعملون) وفى حق الكافرين (إنما تجزون ما كنتم تعملون) إشارة إلى أن العذاب عين جزاء ما فعلوا فلا زيادة عليهم ، والثواب (جزاء بما كانوا يعملون) فلا يعطيهم الله عين عملهم ، بل يعطيهم بسبب عملهم ما يعطيهم ، والكافر يعطيه عين ما فعل ، فيكون فيه معنى قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أصولية ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله فى مواضع كثيرة ، ونحن نذكر بعضها (فالأولى) قالت المعتزلة : هذا يدل على أن يقال الثواب على الله واجب ، لأن الجزاء لا يجوز المطالبة به ، وقد أجاب عنه الإمام فخر الدين رحمه الله بأجوبة كثيرة ، وأظن به أنه لم يذكر ما أقوله فيه وهو ما ذكروه . ولو صح لما كان فى الوعد بهذه الأشياء فائدة ، وذلك لأن العقل إذا حكم بان ترك الجزاء قبيح وعلم بالعقل أن القبيح من الله لا يوجد علم أن الله يعطى هذه الأشياء لأنها أجزية ، وإيصال الجزاء واجب ، وأما إذا قلنا بمذهبنا تكون الآيات مفيدة مبشرة ، لأن البشارة لا تكون إلا بالخير عن أمر غير معلوم ، لا يقال الجزاء كان واجباً على الله وأما الخبر بهذه الأشياء فلا يذكرها مبشراً ، لأنا نقول إذا وجب نفس الجزاء فما أعطانا الله تعالى من النعم فى الدنيا جزاء ، فثواب الآخرة لا يكون إلا تفضلا منه ، غاية مافى الباب أنه تعالى كمل النعمة بقوله هذا جزاؤكم ، أى جعلته لكم جزاء ، ولم يكن متعيناً ولا واجباً ، كما أن الكريم إذا أعطى من جاء بشىء يسير شيئاً كثيراً ، فيظن أنه يودعه إيداعاً أو يأمره بحمله إلى موضع ، فيقول له هذا لك فيفرح ، ثم إنه يقول هذا إنعام عظيم يوجب على خدمة كثيرة ، فيقول له هذا جزاء ما أتيت به ، ولا أطلب منك على هذا خدمة ، فإن أتيت بخدمة فلها ثواب جديد ، فيكون هذا غاية الفضل ، وعند هذا نقول هذا كله إذا كان الآتى غير العبد ، وأما إذا فعل العبد ما أوجب عليه سيده لا يستحق عليه أجراً ، ولا سيما إذا أتى بما أمر به على نوع اختلال ، فما ظنك بحالنا مع الله عز وجل ، مع أن السيد لا يملك من عبده إلا البنية ، والله تعالى يملك منا أنفسنا وأجسامنا ، ثم إنك إذا تفكرت فى مذهب أهل السنة تجدهم قد حققوا معنى العبودية غاية التحقيق ، واعترفوا أنهم عبيد لا يملكون شيئاً ولا يجب للعبد على السيد دين ، والمعتزلة لم يحققوا العبودية ، وجعلوا بينهم وبين الله معاملة توجب مطالبة ، ونرجوا أن يحقق الله تعالى معنا المالكية غاية التحقيق ، ويدفع حاجاتنا الأصلية ويطهر أعمالنا ، كما أن السيد يدفع حاجة عبده بإطعامه وكسوته ، ويطهر صومه بزكاة فطره ، وإذا جنى جناية لم يمكن المجنى عليه منه ، بل يختار فداءه ويخلص رقبته من الجناية ، كذلك يدفع الله حاجاتنا فى الآخرة ، وأهم الحاجات أن يرحمنا ويعفو عنا ، ويتغمدنا

بالمغفرة والرضوان ، حيث منع غيره عن تملك رقابنا باختيار الفداء عنا ، وأرجو أن لا يفعل مع إخواننا المعتزلة ما يفعله المتعاملان فى المحاسبة بالنقير والقطمير ، والمطالبة بما يفضل لأحدهما من القليل والكثير .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قالوا لو كان فى الآخرة رؤية لكانت جزاء ، وقد حصر الله الجزاء فيما ذكر (والجواب عنه) أن نقول : لم قلتم إنها لو كانت تكون جزاء ، بل تكون فضلا منه فوق الجزاء ، وهب أنها تكون جزاء ، ولكن لم قلتم إن ذكر الجزاء حصر وإنه ليس كذلك ، لأن من قال لغيره أعطيتك كذا جزاء على عمل لا ينافى قوله : وأعطيتك شيئا آخر فوقه أيضاً جزاء عليه ، وهب أنه حصر ، لكن لم قلتم إن القربة لا تدل على الرؤية ، فإن قيل قال فى حق الملائكة : ولا الملائكة المقربون ، ولم يلزم من قربهم الرؤية ، نقول أجبنا أن قربهم مثل قرب من يكون عند الملك لقضاء الأشغال ، فيكون عليه التكليف والوقوف بين يديه بالباب تخرج أوامره عليه ، كما قال تعالى (ويفعلون ما يؤمرون) وقرب المؤمن قرب المنعم من الملك ، وهو الذى لا يكون إلا للمكالمة والمجالسة فى الدنيا ، لكن المقرب المكلف ليس كلما يروح إلى باب الملك يدخل عليه وأما المنعم لا يذهب إليه إلا ويدخل عليه فظهر الفرق .

والذى يدل على أن قوله (أولئك المقربون) فيه إشارة إلى الرؤية هو أن الله تعالى فى سورة المطففين ذكر الأبرار والفجار ، ثم إنه تعالى قال فى حق الفجار (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال فى الأبرار (يشرب بها المقربون) ولم يذكر فى مقابلة المحجوبون ما يدل على مخالفة حال الأبرار حال الفجار فى الحجاب والقرب ، لأن قوله (فى عليين) وإن كان دليلا على القرب وعلو المنزلة لكنه فى مقابلة قوله (فى سجين) فقوله تعالى فى حقهم (يشرب بها المقربون) مع قوله تعالى (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) يدل على أن المراد منه القرب الذى يكون لجلساء الملك عند الملك ، وقوله فى حق الملائكة فى تلك السورة (يشهده المقربون) يدل على أن المراد منه القرب الذى يكون للكتاب والحساب عند الملك لما أنه فى الدنيا يحسد أحدهما الآخر ، فإن الكاتب إن كان قربه من الملك بسبب الخدمة لا يختار قرب الكتاب والحساب ، بل قرب النديم ، ثم إنه بين ذلك النوع من القرب وبين القرب الذى بسبب الكتابة ما يحمله على أن يختار غيره ، وفى سورة المطففين قوله (لمحجوبون) يدل على أن المقربين غير محجوبين عن النظر إلى الله تعالى ، وينبغى أن لا ينظر إلى الله قولنا جلساء الملك فى ظاهر النظر الذى يقتضى فى نظر القوم الجهة وإلى القرب الذى يفهم العامى منه المكان إلا بنظر العلماء الأخيار الحكماء الأخيار .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قالوا قوله تعالى (بما كانوا يعملون) يدل على أن العمل عملهم وحاصل بفعلهم ، نقول لا نزاع فى أن العمل فى الحقيقة اللغوية وضع للفعل والمجنون الذى لا عقل له والعاقل الذى بلغ الكمال فيه ، وذلك ليس إلا بوضع اللغة لما يدرك بالحس ، وكل أحد يرى

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾

الحركة من الجسمين فيقول تحرك وسكن على سبيل الحقيقة ، كما يقول تدور الرحا ويصعد الحجر ، وإنما الكلام فى القدرة التى بها الفعل فى المحل المرئى ، وذلك خارج عن وضع اللغة .

قوله تعالى : ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما ، إلا قيلا سلاماً سلاماً ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما الحكمة فى تأخير ذكره عن الجزاء مع أنه من النعم العظيمة ؟ نقول فيه لطائف (الأولى) أن هذا من أتم النعم ، فجعلها من باب الزيادة التى منها الرؤية عند البعض ولا مقابل لها من الأعمال ، وإنما قلنا إنها من أتم النعم ، لأنها نعمة سماع كلام الله تعالى على ما سنبين أن المراد من قوله (سلاماً) هو ما قال فى سورة يس (سلام قولا من رب رحيم) فلم يذكرها فيما جعله جزاء ، وهذا على قولنا (أولئك المقربون) ليس فيه دلالة على الرؤية (الثانية) أنه تعالى بدأ بأتم النعم . وهى نعمة الرؤيا ، وهى الرؤية بالنظر كما مر وختم بمثلها ، وهى نعمة المخاطبة (الثالثة) هى أنه تعالى لما ذكر النعم الفعلية وقابلها بأعمالهم حيث قال (جزاء بما كانوا يعملون) ذكر النعم القولية فى مقابلة أذكارهم الحسنة ولم يذكروا اللذات العقلية التى فى مقابلة أعمال قلوبهم من اخلاصهم واعتقادهم ، لأن العمل القلبى لم ير ولم يسمع ، فما يعطيهم الله تعالى من النعمة تكون نعمة لم ترها عين ولا سمعتها أذن ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ فيها « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » وقوله عليه السلام « ولا خطر » إشارة إلى الزيادة ، والذى يدل على النعمة القولية فى مقابلة قولهم الطيب قوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا) إلى قوله (نزلا من غفور رحيم)

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما) نفى المكروه لما أن اللغو كلام غير معتبر ، لأنه عند المعتبرين من الرجال مكروه ، ونفى المكروه لا يعد من النعم العظيمة التى مر ذكرها ، كيف وقد ذكرت أن تأخير هذه النعمة لكونها أتم ، ولو قال إن فلاناً فى بلدة كذا محترم مكرم لا يضرب ولا يشتم فهو غير مكرم وهو مذموم والواغل مذموم وهو الذى يدخل على قوم يشربون ويأكلون فيأكل ويشرب معهم من غير دعاء ولا إذن فكأنه بالنسبة إليهم فى عدم الاعتبار كلام غير معتبر وهو اللغو ، وكذلك ما يتصرف منه مثل الولوغ لا يقال إلا إذا كان الوالغ كلباً أو مايشبهه من السباع ، وأما التأثيم فهو النسبة إلى الإثم ومعناه لا يذكر إلا باطلا ولا ينسبه أحد إلا إلى الباطل ، وأما التقديم فلأن اللغو أعم من التأثيم أى يجعله آثماً كما تقول إنه فاسق أو سارق ونحو ذلك وبالجملة فالمتكلم ينقسم إلى أن يلغو وإلى أن لا يلغو والذى لا يلغو يقصد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيأخذ الناس بأقوالهم وهو لا يؤخذ عليه شىء ، فقال

تعالى لا يلغو أحد ولا يصدر منه لغو ولا ما يشبه اللغو فيقول له الصادق لا يلغو ولا يأثم ولا شك فى أن الباطل أقبح ما يشبهه فقال لا يأثم أحد.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال تعالى فى سورة النبأ (لايسمعون فيها لغواً ولا كذاباً) فهل بينهما فرق؟ قلنا نعم الكذاب كثير التكذيب ومعناه هناك أنهم لايسمعون كذباً ولا أحداً يقول لآخر كذبت وفائدته أنهم لا يعرفون كذباً من معين من الناس ولا من واحد منهم غير معين لتفاوت حالهم وحال الدنيا فإنا نعلم أن بعض الناس بأعيانهم كذابون فإن لم نعرف ذلك نقطع بأن فى الناس كذاباً لأن أحدهم يقول لصاحبه كذبت فإن صدق فصاحبه كذاب، وإن لم يصدق فهو كاذب فيعلم أن فى الدنيا كذاباً بعينه أو بغير عينه ولا كذلك فى الآخرة فلا كذب فيها، وقال ههنا (ولا تأثيما) وهو أبلغ من التكذيب فإن من يقول فى حق من لا يعرفه إنه زان أو شارب الخمر مثلا فإنه يأثم وقد يكون صادقاً، فالذى ليس عن علم اثم فلا يقول أحد لأحد. قلت ما لا علم لك به. فالكلام ههنا أبلغ لأنه قصر السورة على بيان أحوال الأقسام لأن المذكورين هنا هم السابقون وفى سورة النبأ هم المتقون. وقد بينا أن السابق فوق المتقى.

﴿ المسألة الرابعة ﴾ (إلا قيلا) استثناء متصل منقطع، فنقول فيه وجهان (أحدهما) وهو الاظهر أنه منقطع لأن السلام ليس من جنس اللغو تقديره لكن يسمعون (قيلا سلاماً سلاماً) (ثانيهما) أنه متصل ووجهه أن نقول المجاز قد يكون فى المعنى، ومن جملته أنك تقول مالى ذنب إلا أحبك، فلهذا تؤذينى فتستثنى محبته من الذنب ولا تريد المنقطع لأنك لا تريد بهذا القول بيان أنك تحبه إنما تريد فى تبرئتك عن الذنوب ووجهه هو أن بينهما غاية الخلاف وبينهما أمور متوسطة، مثاله : الحار والبارد وبينهما الفاتر الذى هو أقرب إلى الحار من البارد وأقرب إلى البارد من الحار، والمتوسط يطلق عليه اسم البارد عند النسبة إلى الحار فيقال هذا بارد، ويخبر عنه بالنسبة إلى البارد فيقال إنه حار، إذا ثبت هذا فنقول قول القائل : مالى ذنب إلا أنى أحبك، معناه لا تجد ما يقرب من الذنب إلا المحبة فإن عندى أموراً فوقها إذا نسبتها إلى الذنب تجد بينها غاية الخلاف فيكون ذلك كقوله درجات الحب عندى طاعتك وفوقها إن أفضل جانب أقل أمر من أمورك على جانب الحفظ لروحى، إشارة إلى المبالغة كما يقول القائل : ليس هذا بشىء مستحقراً بالنسبة إلى مافوقه فقوله (لا يسمعون فيها لغواً) أى يسمعون فيها كلاماً فائقاً عظيم الفائدة كامل اللذة أدناها وأقربها إلى اللغو قول بعضهم لبعض سلام عليك فلا يسمعون مايقرب من اللغو إلا سلاماً، فما ظنك بالذى يبعد منه كما يبعد الماء البارد الصادق والماء الذى كسرت الشمس برودته وطلب منه ماء حار ليس عندى ماء حار إلا هذا أى ليس عندى ما يبعد من البارد الصادق البرودة ويقرب من الحار إلا هذا وفيه المبالغة الفائقة والبلاغة الرائقة. وحينئذ يكون اللغو مجازاً، والاستثناء متصلا فإن قيل إذا لم يكن بد من مجاز وحمل اللغو على ما يقرب منه بالنسبة إليه فليحمل الإعلى لكن لأنهما

مشتركان فى إثبات خلاف ما تقدم ، نقول المجاز فى الأسماء أولى من المجاز فى الحروف لأنها تقبل التغير فى الدلالة وتتغير فى الأحوال ، ولا كذلك الحروف لأن الحروف لا تصير مجازاً إلا بالاقتران باسم والإسم يصير مجازاً من غير الاقتران بحرف فإنك تقول رأيت أسداً يرمى ويكون مجازاً ولا اقتران له بحرف ، وكذلك إذا قلت لرجل هذا أسد وتريد بأسد كامل الشجاعة ، ولأن عرض المتكلم فى قوله مالى ذنب إلا أنى أحبك ، لا يحصل بما ذكرت من المجاز ، ولأن العدول عن الأصل لا يكون له فائدة من المبالغة والبلاغة .

﴿ **المسألة الخامسة** ﴾ فى قوله تعالى (قيلا) قولان (أحدهما) إنه مصدر كالقول فيكون قيلا مصدراً ، كما أن القول مصدر لكن لا يظهر له فى باب فعل يفعل الاحرف (ثانيهما) إنه اسم والقول مصدر فهو كالسدل والستر بكسر السين اسم وبفتحها مصدر وهو الأظهر ، وعلى هذا نقول الظاهر أنه اسم مأخوذ من فعل هو : قال وقيل ، لما لم يذكر فاعله ، وما قيل أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن القيل والقال ، يكون معناه نهى عن المشاجرة ، وحكاية أمور جرت بين أقوام لا فائدة فى ذكرها ، وليس فيها إلا مجرد الحكاية من غير وعظ ولا حكمة لقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله عبداً قال خيراً فغنم ، أو سكت فسلم » وعلى هذا فالقيل اسم لقول لم يعلم قائله ، والقال اسم للقول مأخوذ من قيل لما لم يذكر فاعله ، تقول قال فلان كذا ، ثم قيل له كذا ، فقال كذا ، فيكون حاصل كلامه قيل وقال ، وعلى هذا فالقيل اسم لقول لم يعلم قائله ، والقال مأخوذ من قيل هو قال ، ولقائل أن يقول هذا باطل لقوله تعالى (وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) فإن الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم أى يعلم الله قيل محمد (يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) ، كما قال نوح عليه السلام (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) ، وعلى هذا فقوله تعالى (فاصفح عنهم وقل سلام) إرشاد له لئلا يدعو على قومه عند يأسه منهم كما دعا عليهم نوح عنده ، وإذا كان القول مضافاً إلى محمد صلى الله عليه وسلم فلا يكون القيل اسماً لقول لم يعلم قائله ؟ فنقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) إن قولنا إنه اسم مأخوذ من قيل الموضوع لقول لم يعلم قائله فى الأصل لا ينافى جواز استعماله فى قول من علم بغير الموضوع (وثانيهما) وهو الجواب الدقيق أن نقول الهاء فى (وقيله) ضمير كما فى ربه وكالضمير المجهول عند الكوفيين وهو ضمير الشأن ، وعند البصريين قال (فإنها لا تعمى الأبصار) والهاء غير عائد إلى مذكور ، غير أن الكوفيين جعلوه لغير معلوم والبصريين جعلوه ضمير القصة ، والظاهر فى هذه المسألة قول الكوفيين ، وعلى هذا معنى عبارتهم بلغ غاية علم الله تعالى قيل القائل منهم يارب إن هؤلاء ، إشارة إلى أن الاختصاص بذلك القول فى كل أحد إنهم لا يؤمنون لعلمه أنهم قائلون بهذا وأنهم عالمون ، وأهل السماء علموا بأن عند الله علم الساعة يعلمها فيعلم قول من يقول (يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) من غير تعيين قول لاشتراك الكل فيه ، ويؤيد هذا أن الضمير لو كان عائداً إلى معلوم فإما أن يكون إلى مذكور قبله ، ولا شىء فيما

قبله يصح عود الضمير إليه ، وإما إلى معلوم غير مذكور وهو محمد صلى الله عليه وسلم لكن الخطاب بقوله (فاصفح) كان يقتضى أن يقول ، وقيلك يارب لأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو المخاطب أولا بكلام الله ، وقد قال قبله (ولئن سألتهم) وقال من قبل (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وكان هو المخاطب أولا ، إذا تحقق هذا ؟ نقول إذا تفكرت فى استعمال لفظ القيل فى القرآن ترى ماذكرنا ملحوظاً مراعى ، فقال ههنا (إلا قيلا سلاماً سلاماً) لعدم اختصاص هذا القول بقائل دون قائل فيسمع هذا القول دائماً من الملائكة والناس كما قال تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام) وقال تعالى (سلام قولا من رب رحيم) حيث كان المسلم منفرداً ، وهو الله كأنه قال : سلام قولا منا ، وقال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً) وقال (هى أشد وطئاً وأقوم قيلا) لأن الداعى معين وهم الرسل ومن اتبعهم من الأمة وكل من قام ليلا فإن قوله قويم ، ونهجه مستقيم ، وقال تعالى (وقيله يارب) لأن كل أحد يقول : إنهم لا يؤمنون . أما هم فلاعترافهم ولإقرارهم وأما غيرهم فلكفرانهم بإسرافهم وإصرارهم ، ويؤيد ما ذكرنا أنه تعالى قال (لايسمعون فيها لغواً ولا تأثيما) والاستثناء المتصل يقرب إلى المعنى بالنسبة إلى غيره وهو قول لايعرف قائله ، فقال (إلا قيلا) وهو سلام عليك ، وأما قول من يعرف وهو الله فهو الأبعد عن اللغو غاية البعد وبينهما نهاية الخلاف فقال (سلام قولا) .

﴿ المسألة السادسة ﴾ سلام ، فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أنه صفة وصف الله تعالى بها قيلا كما يوصف الشيء بالمصدر حيث يقال : رجل عدل ، وقوم صوم ، ومعناه إلا قيلا سالماً عن العيوب ، (وثانيها) هو مصدر تقديره ، إلا أن يقولوا سلاما (وثالثها) هو بدل من قيلا ، تقديره : إلا سلاماً .

﴿ المسألة السابعة ﴾ تكرير السلام هل فيه فائدة ؟ نقول فيه إشارة إلى تمام النعمة ، وذلك لأن أثر السلام فى الدنيا لا يتم إلا بالتسليم ورد السلام ، فكما أن أحد المتلاقيين فى الدنيا يقول الآخر : السلام عليك ، فيقول الآخر : وعليك السلام ، فكذلك فى الآخرة يقولون (سلاما سلاماً) ثم أنه تعالى لما قال (سلام قولا من رب رحيم) لم يكن له رد لأن تسليم الله على عبده مؤمن له ، فأما الله تعالى فهو منزه عن أن يؤمنه أحد ، بل الرد إن كان فهو قول المؤمن ، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

﴿ المسألة الثامنة ﴾ ما الفرق بين قوله تعالى (سلاماً سلاماً) بنصبهما ، وبين قوله تعالى ، قالوا سلاماً قال سلام ؟ قلنا قد ذكرنا هناك أن قوله (سلام عليك) أتم وأبلغ من قولهم سلاماً عليك فإبراهيم عليه السلام أراد أن يتفضل عليهم بالذكر ويحييهم بأحسن ماحيوا ، وأما هنا فلا يتفضل أحد من أهل الجنة على الآخر مثل التفضل فى تلك الصورة إذهم من جنس واحد ، وهم المؤمنون ولا ينسب أحد إلى أحد تقصيراً .

﴿ المسألة التاسعة ﴾ إذا كان قول القائل (سلام عليك) أتم وأبلغ فما بال القراءة المشهورة

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾

صارت بالنصب ، ومن قرأ سلام ليس مثل الذى قرأ بالنصب ، نقول ذلك من حيث اللفظ والمعنى ، أما اللفظ فلأنه يستثنى من المسموع وهو مفعول منصوب ، فالنصب بقوله (لا يسمعون فيها لغواً) وأما المعنى فلأنا بينا أن الاستثناء متصل ، وقولهم (سلام) أبعد من اللغو من قولهم (سلاماً) فقال (إلا قيلا سلاماً) ليكون أقرب إلى اللغو من غيره ، وإن كان فى نفسه بعيداً عنه .

قوله تعالى : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، فى سدر مخضود ، وطلح منضود ﴾ .

لما بين حال السابقين شرع فى شأن أصحاب الميمنة من الأزواج الثلاثة ، وفيه مسائل :

﴿ **المسألة الأولى** ﴾ ما الفائدة فى ذكرهم بلفظ (أصحاب الميمنة) عند ذكر الأقسام ، وبلفظ (أصحاب اليمين) عند ذكر الإنعام ؟ نقول الميمنة مفعلة إما بمعنى موضع اليمين كالمحكمة لموضع الحكم ، أى الأرض التى فيها اليمين . وإما بمعنى موضع اليمن كالمنارة موضع النار ، والمجمرة موضع الجمر ، فكيفما كان الميمنة فيها دلالة على الموضع ، لكن الأزواج الثلاثة فى أول الأمر يتميز بعضهم عن بعض ، ويتفرقون لقوله تعالى (يومئذ يتفرقون) وقال (يصدعون) فيتفرقون بالمكان فأشار فى الأول إليهم بلفظ يدل على المكان ، ثم عند الثواب وقع تفرقهم بأمر مبهم لا يتشاركون فيه كالمكان ، فقال (وأصحاب اليمين) وفيه وجوه (أحدها) أصحاب اليمين الذين يأخذون بأيمانهم كتبهم (ثانيها) أصحاب القوة (ثالثها) أصحاب النور ، وقد تقدم بيانه .

﴿ **المسألة الثانية** ﴾ ما الحكمة فى قوله تعالى (فى سدر) وأية نعمة تكون فى كونهم فى سدر ، والسدر من أشجار البوادى ، لا بمر ولا بحلو ولا بطيب ؟ نقول فيه حكمة بالغة غفلت عنها الأوائل والأواخر ، واقتصروا فى الجواب والتقريب أن الجنة تمثل بما كان عند العرب عزيزاً محموداً ، وهو صواب ولكنه غير فائق ، والفائق الرائق الذى هو بتفسير كلام الله لائق ، هو أن نقول : إنا قد بينا مراراً أن البليغ يذكر طرفى أمرين ، يتضمن ذكرهما الإشارة إلى جميع ما بينهما ، كما يقال : فلان ملك الشرق والغرب ، ويفهم منه أنه ملكهما وملك ما بينهما ، ويقال فلان أرضى الصغير والكبير ، ويفهم منه أنه أرضى كل أحد إلى غير ذلك . فنقول لا خفاء فى أن تزين المواضع التى يتفرج فيها بالأشجار ، وتلك الأشجار تارة يطلب منها نفس الورق والنظر إليه والاستظلال به ، وتارة يقصد إلى ثمرها ، وتارة يجمع بينهما ، لكن الأشجار أوراقها على أقسام كثيرة ، ويجمعها نوعان : أوراق صغار ، وأوراق كبار ، والسدر فى غاية الصغر ، والطلح وهو شجر الموز فى غاية الكبر ، فقوله تعالى (فى سدر مخضود ، وطلح منضود) إشارة إلى ما يكون ورقه

فى غاية الصغر من الأشجار ، وإلى ما يكون ورقه فى غاية الكبر منها ، فوقعت الإشارة إلى الطرفين جامعة لجميع الأشجار نظراً إلى أوراقها ، والورق أحد مقاصد الشجر . ونظيره فى الذكر ذكر النخل والرمان عند القصد إلى ذكر الثمار ، لأن بينهما غاية الخلاف كما بيناه فى موضعه ، فوقعت الإشارة إليهما جامعة لجميع الأشجار نظراً إلى ثمارها ، وكذلك قلنا فى النخيل والأعناب ، فإن النخل من أعظم الأشجار المثمرة ، والكرم من أصغر الأشجار المثمرة ، وبينهما أشجار فوقعت الإشارة إليهما جامعة لسائر الأشجار ، وهذا جواب فائق وفقنا الله تعالى له .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما معنى المخضود ؟ نقول فيه وجهان (أحدهما) مأخوذ الشوك ، فان شوك السدر يستقصف ورقها ، ولولاه لكان منتزه العرب ، ذلك لأنها تظل لكثرة أوراقها ودخول بعضها فى بعض (وثانيهما) مخضود أى متعطف إلى أسفل ، فان رؤوس أغصان السدر فى الدنيا تميل إلى فوق بخلاف أشجار الثمار ، فإن رؤوسها تتدلى ، وحينئذ معناه أنه يخالف سدر الدنيا ، فإن لها ثمراً كثيراً .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ما الطلح ؟ نقول الظاهر أنه شجر الموز ، وبه يتم ما ذكرنا من الفائدة ، روى أن علياً عليه السلام سمع من يقرأ (وطلح منضود) فقال ماشأن الطلح ؟ إنما هو وطلع ، واستدل بقوله تعالى (وطلع نضيد) فقالوا فى المصاحف كذلك ، فقال لاتحول المصاحف ، فنقول هذا دليل معجزة القرآن ، وغزارة علم على رضى الله عنه . أما المعجزة فلأن علياً كان من فصحاء العرب ولما سمع هذا حمله على الطلع واستمر عليه ، وما كان قد اتفق حرفه لمبادرة ذهنه إلى معنى ، ثم قال فى نفسه : إن هذا الكلام فى غاية الحسن ، لأنه تعالى ذكر الشجر المقصود منه الورق للاستظلال به ، والشجر المقصود منه الثمر للاستغلال به ، فذكر النوعين ، ثم إنه لما اطلع على حقيقة اللفظ علم أن الطلح فى هذا الموضع أولى ، وهو أفصح من الكلام الذى ظنه فى غاية الفصاحة فقال المصحف بين لى أنه خير مما كان فى ظنى فالمصحف لا يحول . والذى يؤيد هذا أنه لو كان طلع لكان قوله تعالى (وفاكهة كثيرة) تكرار أحرف من غير فائدة ، وأما على الطلح فتظهر فائدة قوله تعالى (وفاكهة) وسنبينها إن شاء الله تعالى .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ ما المنضود ؟ فنقول إما الورق وإما الثمر ، والظاهر أن المراد الورق ، لأن شجر الموز من أوله إلى أعلاه يكون ورقاً بعد ورق ، وهو ينبت كشجر الحنطة ورقاً بعد ورق وساقه يغلظ وترتفع أوراقه ، ويبقى بعضها دون بعض ، كما فى القصب ، فموز الدنيا إذا ثبت كان بين القصب وبين بعضها فرجة ، وليس عليها ورق ، وموز الآخرة يكون ورقه متصلا بعضه ببعض فهو أكثر أوراقاً ، وقيل المنضود المثمر ، فإن قيل إذا كان الطلح شجراً فهو لا يكون منضوداً . وإنما يكون له ثمر منضود ، فكيف وصف به الطلح ؟ نقول هو من باب حسن الوجه وصف بسبب اتصاف مايتصل به ، يقال : زيد حسن الوجه ، وقد يترك الوجه ويقال زيد حسن والمراد

وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾

حسن الوجه ولا يترك إن أوهم فيصح أن يقال زيد مضروب الغلام ، ولا يجوز ترك الغلام لأنه يوهم الخطأ ، وأما حسن الوجه فيجوز ترك الوجه .

ثم قال تعالى ﴿ وظل ممدود ﴾ وفيه وجوه (الأول) ممدود زماناً ، أى لا زوال له فهو دائم ، كما قال تعالى (أكلها دائم وظلها) أى كذلك (الثانى) ممدود مكاناً ، أى يقع على شىء كبير ويستره من بقعة الجنة (الثالث) المراد ممدود أى منبسط ، كما قال تعالى (والأرض مددناها) فإن قيل كيف يكون الوجه الثانى ؟ نقول الظل قد يكون مرتفعاً ، فإن الشمس إذا كانت تحت الأرض يقع ظلها فى الجو فيترا كم الظل فيسود وجه الارض . وإذا كانت على أحد جانبيها قريبة من الأفق ينبسط على وجه الأرض فيضىء الجو ولا يسخن وجه الأرض ، فيكون فى غاية الطيبة ، فقوله (وظل ممدود) أى عند قيامه عموداً على الأرض كالظل بالليل ، وعلى هذا فالظل ليس ظل الأشجار بل ظل يخلقه الله تعالى .

وقوله تعالى ﴿ وماء مسكوب ﴾ فيه أيضاً وجوه (الأول) مسكوب من فوق ، وذلك لأن العرب أكثر ما يكون عندهم الآبار والبرك فلا سكب للماء عندهم بخلاف المواضع التى فيها العيون النابعة من الجبال الحاكمة على الأرض تسكب عليها (الثانى) جار فى غير أخدود ، لأن الماء المسكوب يكون جارياً فى الهواء ولا نهر هناك ، كذلك الماء فى الجنة (الثالث) كثير وذلك الماء عند العرب عزيز لا يسكب ، بل يحفظ ويشرب ، فإذا ذكروا النعم يعدون كثرة الماء ويعبرون عن كثرتها بإراقتها وسكبها ، والأول أصح .

قوله تعالى : ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ لما ذكر الأشجار التى يطلب منها ورقها ذكر بعدها الأشجار التى يقصد ثمرها ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما الحكمة فى تقديم الأشجار المورقة على غير المورقة ؟ نقول هى ظاهرة ، وهو أنه قدم الورق على الشجر على طريقة الارتقاء من نعمة إلى ذكر نعمة فوقها ، والفواكه أتم نعمة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما الحكمة فى ذكر الأشجار المورقة بأنفسها ، وذكر أشجار الفواكه بثمارها ؟ نقول هى أيضاً ظاهرة ، فإن الأوراق حسنها عند كونها على الشجر ، وأما الثمار فهى فى أنفسها مطلوبة سواء كانت عليها أو مقطوعة ، ولهذا صارت الفواكه لها أسماء بها تعرف أشجارها ، فيقال شجر التين وورقه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما الحكمة فى وصف الفاكهة بالكثرة ، لا بالطيب واللذة ؟ نقول قد بينا فى سورة الرحمن أن الفاكهة فاعلة كالراضية فى قوله (فى عيشة راضية) أى ذات فكهة ، وهى لا تكون بالطبيعة إلا بالطيب واللذة ، وأما الكثرة ، فبينا أن الله تعالى حيث ذكر الفاكهة ذكر ما يدل على الكثرة ، لأنها ليست لدفع الحاجة حتى تكون بقدر الحاجة ، بل هى للتنعم ، فوصفها بالكثرة والتنوع .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ (لا مقطوعة) أى ليست كفواكه الدنيا ، فإنها تنقطع فى أكثر الأوقات والأزمان ، وفى كثير من المواضع والأماكن (ولا ممنوعة) أى لا تمتنع من الناس لطلب الأعواض والأثمان ، والممنوع من الناس لطلب الأعواض والأثمان ظاهر فى الحس ، لأن الفاكهة فى الدنيا تمنع عن البعض فهى ممنوعة ، وفى الآخرة ليست ممنوعة . وأما القطع فيقال فى الدنيا إنها انقطعت فهى منقطعة لا مقطوعة ، فقوله تعالى (لا مقطوعة) فى غاية الحسن ، لأن فيه إشارة إلى دليل عدم القطع ، كما أن فى (لا ممنوعة) دليلا على عدم المنع ، وبيانه هو أن الفاكهة فى الدنيا لا تمنع إلا لطلب العوض ، وحاجة صاحبها إلى ثمنها لدفع حاجة به ، وفى الآخرة مالكها الله تعالى ولا حاجة له ، فلزم أن لا تمنع الفاكهة من أحد كالذى له فاكهة كثيرة ، ولا يأكل ولا يبيع ، ولا يحتاج إليها بوجه من الوجوه لا شك فى أن يفرقها ولا يمنعها من أحد . وأما الانقطاع فنقول الذى يقال فى الدنيا : الفاكهة انقطعت ، ولا يقال عند وجودها : امتنعت ، بل يقال : منعت ، وذلك لأن الإنسان لا يتكلم إلا بما يفهمه الصغير والكبير ، ولكن كل أحد إذا نظر إلى الفاكهة زمان وجودها يرى أحدا يحوزها ويحفظها ولا يراها بنفسها تمتنع فيقول أنها ممنوعة ، وأما عند انقطاعها وفقدها لا يرى أحداً قطعها حساً وأعدمها . فيظنها منقطعة بنفسها لعدم إحساسه بالقاطع ووجود إحساسه بالمانع ، فقال تعالى : لو نظرتم فى الدنيا حق النظر علمتم أن كل زمان نظراً إلى كونه ليلا ونهاراً ممكن فيه الفاكهة فهى بنفسها لا تنقطع ، وإنما لا توجد عند المحقق لقطع الله إياها وتخصيصها بزمان دون زمان ، وعند غير المحقق لبرد الزمان وحره ، وكونه محتاجاً إلى الظهور والنمو والزهر ولذلك تجرى العادة بأزمنة فهى يقطعها الزمان فى نظر غير المحقق فإذا كانت الجنة ظلها ممدوداً لا شمس هناك ولا زمهرير استوت الأزمنة والله تعالى يقطعها فلا تكون مقطوعة بسبب حقيقى ولا ظاهر ، فالمقطوع يتفكر الإنسان فيه ويعلم أنه مقطوع لا منقطع من غير قاطع ، وفى الجنة لا قاطع فلا تصير مقطوعة .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قدم نفى كونها مقطوعة لما أن القطع للموجود والمنع بعد الوجود لأنها توجد أولا ثم تمنع فإن لم تكن موجودة لا تكون ممنوعة محفوظة فقال لا تقطع فتوجد أبداً ثم إن ذلك الموجود لا يمنع من أحد وهو ظاهر غير أنا نحب أن لا نترك شيئاً مما يخطر بالبال ويكون صحيحاً ،

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾

ثم قال تعالى ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ وقد ذكرنا معنى الفرش ونذكر وجهاً آخر فيها إن شاء الله تعالى وأما المرفوعة ففيها ثلاثة أوجه (أحدها) مرفوعة القدر يقال ثوب رفيع أى عزيز مرتفع القدر والثمن ويدل عليه قوله تعالى (على فرش بطائنها) (وثانيها) مرفوعة بعضها فوق بعض (ثالثها) مرفوعة فوق السرير .

قوله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً ، فجعلناهن أبكاراً ، عرباً أتراباً ، لأصحاب اليمين ﴾ وفى الإنشاء مسائل :

﴿ **المسألة الأولى** ﴾ الضمير فى (أنشأناهن) عائد إلى من ؟ فيه ثلاثة أوجه (أحدها) إلى حور عين وهو بعيد لبعدهن ووقوعهن فى قصة أخرى (ثانيها) أن المراد من الفرش النساء والضمير عائد إليهن لقوله تعالى (هن لباس لكم) ، ويقال للجارية صارت فراشاً . وإذا صارت فراشاً رفع قدرها بالنسبة إلى جارية لم تصر فراشاً ، وهو أقرب من الأول لكن يبعد ظاهراً لأن وصفها بالمرفوعة ينبىء عن خلاف ذلك (وثالثها) أنه عائد إلى معلوم دل عليه فرش لأنه قد علم فى الدنيا وفى مواضع من ذكر الآخرة ، أن فى الفرش حظايا تقديره وفى فرش مرفوعة حظايا منشآت وهو مثل ماذكر فى قوله تعالى (قاصرات الطرف ، ومقصورات) فهو تعالى أقام الصفة مقام الموصوف ولم يذكر نساء الآخرة بلفظ حقيقى أصلا وإنما عرفهن بأوصافهن ولباسهن إشارة إلى صونهن وتخدرهن ، وقوله تعالى (إنا أنشأناهن) يحتمل أن يكون المراد الحور فيكون المراد الإنشاء الذى هو الابتداء ، ويحتمل أن يكون المراد بنات آدم فيكون الإنشاء بمعنى احياء الاعادة ، وقوله تعالى (أبكاراً) يدل على الثانى لأن الإنشاء لو كان بمعنى الابتداء لعلم من كونهن أبكاراً من غير حاجة إلى بيان ولما كان المراد إحياء بنات آدم قال (أبكاراً) أى نجعلهن أبكاراً وإن متن ثيبات ، فإن قيل فما الفائدة على الوجه الأول ؟ نقول الجواب من وجهين (الأول) أن الوصف بعدها لا يكون من غيرها إذا كن أزواجهم بين الفائدة لأن البكر فى الدنيا لا تكون عارفة بلذة الزوج فلا ترضى بأن تتزوج من رجل لا تعرفه وتختار التزويج بأقرانها ومعارفها لكن أهل الجنة إذا لم يكن من جنس أبناء آدم وتكون الواحدة منهن بكراً لم تر زوجاً ثم تزوجت بغير جنسها فربما يتوهم منها سوء عشرة فقال (أبكاراً) فلا يوجد فيهن ما يوجد فى أبكار الدنيا (الثانى) المراد أبكاراً بكارة تخالف بكارة الدنيا ، فإن البكارة لا تعود إلا على بعد . وقوله تعالى (أتراباً) يحتمل وجوها (أحدها) مستويات فى السن فلا تفضل إحداهن على الأخرى بصغر ولا كبر كلهن خلقن فى زمان

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

واحد ، ولا يلحقهن عجز ولا زمانة ولا تغير لون ، وعلى هـذا إن كن من بنات آدم فاللفظ فيهن حقيقة ، وإن كن من غيرهن فمعناه ما كبرن سمين به لأن كلا منهن تمس وقت مس الأخرى لكن نسى الأصل ، وجعل عبارة عن ذلك كاللذة المتساويين من العقلاء ، فأطلق على حور الجنة أترابا (ثانيها) أترابا متماثلات فى النظر إليهن كالأتراب سواء وجدن فى زمان أو فى أزمنة . والظاهر أنه فى أزمنة لأن المؤمن إذا عمل عملا صالحاً خلق له منهن ماشاء الله (ثالثها) أترابا لأصحاب اليمين ، أى على سنهم ، وفيه إشارة إلى الاتفاق ، لأن أحد الزوجين إذا كان أكبر من الآخر فالشاب يعيره .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إن قيل ما الفائدة فى قوله (فجعلناهن) ؟ نقول فائدته ظاهرة تتبين بالنظر إلى اللام فى (لأصحاب اليمين) فنقول إن كانت اللام متعلقة بأترابا يكون معناه (أنشأناهن) وهذا لا يجوز وإن كانت متعلقة بأنشأناهن يكون معناه أنشأناهن لأصحاب اليمين والإنشاء حال كونهن أبكاراً وأترابا فلا يتعلق الإنشاء بالأبكار بحيث يكون كونهن أبكاراً بالإنشاء لأن الفعل لا يؤثر فى الحال تأثيراً واجباً فنقول صرفه للانشاء لا يدل على أن الإنشاء كان بفعل فيكون الإنعام عليهم بمجرد إنشائهن لأصحاب اليمين (فجعلناهن أبكاراً) ليكون ترتيب المسبب على السبب فاقتضى ذلك كونهن أبكاراً ، وأما إن كان الإنشاء أولا من غير مباشرة الأزواج ماكان يقتضى جعلهن أبكاراً فالفاء لترتيب المقتضى على المقتضى .

ثم قال تعالى ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ وقد ذكرنا مافيه لكن هنا (لطيفة) وهى أنه تعالى قال فى السابقين (ثلة من الأولين) قبل ذكر السرر والفاكهة والحور وذكر فى أصحاب اليمين (ثلة من الأولين) بعد ذكر هذه النعم ، نقول السابقون لايلتفتون إلى الحور العين والمأكول والمشروب ونعم الجنة تتشرف بهم ، وأصحاب اليمين يلتفتون إليها فقدم ذكرها عليهم ثم قال هذا الكم وأما السابقون فذكرهم أولا ثم ذكر مكانهم ، فكأنه قال لأهل الجنة هؤلاء واردون عليكم . والذى يتمم هذه اللطيفة أنه تعالى لم يقدم ثلة السابقين إلا لكونهم مقربين حساً فقال : (المقربون فى جنات) ثم قال (ثلة) ثم ذكر النعم لكونها فوق الدنيا إلا المودة فى القربى من الله فإنها فوق كل شىء ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) أى فى المؤمنين ووعد المرسلين بالزلفى فى قوله (وإن له عندنا لزلفى) وأما قوله (فى جنات النعيم) فقد ذكرنا أنه لتمييز مقربى المؤمنين من مقربى الملائكة ، فإنهم مقربون فى الجنة وهم مقربون فى أماكنهم لقضاء الأشغال التى للناس وغيرهم بقدرة الله وقد بان من هذا أن المراد من أصحاب اليمين هم الناجون الذين أذنبوا وأسرفوا وعفا الله عنهم بسبب أدنى حسنة لا الذين غلبت حسناتهم وكثرت . وسنذكر الدليل عليه فى قوله تعالى (فسلام لك من أصحاب اليمين) .

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ﴾ وفيه مسائل :

﴿ **المسألة الأولى** ﴾ ما الحكمة فى ذكر السموم والحميم وترك ذكر النار وأهوالها ؟ نقول فيه إشارة بالأدنى إلى الأعلى فقال هواؤهم الذى يهب عليهم سموم ، وماؤهم الذى يستغيثون به حميم ، مع أن الهواء والماء أبرد الأشياء ، وهما أى السموم والحميم من أضر الاشياء بخلاف الهواء والماء فى الدنيا فإنهما من أنفع الأشياء فما ظنك بنارهم التى هى عندنا أيضاً أحر ، ولو قال : هم فى نار ، كنا نظن أن نارهم كنارنا لأنا مارأينا شيئاً أحر من التى رأيناها ، ولا أحر من السموم ، ولا أبرد من الزلال ، فقال أبرد الأشياء لهم أحرها فكيف حالهم مع أحرها ، فإن قيل ما السموم ؟ نقول المشهور هى ريح حارة تهب فتمرض أو تقتل غالباً ، والأولى أن يقال هى هواء متعفن ، يتحرك من جانب إلى جانب فإذا استنشق الإنسان منه يفسد قلبه بسبب العفونة ويقتل الإنسان ، وأصله من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما ، ويحتمل أن يكون هذا السم من السم ، وهو خرم الإبرة ، كما قال تعالى (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) لأن سم الأفعى ينفذ فى المسام فيفسدها ، وقيل إن السموم مختصة بما يهب ليلا ، وعلى هذا فقوله (سموم) إشارة الى ظلمة ماهم فيه غير أنه بعيد جداً ، لأن السموم قد ترى بالنهار بسبب كثافتها .

﴿ **المسألة الثانية** ﴾ الحميم هو الماء الحار وهو فعيل بمعنى فاعل من حم الماء بكسر الميم ، أو بمعنى مفعول من حم الماء إذا سخنه ، وقد ذكرناه مراراً غير أن ههنا (لطيفة لغوية) وهى أن فعولا لما تكرر منه الشيء والريح لما كانت كثيرة الهبوب تهب شيئاً بعد شيء خص السموم بالفعول ، والماء الحار لما كان لا يفهم منه الورود شيئاً بعد شيء لم يقل فيه حموم ، فإن قيل ما اليحموم ؟ نقول فيه وجوه (أولها) أنه إسم من أسماء جهنم (ثانيها) أنه الدخان (ثالثها) أنه الظلمة ، وأصله من الحمم وهو الفحم فكأنه لسواده فحم فسموه باسم مشتق منه ، وزيادة الحرف فيه لزيادة ذلك المعنى فيه ، وربما تكون الزيادة فيه جاءت لمعنيين : الزيادة فى سواده والزيادة فى حرارته ، وفى الأمور الثلاثة إشارة إلى دونهم فى العذاب دائماً لأنهم إن تعرضوا لمهب الهواء أصابهم الهواء الذى هو السموم ، وإن استكنوا كما يفعله الذى يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان فى الكن يكونوا فى ظل من يحموم وإن أرادوا الرد عن أنفسهم السموم بالاستكنان فى مكان من حميم فلا انفكاك لهم من عذاب الجحيم ، ويحتمل أن يقال فيه ترتيب وهو أن السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم فى أحشائه فيشرب الماء

لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾

فيقطع أمعاءه ويريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل ظل اليحموم ، فإن قيل كيف وجه استعمال من في قوله تعالى (من يحموم) ؟ فنقول إن قلنا أنه اسم جهنم فهو لابتداء الغاية كما تقول جاءني نسيم من الجنة ، وإن قلنا إنه دخان فهو كما في قولنا خاتم من فضة ، وإن قلنا إنه الظلمة فكذلك ، فإن قيل كيف يصح تفسيره بجهنم مع أنه اسم منصرف منكر فكيف وضع لمكان معرف ، ولو كان اسماً لها ، قلنا استعماله بالألف واللام كالجحيم ، أو كان غير منصرف كأسماء جهنم يكون مثله على ثلاثة مواضع كلها يحموم .

ثم قال تعالى ﴿ لا بارد ولا كريم ﴾ قال الزمخشري : كرم الظل نفعه الملهوف ، ودفعه أذى الحر عنه ، ولو كان كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد ، والأقرب أن يقال فائدة الظل أمران : أحدهما دفع الحر ، والآخر كون الإنسان فيه مكرماً ، وذلك لأن الإنسان في البرد يقصد عين الشمس ليتدفأ بحرها إذا كان قليل الثياب ، فإذا كان من المكرمين يكون أبداً في مكان يدفع الحر والبرد عن نفسه في الظل ، أما الحر فظاهر ، وأما البرد فيدفعه بإدفاء الموضع بإيقاد ما يدفئه ، فيكون الظل في الحر مطلوباً للبرد فيطلب كونه بارداً ، وفي البرد يطلب لكونه ذا كرامة لا لبرد يكون في الظل : فقال (لا بارد) يطلب لبرده ، ولا ذي كرامة قد أعد للجلوس فيه ، وذلك لأن المواضع التي يقع عليها ظل كالمواضع التي تحت أشجار وأمام الجدار يتخذ منها مقاعد فتصير تلك المقاعد محفوظة عن القاذورات ، وباقي المواضع تصير مزابل ، ثم إذا وقعت الشمس في بعض الأوقات عليها تطلب لنظافتها ، وكونها معدة للجلوس ، فتكون مطلوبة في مثل هذا الوقت لأجل كرامتها لا لبردها ، فقوله تعالى (لا بارد ولا كريم) يحتمل هذا ، ويحتمل أن يقال : إن الظل يطلب لأمر يرجع إلى الحس ، أو لأمر يرجع إلى العقل ، فالذي يرجع إلى الحس هو برده ، والذي يرجع إلى العقل أن يكون الرجوع إليه كرامة ، وهذا لا برد له ولا كرامة فيه ، وهذا هو المراد بما نقله الواحدي عن الفراء أن العرب تتبع كل منفي بكريم إذا كان المنفي أكرم فيقال هذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة ، والتحقيق فيه ما ذكرنا أن وصف الكمال ، إما حسي ، وإما عقلي ، والحسي يصرح بلفظه ، وأما العقلي فلخفائه عن الحس يشار إليه بلفظ جامع ، لأن الكرامة ، والكرامة عند العرب من أشهر أوصاف المدح ونفيهما نفي وصف الكمال العقلي ، فيصير قوله تعالى (لا بارد ولا كريم) معناه لا مدح فيه أصلا لا حساً ولا عقلا .

قوله تعالى : ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على الحنث العظيم ، وكانوا يقولون

أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾

أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ، أو آباؤنا الأولون ﴾ وفى الآيات لطائف ، نذكرها فى مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما الحكمة فى بيان سبب كونهم فى العذاب مع أنه تعالى لم يذكر سبب كون أصحاب اليمين فى النعيم ، ولم يقل إنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين ؟ فنقول قد ذكرنا مراراً أن الله تعالى عند إيصال الثواب لا يذكر أعمال العباد الصالحة ، وعند إيصال العقاب يذكر أعمال المسيئين لأن الثواب فضل والعقاب عدل ، والفضل سواء ذكر سببه أولم يذكر لا يتوهم فى المتفضل به نقص وظلم . وأما العدل فإن لم يعلم سبب العقاب ، يظن أن هناك ظلماً فقال هم فيها بسبب ترفهم ، والذى يؤيد هذه اللطيفة أن الله تعالى قال فى حق السابقين (جزاء بما كانوا يعملون) ولم يقل فى حق أصحاب اليمين ، ذلك لأنا أشرنا أن أصحاب اليمين هم الناجون بالفضل العظيم ، وسنبين ذلك فى قوله تعالى (فسلام لك) وإذا كان كذلك فالفضل فى حقهم متمحض فقال هذه النعم لكم ، ولم يقل جزاء لأن قوله (جزاء) فى مثل هذا الموضع ، وهو موضع العفو عنهم لا يثبت لهم سروراً بخلاف من كثرت حسناته ، فيقال له نعم ما فعلت خذ هذا لك جزاء .

﴿ المسألة الثانية ﴾ جعل السبب كونهم مترفين وليس كل من هو من أصحاب الشمال يكون مترفاً فإن فيهم من يكون فقيراً ؟ نقول قوله تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) ليس بذم ، فإن المترف هو الذى جعل ذا ترف أى نعمة ، فظاهر ذلك لا يوجب ذماً ، لكن ذلك يبين قبح ماذكر عنهم بعده وهو قوله تعالى (وكانوا يصرون) لأن صدور الكفران ممن عليه غاية الإنعام أقبح القبائح فقال : إنهم كانوا مترفين ، ولم يشكروا نعم الله بل أصروا على الذنب وعلى هذا فنقول النعم التى تقتضى شكر الله وعبادته فى كل أحد كثيرة فان الخلق والرزق وما يحتاج إليه وتتوقف مصالحه عليه حاصل للكل ، غاية ما فى الباب أن حال الناس فى الإتراف متقارب ، فيقال فى حق البعض بالنسبة إلى بعض إنه فى ضر ، ولو حمل نفسه على القناعة لكان أغنى الأغنياء وكيف لا والإنسان إذا نظر إلى حالة يجدها مفتقرة إلى مسكن يأوى إليه ولباس الحر والبرد وما يسد جوعه من المأكول والمشروب ، وغير هذا من الفضلات التى يحمل عليها شح النفس ، ثم إن أحداً لا يغلب عن تحصيل مسكن باشتراء أو اكتراء ، فإن لم يكن فليس هو أعجز من الحشرات ، لا تفقد مدخلا أو مغارة ، وأما اللباس فلو اقتنع بما يدفع الضرورة كان يكفيه فى عمره لباس واحد ، كلما تمزق منه موضع يرقعه من أى شىء كان ، بقى أمر المأكول والمشروب ، فإذا نظر الناظر يجد كل أحد فى جميع الأحوال غير مغلوب عن كسرة خبز وشربة ماء ، غير أن طلب الغنى يورث الفقر . فيريد الإنسان بيتاً مزخرفاً ولباساً فاخراً ومأكولا طيباً ، وغير ذلك من أنواع الدواب

والثياب ، فيفتقر إلى أن يحمل المشاق ، وطلب الغنى يورث فقره ، وارتياد الارتفاع يحط قدره ، وبالجملة شهوة بطنه وفرجه تكسر ظهره على أننا نقول فى قوله تعالى (كانوا قبل ذلك مترفين) لا شك أن أهل القبور لما فقدوا الأيدى الباطشة ، والأعين الباصرة ، وان لهم الحقائق ، علموا (أنهم كانوا قبل ذلك مترفين) بالنسبة إلى تلك الحالة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما الإصرار على الحنث العظيم ؟ نقول الشرك ، كما قال تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) وفيها لطيفة وهى أنه أشار فى الآيات الثلاث إلى الأصول الثلاثة فقوله تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) من حيث الاستعمال يدل على ذمهم بإنكار الرسل ، إذ المترف متكبر بسبب الغنى فينكر الرسالة ، والمترفون كانوا يقولون (أبشراً منا واحداً نتبعه) وقوله (يصرون على الحنث العظيم) إشارة إلى الشرك ومخالفة التوحيد ، وقوله تعالى (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً) إشارة إلى إنكار الحشر والنشر ، وقوله تعالى (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) فيه مبالغات من وجوه (أحدها) قوله تعالى (كانوا يصرون) وهو آكد من قول القائل : إنهم قبل ذلك أصروا لأن اجتماع لفظى الماضى والمستقبل يدل على الاستمرار ، لأن قولنا : فلان كان يحسن إلى الناس ، يفيد كون ذلك عادة له (ثانيها) لفظ الإصرار فإن الإصرار مداومة المعصية والغلول ، ولا يقال فى الخير أصر (ثالثها) الحنث فانه فوق الذنب فان الحنث لا يكاد فى اللغة يقع على الصغيرة والذنب يقع عليها ، وأما الحنث فى اليمين فاستعملوه لأن نفس الكذب عند العقلاء قبيح ، فان مصلحة العالم منوطة بالصدق وإلا لم يحصل لأحد بقول أحد ثقة فلا يبنى على كلامه مصالح ، ولا يجتنب عن مفاسد ، ثم إن الكذب لما وجد فى كثير من الناس لأغراض فاسدة أرادوا توكيد الأمر بضم شىء إليه يدفع توهمه فضموا إليه الأيمان ولا شىء فوقها ، فإذا حنث لم يبق أمر يفيد الثقة فيلزم منه فساد فوق فساد الزنا والشرب ، غير أن اليمين إذا كانت على أمر مستقبل ورأى الحالف غيره جوز الشرع الحنث ولم يجوزه فى الكبيرة كالزنا والقتل لكثرة وقوع الأيمان وقلة وقوع القتل والذى يدل على أن الحنث هو الكبيرة قولهم للبالغ : بلغ الحنث ، أى بلغ مبلغاً بحيث يرتكب الكبيرة وقبله ما كان ينفى عنه الصغيرة ، لأن الولى مأمور بالمعاقبة على إساءة الأدب وترك الصلاة .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله تعالى (العظيم) هذا يفيد أن المراد الشرك ، فان هذه الأمور لا تجتمع فى غيره .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ كيف اشتهر (متنا) بكسر الميم مع أن استعمال القرآن فى المستقبل يموت قال تعالى عن يحيى وعيسى عليهما السلام (ويوم أموت) ولم يقرأ أمات على وزن أخاف ، وقال تعالى (قل موتوا) ولم يقل قل ماتوا ، وقال تعالى (ولا تموتن) ولم يقل ولا تماتوا كما قال (ولا تخافوا) قلنا فيه وجهان (أحدهما) أن هذه الكلمة خالفت غيرها ، فقيل فيها (أموت) والسماع مقدم على القياس (والثانى) مات يمات لغة فى مات يموت ، فاستعمل ما فيها الكسر لأن

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

الكسر فى الماضى يوجد أكثر الأمرين (أحدهما) كثرة يفعل على يفعل (وثانيهما) كونه على فعل يفعل، مثل خاف يخاف، وفى مستقبلها الضم لأنه يوجد لسببين (أحدهما) كون الفعل على فعل يفعل، مثل طال يطول، فان وصفه بالتطويل دون الطائل يدل على أنه من باب قصر يقصر، (وثانيهما) كونه على فعل يفعل، تقول فعلت فى الماضى بالكسر وفى المستقبل بالضم.

﴿ المسألة السادسة ﴾ كيف أتى باللام المؤكدة فى قوله (لمبعوثون) مع أن المراد هو النفى وفى النفى لا يذكر فى خبر إن اللام يقال إن زيداً ليجيء وإن زيداً لا يجيء، فلا نذكر اللام، وما مرادهم بالاستفهام إلا الإنكار بمعنى إنا لا نبعث؟ نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) عند إرادة التصريح بالنفى يوجد التصريح بالنفى وصيغته (ثانيهما) أنهم أرادوا تكذيب من يخبر عن البعث فذكروا أن المخبر عنه يبالغ فى الاخبار ونحن نستكثر مبالغته وتأكيده. فحكوا كلامهم على طريقة الاستفهام بمعنى الإنكار، ثم إنهم اشاروا فى الإنكار إلى أمور اعتقدوها مقررة لصحة إنكارهم فقالوا أولا (أئذا متنا) ولم يقتصروا عليه بل قالوا بعده (وكنا تراباً وعظاماً) أى فطال عهدنا بعد كوننا أمواتاً حتى صارت اللحوم تراباً والعظام رفاتاً، ثم زادوا وقالوا مع هذا يقال لنا (إنكم لمبعوثون) بطريق التأكيد من ثلاثة أوجه (أحدها) استعمال كلمة إن (ثانيها) إثبات اللام فى خبرها (ثالثها) ترك صيغة الاستقبال، والإتيان بالمفعول كأنه كائن، فقالوا لنا (إنكم لمبعوثون) ثم زادوا وقالوا (أوآباؤنا الأولون) يعنى هذا أبعد فإنا إذا كنا تراباً بعد موتنا والآباء حالهم فوق حال العظام الرفات فكيف يمكن البعث؟ وقد بينا فى سورة والصافات هذا كله وقلنا إن قوله (أوآباؤنا الأولون) معناه: أو يقولوا آباؤنا الأولون، إشارة إلى أنهم فى الإشكال أعظم، ثم إن الله تعالى أجابهم ورد عليهم فى الجواب فى كل مبالغة بمبالغة أخرى فقال:

﴿ قل إن الأولين والآخرين، لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ فقوله قل إشارة إلى أن الأمر فى غاية الظهور، وذلك أن فى الرسالة أسراراً لا تقال إلا للأبرار، ومن جملتها تعيين وقت القيامة لأن العوام لو علموا لا تكلوا والأنبياء ربما اطلعوا على علاماتها أكثر مما بينوا وربما بينوا للأكابر من الصحابة علامات على ما نبين ففيه وجوه (أولها) قوله (قل) يعنى أن هذا من جملة الأمور التى بلغت فى الظهور إلى حد يشترك فيه العوام والخواص، فقال قل قولا عاماً وهكذا فى كل موضع، قال قل كان الأمر ظاهراً، قال الله تعالى (قل هو الله أحد) وقال (قل إنما أنا بشر مثلكم) وقال (قل الروح من أمر ربى) أى هذا هو الظاهر من أمر الروح وغيره خفى (ثانيها) قوله تعالى (إن الأولين والآخرين) بتقديم الأولين على الآخرين فى جواب قولهم (أوآباؤنا الأولون) فإنهم أخروا ذكر الآباء لكون الاستبعاد فيهم أكثر، فقال (إن الأولين) الذين تستبعدون بعثهم وتؤخرونهم يبعثهم الله فى أمر مقدم على الآخرين، يتبين منه إثبات

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾

حال من أخرتموه مستبعدين ، إشارة إلى كون الأمر هيناً (ثالثها) قوله تعالى (لمجموعون) فإنهم أنكروا قوله (لمبعوثون) فقال هو واقع مع أمر زائد ، وهو أنهم يحشرون ويجمعون فى عرصة الحساب ، وهذا فوق البعث ، فان من بقى تحت التراب مدة طويلة ثم حشر ربما لا يكون له قدرة على الحركة ، وكيف لو كان حياً محبوساً فى قبره مدة لتعذرت عليه الحركة ، ثم إنه تعالى بقدرته يحركه بأسرع حركة ويجمعه بأقوى سير ، وقوله تعالى (لمجموعون) فوق قول القائل مجموعون كما قلنا إن قول القائل : إنه يموت فى إفادة التوكيد دون قوله إنه ميت (رابعها) قوله تعالى (إلى ميقات يوم معلوم) فإنه يدل على أن الله تعالى يجمعهم فى يوم واحد معلوم ، واجتماع عدد من الأموات لا يعلم عددهم إلا الله تعالى فى وقت واحد أعجب من نفس البعث ، وهذا كقوله تعالى فى سورة والصافات (فإنما هى زجرة واحدة) أى أنتم تستبعدون نفس البعث ، والأعجب من هذا أنه يبعثهم بزجرة واحدة أى صيحه واحدة (فاذا هم ينظرون) أى يبعثون مع زيادة أمر ، وهو فتح أعينهم ونظرهم ، بخلاف من نعس فانه إذا انتبه يبقى ساعة ثم ينظر فى الأشياء ، فأمر الإحياء عند الله تعالى أهون من تنبيه نائم (خامسها) حرف (إلى) أدل على البعث من اللام ، ولنذكر هذا فى جواب سؤال هو أن الله تعالى قال (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وقال هنا (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) ولم يقل لميقاتنا وقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) ؟ نقول لما كان ذكر الجمع جواباً للمنكرين المستبعدين ذكر كلمة (إلى) الدالة على التحرك والانتقال لتكون أدل على فعل غير البعث ولا يجمع هناك قال (يوم يجمعكم ليوم) ولا يفهم النشور من نفس الحرف وإن كان يفهم من الكلام ، ولهذا قال ههنا (لمجموعون) بلفظ التأكيد ، وقال هناك (يجمعكم) وقال ههنا (إلى ميقات) وهو مصير الوقت إليه ، وأما قوله تعالى (فلما جاء موسى لميقاتنا) فنقول الموضع هناك لم يكن مطلوب موسى عليه السلام ، وإنما كان مطلوبه الحضور ، لأن من وقت له وقت وعين له موضع كانت حركته فى الحقيقة لأمر بالتبع إلى أمر ، وأما هناك فالأمر الأعظم الوقوف فى موضعه لازمانه فقال بكلمة دلالتها على الموضع والمكان أظهر .

قوله تعالى : ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر من زقوم ، فمالئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم ﴾ فى تفسير الآيات مسائل :

﴿ **المسألة الأولى** ﴾ الخطاب مع من ؟ نقول قال بعض المفسرين مع أهل مكة ، والظاهر أنه عام مع كل ضال مكذب وقد تقدم مثل هذا فى مواضع ، وهو تمام كلام النبى صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى قال لنبيه (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون) ثم إنكم تعذبون بهذه الأنواع من العذاب .

﴿ **المسألة الثانية** ﴾ قال ههنا (الضالون المكذبون) بتقديم الضال وقال فى آخر السورة (وأما إن كان من المكذبين الضالين) بتقديم المكذبين ، فهل بينهما فرق ؟ قلت نعم ، وذلك أن المراد من الضالين ههنا هم الذين صدر منهم الإصرار على الحنث العظيم ، فضلوا فى سبيل الله ولم يصلوا إليه ولم يوحدوه ، وذلك ضلال عظيم ثم كذبوا رسله وقالوا (أئذامتنا) فكذبوا بالحشر ، فقال (أيها الضالون) الذين أشركتم (المكذبون) الذين أنكرتم الحشر لما كان ما تكرهون ، وأما هناك فقال لهم (أيها المكذبون) الذين كذبتم بالحشر (الضالون) فى طريق الخلاص الذين لا يهتدون إلى النعيم ، وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب هنا مع الكفار فقال : يا أيها الذين ضللتم أولا وكذبتم ثانياً ، والخطاب فى آخر السورة مع محمد صلى الله عليه وسلم يبين له حال الأزواج الثلاثة فقال : المقربون فى روح وريحان وجنة ونعيم ، وأصحاب اليمين فى سلام ، وأما المكذبون الذين كذبوا فقد ضلوا فقدم تكذيبهم إشارة إلى كرامة محمد صلى الله عليه وسلم حيث بين أن أقوى سبب فى عقابهم تكذيبهم والذى يدل على أن الكلام هناك مع محمد صلى الله عليه وسلم قوله (فسلام لك من أصحاب اليمين) .

﴿ **المسألة الثالثة** ﴾ ما الزقوم ؟ نقول قد بيناه فى موضع آخر واختلف فيه أقوال الناس ومآل الأقوال إلى كون ذلك فى الطعم مراً وفى اللمس حاراً ، وفى الرائحة منتناً ، وفى المنظر أسود لا يكاد آكله يسيغه فيكره على ابتلاعه ، والتحقيق اللغوى فيه أن الزقوم لغية عربية دلنا تركيبه على قبحه ، وذلك لأن زق لم يجتمع إلا فى مهمل أو فى مكروه منه مزق ، ومنه زمق شعره إذا نتفه ، ومنه القزم للدناءة ، وأقوى من هذا أن القاف مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل على المكروه فى أكثر الأمر ، فالقاف مع الميم قمامة وقمقمة ، وبالعكس مقامق ، الغليظ الصوت والقمقمة هو السنور ، وأما القاف مع الزاى فالزق رمى الطائر بذرقه ، والزقزقة الخفة ، وبالعكس القزنوب فينفر الطبع من تركيب الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح ، ثم قرن بالأكل فدل على أنه طعام ذو غصة ، وأما ما يقال بأن العرب تقول : زقمتنى بمعنى أطعمتنى الزبد والعسل واللبن ، فذلك المجانة كقولهم : أرشقنى بثوب حسن ، وأرجمنى بكيس من ذهب ، وقوله (من شجر) لابتداء الغاية أى تناولكم منه ، وقوله (فمالئون منها) زيادة فى بيان العذاب أى لا يكتفى منكم بنفس كما الأكل يكتفى من يأكل الشىء لتحلة القسم ، بل يلزمون بأن يملأوا منها البطون والهاء عائدة إلى الشجرة ، والبطون يحتمل أن يكون المراد منه مقابلة الجمع بالجمع أى يملأ كل واحد منكم بطنه

هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾

ويحتمل أن يكون المراد أن كل واحد منكم يملأ البطون ، والبطون حينئذ تكون بطون الأمعاء ، لتخيل وصف المعى فى باطن الإنسان له ، كيأكل فى سبعة أمعاء ، فيملأون بطون الأمعاء وغيرها . والأول أظهر ، والثانى أدخل فى التعذيب والوعيد ، قوله (فشاربون عليه) أى عقيب الأكل تجر مرارته وحرارته إلى شرب الماء فيشربون على ذلك المأكول وعلى ذلك الزقوم من الماء الحار ، وقد تقدم بيان الحميم ، وقوله (فشاربون شرب الهيم) بيان أيضاً لزيادة العذاب أى لا يكون أمركم أمر من شرب ماءاً حاراً منتناً فيمسك عنه بل يلزمكم أن تشربوا منه مثل ماتشرب الهيم وهى الجمال التى أصابها العطاش فتشرب ولاتروى ، وهذا البيان فى الشرب لزيادة العذاب ، وقوله (فمالئون منها) فى الأكل ، فإن قيل الأهيم إذا شرب الماء الكثير يضره ولكن فى الحال يلتذ به . فهل لأهل الجحيم من شرب الحميم الحار فى النار لذة ؟ قلنا لا ، وإنما ذلك لبيان زيادة العذاب ، ووجهه أن يقال : يلزمون بشرب الحميم ولا يكتفى منهم بذلك الشرب بل يلزمون أن يشربوا كما يشرب الجمل الأهيم الذى به الهيام ، أو هم إذا شربوا تزداد حرارة الزقوم فى جوفهم فيظنون أنه من الزقوم لا من الحميم فيشربون منه شيئاً كثيراً بناء على وهم الرى ، والقول فى الهيم كالقول فى البيض ، أصله هوم ، وهذا من هام يهيم كأنه من العطش يهيم ، والهيام ذلك الداء الذى يجعله كالهائم من العطش .

ثم قال تعالى ﴿ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ يعنى ليس هذا كل العذاب بل هذا أول مايلقونه وهو بعض منه وأقطع لأمعائهم .

ثم قال تعالى ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، أفرأيتم ماتمنون ، ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ دليلا على كذبهم وصدق الرسل فى الحشر لأن قوله (ءأنتم تخلقونه إلزام على الإقرار بأن الخالق فى الابتداء هو الله تعالى ، ولما كان قادراً على الخلق أولا كان قادراً على الخلق ثانياً ، ولا مجال للنظر فى ذاته وصفاته تعالى وتقدس ، وإن لم يعترفوا به ، بل يشككون ويقولون : الخالق الأول من منى بحسب الطبيعة ، فنقول المنى من الأمور الممكنة ولا وجود للممكن بذاته بل بالغير على ماعرف ، فيكون المنى من القادر القاهر ، وكذلك خلق الطبيعة وغيرها من الحادثات أيضاً ، فقال لهم : هل تشكون فى أن الله خلقكم أولا أم لا ؟ فإن قالوا لا نشك فى أنه خالقاً ، فيقال فهل تصدقون أيضاً بخلقكم ثانياً ؟ فإن من خلقكم أولا من لا شىء لا يعجز أن يخلقكم ثانياً من أجزاء هى عنده معلومة ، وإن كنتم تشكون وتقولون الخلق لا يكون إلا من منى وبعد الموت لا والده ولا منى ، فيقال لهم : هذا المنى أنتم تخلقونه أم الله ، فإن كنتم تعترفون بالله وبقدرته وإرادته وعمله ، فذلك

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ

يلزمكم القول بجواز الحشر وصحته ، و(لولا) كلمة مركبة من كلمتين معناها التحضيض والحث ، والأصل فيه : لم لا ، فإذا قلت : لم لا أكلت ولم ما أكلت ، جاز الاستفهامان ، فإن معناه لا علة لعدم الأكل ولا يمكنك أن تذكر علة له ، كما تقول : لم فعلت ؟ موبخاً ، يكون معناه فعلت أمراً لا سبب له ولا يمكنك ذكر سبب له ثم إنهم تركوا حرف الاستفهام عن العلة وأتوا بحرف الاستفهام عن الحكم ، فقالوا : هلا فعلت ؟ كما يقولون فى موضع : لم فعلت هذا وأنت تعلم فساده ، أتفعل هذا وأنت عاقل ؟ وفيه زيادة حث لأن قول القائل : لم فعلت حقيقته سؤال عن العلة ، ومعناه أن علته غير معلومة وغير ظاهرة ، فلا يجوز ظهور وجوده ، وقوله : أفعلت ، سؤال عن حقيقته ، ومعناه أنه فى جنسه غير ممكن ، والسائل عن العلة كأنه سلم الوجود وجعله معلوماً وسأل عن العلة كما يقول القائل زيد جاء فلم جاء ، والسائل عن الوجود لم يسلمه ، وقول القائل لم فعلت وأنت تعلم مافيه دون قوله أفعلت وأنت تعلم مافيه ، لأن فى الأول جعله كالمصيب فى فعله لعلة خفية تطلب منه ، وفى الثانى جعله مخطئاً فى أول الأمر ، وإذا علم مابين لم فعلت ، وأفعلت ، علم مابين لم تفعل وهلا تفعل ، وأما (لولا) فنقول هى كلمة شرط فى الأصل والجملة الشرطية غير مجزومة بها كما أن جملة الاستفهام غير مجزوم به لكن لولا تدل على الاعتساف وتزيد نفى النظر والتوانى ، فيقول لولا تصدقون ، بدل قوله لم لا ، وهلا ، لأنه أدل على نفى مادخلت عليه وهو عدم التصديق (وفيه لطيفة) وهى أن لولا تدخل على فعل ماض على مستقبل قال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فما وجه اختصاص المستقبل ههنا بالذكر وهلا قال : فلولا صدقتم ؟ نقول هذا كلام معهم فى الدنيا والاسلام فيها مقبول ويجب ماقبله فقال لم لا تصدقون فى ساعتكم ، والدلائل واضحة مستمر والفائدة حاصلة ، فأما فى قوله (فلولا نفر) لم تكن الفائدة تحصل إلا بعد مدة فقال لو سافرتم لحصل لكم الفائدة فى الحال وقد فات ذلك ، فإن كنتم لا تسافرون فى الحال تفوتكم الفائدة أيضاً فى الاستقبال ، ثم قال تعالى (أفرأيتم ما تمنون) من تقرير قوله تعالى (نحن خلقناكم) وذلك لأنه تعالى لما قال (نحن خلقناكم) قال الطبيعيون نحن موجودون من نطف الخلق بجواهر كامنة وقبل كل واحد نطفة واحد فقال تعالى رداً عليهم : هل رأيتم هذا المنى وأنه جسم ضعيف متشابه الصورة لابد له من مكون ، فأنتم خلقتم النطفة أم غيركم خلقها ، ولابد من الاعتراف بخالق غير مخلوق قطعاً للتسلسل الباطل وإلى ربنا المنتهى ، ولا رتاب فيه أحد من أول ماخلق الله النطفة وصورها وأحياها ونورها فلم لا تصدقون أنه واحد أحد صمد قادر على الأشياء ، فإنه يعيدكم كما أنشأكم فى الابتداء ، والاستفهام يفيد زيادة تقرير وقد علمت ذلك مراراً .

قوله تعالى : ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ، على أن نبدل أمثالكم وننشئكم

فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في الترتيب فيه وجهان (أحدهما) أنه تقرير لما سبق وهو كقوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) فقال (نحن خلقناكم) ثم قال (نحن قدرنا بينكم الموت) فمن قدر على الإحياء والإماتة وهما ضدان ثبت كونه مختاراً فيمكن الإحياء ثانيا منه بعد الإماتة بخلاف مالو كان الإحياء منه ولم يكن له قدرة على الإماتة فيظن به أنه موجب لا مختار ، والموجب لا يقدر على كل شيء ممكن فقال : نحن خلقناكم وقدرنا الموت بينكم فانظروا فيه واعلموا أنا قادرون أن ننشئكم ، (ثانيهما) أنه جواب عن قول مبطل يقول إن لم تكن الحياة والموت بأمور طبيعية فى الأجسام من حرارات ورطوبات إذا توفرت بقيت حية ، وإذا نقصت وفنيت ماتت لم يقع الموت وكيف يليق بالحكيم أن يخلق شيئاً يتقن خلقه ويحسن صورته ثم يفسده ويعدمه ثم يعيده وينشئه ، فقال تعالى : نحن قدرنا الموت ، ولا يرد قولكم لماذا أعدم ولماذا أنشأ ، ولماذا هدم ، لأن كمال القدرة يقتضى ذلك وإنما يقبح من الصائغ والبانى صياغة شيء وبناؤه وكسره وإنشاؤه لأنه يحتاج إلى صرف زمان إليه وتحمل مشقة وما مثله إلا مثل إنسان ينظر إلى شيء فيقطع نظره عنه طرفة عين ، ثم يعاوده ولا يقال له لم قطعت النظر ولم نظرت إليه ، (ولله المثل الأعلى) من هذا ، لأن هنا لا بد من حركة وزمان ولو توارد على الإنسان أمثاله لتعب لكن فى المرة الواحدة لا يثبت التعب والله تعالى منزه عن التعب ولا افتقار لفعله إلى زمان ولا زمان لفعله ولا إلى حركة بجرم ، وفيه وجه آخر ألطف منها ، وهو أن قوله تعالى (أفرأيتم ماتمنون) معناه أفرأيتم ذلك ميتاً لا حياة فيه وهو منى ، ولو تفكرتم فيه لعلمتم أنه كان قبل ذلك حياً متصلا بحى وكان أجزاء مدركة متألمة متلذذة ثم إذا أمنيتموه لا تستريبون فى كونه ميتاً كالجمادات ، ثم إن الله تعالى يخلقه آدمياً ويجعله بشراً سوياً فالنطفة كانت قبل الانفصال حية ، ثم صارت ميتة ثم أحياها الله تعالى مرة أخرى فاعلموا أنما إذا خلقناكم أولا ثم قدرنا بينكم الموت ثانياً ثم ننشئكم مرة أخرى فلا تستبعدوا ذلك كما فى النطف .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما الفرق بين هذا الموضع وبين أول سورة تبارك حيث قال هناك (خلق الموت والحياة) بتقديم ذكر الموت ؟ نقول الكلام هنا على الترتيب الأصلى كما قال تعالى فى مواضع منها قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) ثم قال بعد ذلك (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) وأما فى سورة الملك فنذكر إن شاء الله تعالى فائدتها ومرجعها إلى ما ذكرنا أنه قال خلق الموت فى النطف بعد كونها حية عند الاتصال ثم خلق الحياة فيها بعد الموت وهو دليل الحشر ، وقيل المراد من الموت هنا الموت الذى بعد الحياة ، والمراد هناك الذى قبل الحياة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال ههنا (نحن قدرنا) وقال فى سورة الملك (خلق الموت والحياة) فذكر الموت والحياة بلفظ الخلق ، وههنا قال (خلقناكم) وقال (قدرنا بينكم الموت) فنقول كان المراد هناك بيان كون الموت والحياة مخلوقين مطلقاً لا فى الناس على الخصوص ، وهنا لما قال (خلقناكم) خصصهم بالذكر فصار كأنه قال : خلقنا حياتكم ، فلو قال : نحن قدرنا موتكم ، كان ينبغى أنه يوجد موتهم فى الحال ولم يكن كذلك ، ولهذا قال (قدرنا بينكم) وأما هناك فالموت والحياة كانا مخلوقين فى محلين ولم يكن ذلك بالنسبة إلى بعض مخصوص .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ هل فى قوله تعالى (بينكم) بدلا عن غيره من الألفاظ فائدة ؟ نقول نعم فائد جليلة ، وهى تبين بالنظر إلى الألفاظ التى تقوم مقامها فنقول : قدرنا لكم الموت ، وقدرنا فيكم الموت ، بقوله قدرنا فيكم يفيد معنى الخلق لأن تقدير الشىء فى الشىء يستدعى كونه ظرفاً له إما ظرف حصول فيه أو ظرف حلول فيه كما يقال البياض فى الجسم والكحل فى العين ، فلو قال قدرنا فيكم الموت لكان مخلوقا فينا وليس كذلك ؛ وإن قلنا قدرنا لكم الموت كان ذلك ينبىء عن تأخره عن الناس فان القائل : إذا قال هذا معد لك كان معناه أنه اليوم لغيرك وغداً لك ، كما قال تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس)

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله (وما نحن بمسبوقين) المشهور أن المراد منه : وما نحن بمغلوبين عاجزين عن خلق أمثالكم وإعادتكم بعد تفرق أوصالكم ، يقال فاته الشىء إذا غلبه ولم يقدر عليه ومثله سبقه . وعلى هذا نعيد ماذكرناه من الترتيب ، ونقول : إذا كان قوله (نحن قدرنا بينكم) لبيان أنه خلق الحياة وقدر الموت ، وهما ضدان وخالق الضدين يكون قادراً مختاراً فقال (وما نحن بمسبوقين) عاجزين عن الشىء بخلاف الموجب الذى لا يمكنه من إيقاع كل واحد من الضدين فيسبقه ويفوته ، فإن النار لا يمكنها التبريد لأن طبيعتها موجبة للتسخين ، وأما إن قلنا بأنه ذكره رداً عليهم حيث قالوا لو لم يكن الموت من فناء الرطوبات الأصلية وانطفاء الحرارة الغريزية وكان بخلق حكيم مختار ماكان يجوز وقوعه لأن الحكيم كيف يبنى ويهدم ويوجد ويعدم فقال (وما نحن بمسبوقين) أى عاجزين بوجه من الوجوه التى يستبعدونها من البناء والصائغ فإنه يفتقر فى الإيجاد إلى زمان ومكان وتمكين من المفعول وإمكان ويلحقه تعب من تحريك وإسكان والله تعالى يخلق بكن فيكون ، فهو فوق ماذكرنا من المثل من قطع النظر وإعادته فى أسرع حين حيث لا يصح من القائل أن يقول لم قطعت النظر فى ذلك الزمان اللطيف الذى لا يدرك ولا يحس بل ربما يكون مدعى القدرة التامة على الشىء فى الزمان اليسير بالحركة السريعة يأتى بشىء ثم يبطله ثم يأتى بمثله ثم يبطله يدلك عليه فعل أصحاب خفة اليد ، حيث يوهم أنه يفعل شيئاً ثم يبطله ، ثم يأتى بمثله إراءة من نفسه القدرة ، وعلى هذا فنقول قوله فى سورة تبارك (خلق الموت والحياة ليبلوكم) معناه أمات وأحيا لتعلموا أنه فاعل مختار ، فتعبدونه وتعتقدون الثواب والعقاب فيحسن عملكم ولو اعتقدتموه

موجباً لما علمتم شيئاً على هذا التفسير المشهور ، والظاهر أن المراد من قوله (وما نحن بمسبوقين) حقيقته وهى أنا ما سبقنا وهو يحتمل شيئين (أحدهما) أن يكون معناه أنه هو الأول لم يكن قبله شىء (وثانيهما) فى خلق الناس وتقدير الموت فيهم ماسبق وهو على طريقة منع آخر وفيه فائدتان أما إذا قلنا (وما نحن بمسبوقين) معناه ما سبقنا شىء فهو إشارة إلى أنكم من أى وجه تسلكون طريق النظر تنتهون إلى الله وتقفون عنده ولا تجاوزونه ، فإنكم إن كنتم تقولون قبل النطفة أب وقبل الأب نطفة فالعقل يحكم بانتهاء النطف والآباء إلى خالق غير مخلوق ، وأنا ذلك فإنى لست بمسبوق وليس هناك خالق ولا سابق غيرى ، وهذا يكون على طريقة التدرج والنزول من مقام إلى مقام ، والعاقل الذى هداه الله تعالى الهداية القوية يعرف أولا والذى دونه يعرف بعد ذلك برتبة ، والمعاند لا بد من أن يعرف إن عاد إلى عقله بعد المراتب ، ويقول لا بد للكل من إله ، وهو ليس بمسبوق فيما فعله ، فمعناه أنه فعل ما فعل ، ولم يكن لمفعوله مثال ، وأما إن قلنا إنه ليس بمسبوق ، وأى حاجة فى إعادته له بمثال هو أهون فيكون كقوله تعالى (وهو أهون عليه) ويؤيده قوله تعالى (على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون) فإن قيل هذا لا يصح ، لأن مثل هذا ورد فى سؤال سائل ، والمراد ما ذكرنا كأنه قال : وإنا لقادرون على أن نبدل أمثالكم وما نحن بمسبوقين ، أى لسنا بعاجزين مغلوبين فهذا دليلنا ، وذلك لأن قوله تعالى (إنا لقادرون) أفاد فائدة انتفاء العجز عنه ، فلا بد من أن يكون لقوله تعالى (وما نحن بمسبوقين) فائدة ظاهرة ، ثم قال تعالى (على أن نبدل أمثالكم) فى الوجه المشهور ، قوله تعالى (على أن نبدل) يتعلق بقوله (وما نحن بمسبوقين) أى على التبديل ، ومعناه وما نحن عاجزين عن التبديل .

والتحقيق فى هذا الوجه أن من سبقه الشىء كأنه غلبه فعجز عنه ، وكلمة على فى هذا الوجه مأخوذة من استعمال لفظ المسابقة فإنه يكون على شىء ، فإن من سبق غيره على أمر فهو الغالب ، وعلى الوجه الآخر يتعلق بقوله تعالى (نحن قدرنا) وتقديره : نحن قدرنا بينكم على وجه التبديل لا على وجه قطع النسل من أول الأمر ، كما يقول القائل : خرج فلان على أن يرجع عاجلا ، أى على هذا الوجه خرج ، وتعلق كلمة على هذا الوجه أظهر ، فإن قيل على ما ذهب إليه المفسرون لا إشكال فى تبديل أمثالكم ، أى أشكالكم وأوصافكم ، ويكون الأمثال جمع مثل ، ويكون معناه وما نحن بعاجزين على أن نمسخكم ، ونجعلكم فى صورة قردة وخنازير ، فيكون كقوله تعالى (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) وعلى ما قلت فى تفسير المسبوقين ، وجعلت المتعلق لقوله (على أن نبدل أمثالكم) هو قوله (نحن قدرنا) فيكون قوله (نبدل أمثالكم) معناه على أن نبدل أمثالهم لا على عملهم ، نقول هذا إيراد وارد على المفسرين بأسرهم إذا فسروا الأمثال بجمع المثل ، وهو الظاهر كما فى قوله تعالى (ثم لا يكونوا أمثالكم) وقوله (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) فإن قوله (إذا) دليل الوقوع ، وتغير أوصافهم بالمسخ ليس أمراً يقع (والجواب) أن يقال الأمثال

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾

إما أن يكون جمع مثل ، وإما جمع مثل ، فإن كان جمع مثل فنقول معناه قدرنا بينكم الموت على هذا الوجه ، وهو أن نغير أوصافكم فتكونوا أطفالا ، ثم شباناً ، ثم كهولا ، ثم شيوخاً ، ثم يدرككم الأجل ، وما قدرنا بينكم الموت على أن نهلككم دفعة واحدة إلا إذا جاء وقت ذلك فتهلكون بنفخة واحدة . وإن قلنا هو جمع مثل فنقول معنى (نبدل أمثالكم) نجعل أمثالكم بدلا وبدله بمعنى جعله بدلا ، ولم يحسن أن يقال بدلنا كم على هذا الوجه ، لأنه يفيد أنا جعلنا بدلا فلا يدل على وقوع الفناء عليهم ، غاية ما فى الباب أن قول القائل : جعلت كذا بدلا لا تتم فائدته إلا إذا قال جعلته بدلا عن كذا لكنه تعالى لما قال (نبدل أمثالكم) فالمثل يدل على المثل ، فكأنه قال : جعلنا أمثالكم بدلا لكم ، ومعناه على ما ذكرنا أنه لم نقدر الموت على أن نفنى الخلق دفعة بل قدرناه على أن نجعل مثلهم بدلهم مدة طويلة ثم نهلكهم جميعاً ثم ننشئهم ، وقوله تعالى (فيما لا تعلمون) على الوجه المشهور فى التفسير أنه فيما لا تعلمون من الأوصاف والأخلاق ، والظاهر أن المراد (فيما لا تعلمون) من الأوصاف والزمان ، فإن أحداً لا يدرى أنه متى يموت ومتى ينشأ أو كأنهم قالوا ومتى الساعة والإنشاء ؟ فقال : لا علم لكم بهما ، هذا إذا قلنا أن المراد ما ذكر فيه على الوجه المشهور (وفيه لطيفة) وهى أن قوله فيما لا تعلمون تقرير لقوله (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) وكأنه قال كيف يمكن أن تقولوا هذا وأنتم تنشأون فى بطون أمهاتكم على أوصاف لا تعلمون وكيف يكون خالق الشىء غير عالم به ؟ وهو كقوله تعالى (هو أعلم بكم إذ أنشأ كم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم) وعلى ماذكرنا فيه فائدة وهى التحريض على العمل الصالح ، لأن التبديل والإنشاء وهو الموت والحشر إذا كان واقعاً فى زمان لا يعلمه أحد فينبغى أن لا يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة ، وقال تعالى (ولقد علمتم النشأة الأولى) تقريراً لإمكان النشأة الثانية .

ثم قال تعالى ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ ذكر بعد دليل الخلق دليل الرزق فقوله (أفرأيتم ماتمنون) إشارة إلى دليل الخلق وبه الابتداء ، وقوله (أفرأيتم ما تحرثون) إشارة إلى دليل الرزق وبه البقاء ، وذكر أموراً ثلاثة المأكول ، والمشروب ، وما به إصلاح المأكول ، ورتبه ترتيباً فذكر المأكول أولا لأنه هو الغذاء ، ثم المشروب لأن به الاستمراء ، ثم النار التى بها الإصلاح . وذكر من كل نوع ما هو الأصل ، فذكر من المأكول الحب فإنه هو الأصل ، ومن المشروب الماء لأنه هو الأصل ، وذكر من المصلحات النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية وأعمها ، ودخل فى كل واحد منها ما هو دونه ، هذا هو الترتيب ، وأما التفسير فنقول : الفرق بين الحرث والزرع هو أن الحرث أوائل الزرع ومقدماته

لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

من كراب الأرض، وإلقاء البذر، وسقي المبذور، والزرع هو آخر الحرث من خروج النبات واستغلاظه واستوائه على الساق، فقوله (أفرأيتم ما تحرثون) أي ما تبتدئون منه من الأعمال أأنتم تبلغونها المقصود أم الله؟ ولا يشك أحد في أن إيجاد الحب في السنبلة ليس بفعل الناس، وليس بفعلهم إن كان سوى إلقاء البذر والسقي، فان قيل هذا يدل على أن الله هو الزارع، فكيف قال تعالى (يعجب الزراع) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الزرع للزارع» قلنا قد ثبت من التفسير: أن الحرث متصل بالزرع، فالحرث أوائل الزرع، والزرع أواخر الحرث، فيجوز إطلاق أحدهما على الآخر، لكن قوله (يعجب الزراع) بدلا عن قوله: يعجب الحراث، يدل على أن الحارث إذا كان هو المبتدى، فربما يتعجب بما يترتب على فعله من خروج النبات والزارع لما كان هو المنتهى، ولا يعجبه إلا شيء عظيم، فقال (يعجب الزراع) الذين تعودوا أخذ الحراث، فما ظنك بإعجابه الحراث، وقوله صلى الله عليه وسلم «الزرع للزارع» فيه فائدة، لأنه لو قال للحارث، فمن ابتدأ بعمل الزرع وأتى بكراب الأرض وتسويتها يصير حارثاً، وذلك قبل إلقاء البذرة ازرع لمن أتى بالأمر المتأخر وهو إلقاء البذر، أي من له البذر على مذهب أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه وهذا أظهر، لأنه بمجرد الإلقاء في الأرض يجعل الزرع للملقي سواء كان مالكا أو غاصباً.

ثم قال تعالى ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون، إنا لمغرمون، بل نحن محرومون﴾ وهو تدريج في الإثبات، وبيانه هو أنه لما قال (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) لم يبعد من معاند أن يقول: نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعاً، لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا، فقال تعالى: ولو سلم لكم هذا الباطل هذا الباطل، فما تقولون في سلامته عن الآفات التي تصيبه، فيفسد قبل اشتداد الحب وقبل انعقاده، أو قبل اشتداد الحب وقبل ظهور الحب فيه، فهل تحفظونه منها أو تدفعونها عنه، أو هذا الزرع بنفسه يدفع عن نفسه تلك الآفات، كما تقولون إنه بنفسه ينبت، ولا يشك أحد أن دفع الآفات بإذن الله تعالى، وحفظه عنها بفضل الله، وعلى هذا أعاده ليذكر أموراً مرتبة بعضها على بعض فيكون الأمر (الأول) للمهتدين (والثاني) للظالمين (والثالث) للمعاندين الضالين فيذكر الأمر الذي لا شك فيه في آخر الأمر إقامة للحجة على الضال المعاند.

وفيه سؤال وهو أنه تعالى ههنا قال (لجعلناه) بلام الجواب وقال في الماء (جعلناه أجاجاً) من غير لام فما الفرق بينهما؟ نقول ذكر الزمخشري عنه جوابين (أحدهما) قوله تعالى (لو نشاء لجعلناه حطاماً) كان قريب الذكر فاستغني بذكر اللام فيه عن ذكرها ثانياً، وهذا ضعيف لأن

وقوله تعالى (لو نشاء لطمسنا على أعينهم) مع قوله (لو نشاء لمسخناهم) أقرب من قوله (لجعلناه حطاماً . وجعلناه أجاجاً) اللهم إلا أن نقول هناك أحدهما قريب من الآخر ذكراً لا معنى لأن الطمس لا يلزمه المسخ ولا بالعكس والمأكول معه المشروب فى الدهر ، فالأمران تقاربا لفظاً ومعنى (والجواب الثانى) أن اللام يفيد نوع تأكيد فذكر اللام فى المأكول ليعلم أن أمر المأكول أهم من أمر المشروب وأن نعمته أعظم وما ذكرنا أيضاً وارد عليه لأن أمر الطمس أهون من أمر المسخ وأدخل فيهما اللام ، وههنا جواب آخر يبين بتقديم بحث عن فائدة اللام فى جواب لو ، فنقول حرف الشرط إذا دخل على الجملة يخرجها عن كونها جملة فى المعنى فاحتاجوا إلى علامة تدل على المعنى ، فأتوا بالجزم فى المستقبل لأن الشرط يقتضى جزاء ، وفيه تطويل فالجزم الذى هو سكون أليق بالموضع وبينه وبين المعنى أيضاً مناسبة لكن كلمة لو مختصة بالدخول على الماضى معنى فإنها إذا دخلت على المستقبل جعلته ماضياً ، والتحقيق فيه أن الجملة الشرطية لا تخرج عن أقسام فإنها إذا ذكرت لابد من أن يكون الشرط معلوم الوقوع لأن الشرط إن كان معلوم الوقوع فالجزاء لازم الوقوع فجعل الكلام جملة شرطية عدول عن جملة إسنادية إلى جملة تعليقية وهو تطويل من غير فائدة فقول القائل : آتيك إن طلعت الشمس تطويل والأولى أن يقول آتيك جزماً من غير شرط فاذا علم هذا فحل الشرط لا يخلو من أن يكون معلوم العدم أو مشكوكا فيه فالشرط إذا وقع على قسمين فلابد لهما من لفظين وهما إن ولو ، واختصت إن بالشكوك ، ولو بمعلوم لأمر بيناه فى موضع آخر لكن ما علم عدمه يكون الآخر فقد أثبت منه فهو ماض أو فى حكمه لأن العلم بالأمور يكون بعد وقوعها وما يشك فيه فهو مستقبل أو فى معناه لأننا نشك فى الأمور المستقبلة أنها تكون أولا تكون والماضى خرج عن التردد ، وإذا ثبت هذا ، فنقول : لما دخل لو على الماضى وما اختلف آخر بالعامل لم يتبين فيه إعراب ، وإن لما دخل على المستقبل بان فيه الإعراب ، ثم إن الجزاء على حسب الشرط وكان الجزاء فى باب لو ماضياً فلم يتبين فيه الحال بحركة ولا سكون ، فيضاف له حرف يدل على خروجه عن كونه جملة ودخوله فى كونه جزء جملة ، إذا ثبت هذا فنقول : عند ما يكون الجزاء ظاهراً يستغنى عن الحرف الصارف ، لكن كون الماء المذكور فى الآية ، وهو الماء المشروب المنزل من المزن أجاجاً ليس أمراً واقعاً يظن أنه خبر مستقل ، ويقويه أنه تعالى يقول (جعلناه أجاجاً) على طريقة الاخبار والحرث والزرع كثيراً ما وقع كونه حطاماً فلو قال : جعلناه حطاماً ، كان يتوهم منه الإخبار فقال هناك (لو نشاء لجعلناه) ليخرجه عما هو صالح له فى الواقع ، وهو الحطامية وقال الماء المنزل المشروب من المزن (جعلناه أجاجاً) لأنه لا يتوهم ذلك فاستغنى عن اللام ، (وفيه لطيفة) أخرى نحوية ، وهى أن فى القرآن إسقاط اللام عن جزاء لو حيث كانت لو داخلة على مستقبل لفظا ، وأما إذا كان ما دخل عليه لو ماضياً ، وكان الجزاء موجباً فلا كما فى قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا) (ولو هدانا الله لهديناكم) وذلك لأن لو إذا دخلت على فعل مستقبل كما فى

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

قوله (لو نشاء) فقد أخرجت عن حيزها لفظاً ، لأن لو للماضى فإذا خرج الشرط عن حيزه جاز فى الجزاء الإخراج عن حيزه لفظاً وإسقاط اللام عنه ، لأن إن لما كان حيزها المستقبل وتدخل على المستقبل ، فاذا جعل ما دخل إن عليه ماضياً كقولك : إن جئتنى ، جاز فى الخبر الإخراج عن حيزه وترك الجزم فتقول أكرمك بالرفع ، وأكرمك بالجزم ، كما تقول فى (لو نشاء لجعلناه) وفى (لو نشاء جعلناه) وما ذكرناه من الجواب فى قوله (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) إذا نظرت إليه تجده مستقيما ، وحيث لم يقل لو شاء الله أطعمه ، علم أن الآخر جزاء ولم يبق فيه توهم ، لأنه إما أن يكون عند المتكلم ، وذلك غير جائز لأن المتكلم عالم بحقيقة كلامه ، وإما أن يكون عندهم وذلك غير جائز ههنا ، لأن قولهم : لو شاء الله أطعمه رد على المؤمنين فى زعمهم يعنى أنتم تقولون إن الله لو شاء فعل فلا نطعم من لو شاء الله أطعمه على زعمكم ، فلما كان أطعمه جزاءاً معلوماً عند السامع والمتكلم استغنى عن اللام ، والحطام كالفتات والجذاذ وهو من الحطم كما أن الفتات والجذاذ من الفت والجذ والفعال فى أكثر الأمر يدل على مكروه أو منكر أما فى المعانى : فكالسبات والفواق والزكام والدوار والصداع لأمراض وآفات فى الناس والنبات . وأما فى الأعيان : فكالجذاذ والحطام والفتات وكذا إذا لحقته الهاء كالبرادة والسحالة ، وفيه زيادة بيان وهو أن ضم الفاء من الكلمة يدل على ما ذكرنا فى الأفعال فإنا نقول فعل لما لم يسم فاعله وكان السبب أن أوائل الكلم لما لم يكن فيه التخفيف المطلق وهو السكون لم يثبت التثقيل المطلق وهو الضم ، فإذا ثبت فهو لعارض ، فان علم كما ذكرنا فلا كلام . وإن لم يعلم كما فى برد وقفل فالأمر خفى يطول ذكره والوضع يدل عليه فى الثلاثى . وقوله تعالى (إنا لمغرمون ، بل نحن محرومون) وفيه وجهان : أما على (الوجه الأول) كأنما هو كلام مقدر عنهم كأنه يقول وحينئذ يحق أن تقولوا إنا لمعذبون دائمون فى العذاب . وأما على (الوجه الثانى) فيقولون إنا لمعذبون ومحرومون عن إعادة الزرع مرة أخرى ، يقولون إنا لمعذبون بالجوع بهلاك الزرع ومحرومون عن دفعه بغير الزرع لفوات الماء (والوجه الثانى) فى الغرم إنا لمكرهون بالغرامة من غرم الرجل وأصل الغرم والغرام لزوم المكروه .

ثم قال تعالى ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ﴾ .

خصه بالذكر لأنه ألطف وأنظف أو تذكيراً لهم بالإنعام عليهم ، والمزن السحاب الثقيل بالماء لابغيره من أنواع العذاب يدل على ثقله قلب اللفظ وعلى مدافعة الأمر وهو النزم فى بعض اللغات

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

السحاب الذى مس الأرض . وقد تقدم تفسير الأجاج أنه الماء المر من شدة الملوحة ، والظاهر أنه هو الحار من أجيج النار كالحطام من الحطيم ، وقد ذكرناه فى قوله تعالى (هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) ذكر فى الماء الطيب صفتين إحداهما عائدة إلى طعمه والأخرى عائدة إلى كيفية لمسه وهى البرودة واللطافة ، وفى الماء الآخر أيضاً صفتين إحداهما عائدة إلى طعمه والأخرى عائدة إلى كيفية لمسه وهى الحرارة ، ثم قال تعالى (فلولا تشكرون) لم يقل عند ذكر الطعام الشكر وذلك لوجهين (أحدهما) أنه لم يذكر فى المأكول أكلهم ، فلما لم يقل تأكلون لم يقل تشكرون وقال فى الماء (تشربون) فقال (تشكرون) (والثانى) أن فى المأكول قال (تحرثون) فأثبت لهم سعياً فلم يقل تشكرون وقال فى الماء (أأنتم أنزلتموه من المزن) لاعمل لكم فيه أصلا فهو محض النعمة فقال (فلولا تشكرون) (وفيه وجه ثالث) وهو الأحسن أن يقال النعمة لاتتم إلا عند الأكل والشرب ألا ترى أن فى البرارى التى لا يوجد فيها الماء لا يأكل الإنسان شيئاً مخافة العطش ، فلما ذكر المأكول أولا وأتمه بذكر المشروب ثانياً قال (فلولا تشكرون) على هذه النعمة التامة .

ثم قال تعالى ﴿أفرأيتم النار التى تورون﴾ أى تقدحون ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ وفى شجرة النار وجوه (أحدها) أنها الشجرة التى تورى النار منها بالزند والزندة كالمرخ (وثانيها) الشجرة التى تصلح لإيقاد النار كالحطب فإنها لو لم تكن لم يسهل إيقاد النار ، لأن النار لاتتعلق بكل شىء كما تتعلق بالحطب (وثالثها) أصول شعلها ووقود شجرتها ولولا كونها ذات شعل لما صلحت لإنضاج الأشياء والباقى ظاهر .

قوله تعالى : ﴿ نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين ﴾ فى قوله (تذكرة) وجهان (أحدهما) تذكرة لنار القيامة فيجب على العاقل أن يخشى الله تعالى وعذابه إذا رأى النار الموقدة (وثانيهما) تذكرة بصحة البعث ، لأن من قدر على إيداع النار فى الشجر الأخضر لا يعجز عن إيداع الحرارة الغريزية فى بدن الميت وقد ذكرناه فى تفسير قوله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً) والمقوى : هو الذى أوقده فقواه وزاده (وفيه لطيفة) وهو أنه تعالى قدم كونها تذكرة على كونها متاعاً ليعلم أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم .

قوله تعالى : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى وجه تعلقه بما قبله ؟ نقول لما ذكر الله تعالى حال المكذبين بالحشر والوحدانية ذكر الدليل عليهما بالخلق والرزق ولم يفدهم الإيمان قال لنبيه صلى الله عليه وسلم

أن وظيفتك أن تكمل فى نفسك وهو علمك بربك وعملك لربك (فسبح باسم ربك) وقد ذكرنا ذلك فى قوله تعالى (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) وفى موضع آخر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ التسبيح التنزيه عما لا يليق به فما فائدة ذكر الإسم ولم يقل : فسبح بربك العظيم ؟ فنقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) هو المشهور وهو أن الإسم مقحم ، وعلى هذا الجواب فنقول فيه فائدة زيادة التعظيم ، لأن من عظم عظيما وبالغ فى تعظيمه لم يذكر اسمه إلا وعظمه ، فلا يذكر اسمه فى موضع وضيع ولا على وجه الاتفاق كيفما اتفق ، وذلك لأن من يعظم شخصاً عند حضوره ربما لايعظمه عند غيبته فيذكره باسم علمه ، وإن كان بحضرته لا يقول ذلك ، فإذا عظم عنده لايذكره فى حضوره وغيبته إلا بأوصاف العظمة ، فإن قيل فعلى هذا فما فائدة الباء وكيف صار ذلك ، ولم يقل فسبح اسم ربك العظيم ، أو الرب العظيم ، نقول قد تقدم مراراً أن الفعل إذا كان تعلقه بالمفعول ظاهراً غاية الظهور لا يتعدى إليه بحرف فلا يقال : ضربت بزيد بمعنى ضربت زيداً ، وإذا كان فى غاية الخفاء لا يتعدى إليه إلا بحرف فلا يقال : ذهبت زيداً بمعنى ذهبت بزيد ، وإذا كان بينهما جاز الوجهان فنقول : سبحته وسبحت به وشكرته وشكرت له ، إذا ثبت هذا فنقول : لما علق التسبيح بالاسم وكان الاسم مقحما كان التسبيح فى الحقيقة متعلقاً بغيره وهو الرب وكان التعلق خفياً من وجه لجاز ادخال الباء ، فإن قيل إذا جاز الإسقاط والإثبات فما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) ؟ فنقول ههنا تقديم الدليل على العظمة أن يقال الباء فى قوله (باسم) غير زائدة ، وتقريره من وجهين (أحدهما) أنه لما ذكر الأمور وقال : نحن أم أنتم ، فاعترف الكل بأن الأمور من الله ، وإذا طولبوا بالوحدانية قالوا نحن لا نشرك فى المعنى وإنما نتخذ أصناماً آلهة فى الإسم ونسميها آلهة والذى خلقها وخلق السموات هو الله فنحن ننزهه فى الحقيقة فقال (فسبح باسم ربك) وكما أنك أيها العاقل اعترفت بعدم اشتراكهما فى الحقيقة اعترف بعدم اشتراكهما فى الاسم ، ولا تقل لغيره إله ، فان الإسم يتبع المعنى والحقيقة ، وعلى هذا فالخطاب لا يكون مع النبى صلى الله عليه وسلم بل يكون كما يقول الواعظ : يامسكين أفنيت عمرك وما أصلحت عملك ، ولا يريد أحداً بعينه ، وتقديره يا أيها المسكين السامع (وثانيهما) أن يكون المراد بذكر ربك ، أى إذا قلت : وتولوا ، فسبح ربك بذكر اسمه بين قومك واشتغل بالتبليغ ، والمعنى اذكره باللسان والقلب وبين وصفه لهم وإن لم يقبلوا فإنك مقبل على شغلك الذى هو التبليغ ، ولو قال : فسبح ربك ، ما أفاد الذكر لهم ، وكان ينبىء عن التسبيح بالقلب ، ولما قال فسبح باسم ربك ، والإسم هو الذى يذكر لفظاً دل على أنه مأمور بالذكر اللسانى وليس له أن يقتصر على الذكر القلبى ويحتمل أن يقال (فسبح) مبتدئاً باسم ربك العظيم فلا تكون الباء زائدة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ كيف يسبح ربنا ؟ نقول إما معنى ، فبأن يعتقد فيه أنه واحد منزه عن

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

الشريك وقادر برىء عن العجز فلا يعجز عن الحشر . وإما لفظاً فبأن يقال سبحان الله وسبحان الله العظيم ، وسبحانه عما يشركون ، أو ما يقوم مقامه من الكلام الدال على تنزيهه عن الشريك والعجز فانك إذا سبحته واعتقدت أنه واحد منزه عن كل مالا يجوز فى حقيقته ، لزم أن لا يكون جسما لأن الجسم فيه أشياء كثيرة وهو واحد حقيقى لا كثرة لذاته ، ولا يكون عرضاً ولا فى مكان ، وكل ما لا يجوز له ينتفى عنه بالتوحيد ولا يكون على شيء ، ولا فى شيء ، ولا عن شيء ، وإذا قلت هو قادر ثبت له العلم والإرادة والحياة وغيرها من الصفات وسنذكر ذلك فى تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله تعالى .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ما الفرق بين العظيم وبين الأعلى ، وهل فى ذكر العظيم هنا بدل الأعلى وذكر الأعلى فى قوله (سبح اسم ربك الأعلى) بدل العظيم فائدة ؟ نقول أما الفرق بين العظيم والأعلى فهو أن العظيم يدل على القرب ، والأعلى يدل على البعد ، بيانه هو أن ما عظم من الأشياء المدركة بالحس قريب من كل ممكن ، لأنه لو بعد عنه لخلا عنه موضعه ، فلو كان فيه أجزاء أخر لكان أعظم مما هو عليه فالعظيم بالنسبة إلى الكل هو الذى يقرب من الكل ، وأما الصغير إذا قرب من جهة فقد بعد عن أخرى ، وأما العلى فهو البعيد عن كل شيء لأن ما قرب من شيء من جهة فوق يكون أبعد منه وكان أعلى فالعلى المطلق بالنسبة إلى كل شيء هو الذى فى غاية البعد عن كل شيء ، إذا عرفت هذا فالأشياء المدركة تسبح الله ، وإذا علمنا من الله معنى سلبياً فصح أن نقول هو أعلى من أن يحيط به إدراكنا ، وإذا علمنا منه وصفاً ثبوتيا من علم وقدرة يزيد تعظيمه أكثر مما وصل إليه علمنا ، فنقول هو أعظم وأعلى من أن يحيط به علمنا ، وقولنا أعظم معناه عظيم لا عظيم مثله ، ففيه مفهوم سلبى ومفهوم ثبوتى وقوله أعلى ، معناه هو على ولا على مثله ، والعلى إشارة إلى مفهوم سلبى والأعلى مثله بسبب آخر ، فالأعلى مستعمل على حقيقته لفظاً ومعنى ، والأعظم مستعمل على حقيقته لفظاً ، وفيه معنى سلبى ، وكأن الأصل فى العظيم مفهوم ثبوتى لا سلب فيه فالأعلى أحسن استعمالا من الأعظم هذا هو الفرق .

قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى الترتيب ووجهه هو أن الله تعالى لما أرسل رسوله بالهدى ودين الحق آتاه كل ما ينبغى له وطهره عن كل مالا ينبغى له فآتاه الحكمة وهى البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها ، والموعظة الحسنة وهى الأمور المفيدة المرققة للقلوب المنورة للصدور ، والمجادلة التى هى على أحسن الطرق فأتى بها وعجز الكل عن معارضته بشيء ولم يؤمنوا والذى يتلى عليه ، كل ذلك ولا يؤمن لا يبقى له غير أنه يقول هذا البيان ليس لظهور المدعى بل لقوة ذهن المدعى وقوته على تركيب الأدلة وهو يعلم أنه يغلب بقوة جداله لا بظهور مقاله وربما يقول أحد المناظرين الآخر عند

انقطاعه أنت تعلم أن الحق بيدى لكن تستضعفنى ولا تنصفنى وحينئذ لا يبقى للخصم جواب غير القسم بالأيمان التى لا مخارج عنها أنه غير مكابر وأنه منصف ، وذلك لأنه لو أتى بدليل آخر لكان له أن يقول وهذا الدليل أيضاً غلبتنى فيه بقوتك وقدرتك ، فكذلك النبى صلى الله عليه وسلم لما آتاه الله جل وعز ما ينبغى قالوا إنه يريد التفضل علينا وهو يجادلنا فيما يعلم خلافه ، فلم يبق له إلا أن يقسم فأنزل الله تعالى عليه أنواعاً من القسم بعد الدلائل ، ولهذا كثرت الأيمان فى أوائل التنزيل وفى السبع الأخير خاصة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى تعلق الباء ، نقول : إنه لما بين أنه خالق الخلق والرزق وله العظمة بالدليل القاطع ولم يؤمنوا قال لم يبق إلا القسم فأقسم بالله إنى لصادق .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما المعنى من قوله . لا أقسم . مع أنك تقول إنه قسم ؟ نقول فيه وجوه منقولة ومعقولة غير مخالفة للنقل ، أما المنقول (فأحدها) أن (لا) زائدة مثلها فى قوله تعالى (لئلا يعلم) معناه ليعلم (ثانيها) أصلها لأقسم بلام التأكيد أشبعت فتحتها فصارت لا كما فى الوقف (ثالثها) لا ، نافية وأصله على مقالتهم والقسم بعدها كأنه قال : لا ، والله لا صحة لقول الكفار أقسم عليه ، أما المعقول فهو أن كلمة لا هى نافية على معناها غير أن فى الكلام مجازاً تركيبياً ، وتقديره أن نقول لا فى النفى هنا كهى فى قول القائل لا تسألنى عما جرى على ، يشير إلى أن ما جرى عليه أعظم من أن يشرح فلا ينبغى أن يسأله فان غرضه من السؤال لا يحصل ولا يكون غرضه من ذلك النهى إلا بيان عظمة الواقعة ويصير كأنه قال : جرى على أمر عظيم . ويدل عليه أن السامع يقول له ماذا جرى عليك ولو فهم من حقيقة كلامه النهى عن السؤال لما قال ماذا جرى عليك ، فيصح منه أن يقول أخطأت حيث منعتك عن السؤال ، ثم سألتنى وكيف لا ، وكثيراً ما يقول ذلك القائل الذى قال لا تسألنى عند سكوت صاحبه عن السؤال ، أولا تسألنى ، ولا تقول ماذا جرى عليك ولا يكون للسامع أن يقول إنك منعتنى عن السؤال كل ذلك تقرر فى أفهامهم أن المراد تعظيم الواقعة لا النهى ، إذا علم هذا فنقول فى القسم مثل هذا موجود من أحد وجهين إما لكون الواقعة فى غاية الظهور فيقول لا أقسم بأنه على هذا الأمر لأنه أظهر من أن يشهر ، وأكثر من أن ينكر ، فيقول لا أقسم ولا يريد به القسم ونفيه ، وإنما يريد الإعلام بأن الواقعة ظاهرة . وإما لكون المقسم به فوق ما يقسم به ، والمقسم صار يصدق نفسه فيقول لا أقسم يميناً بل ألف يمين ، ولا أقسم برأس الأمير بل برأس السلطان ويقول لا أقسم بكذا مريداً لكونه فى غاية الجزم (والثانى) يدل عليه أن هذه الصيغة لم ترد فى القرآن والمقسم به هو الله تعالى أو صفة من صفاته ، وإنما جاءت أمور مخلوقة والأول لا يرد عليه إشكال إن قلنا أن المقسم به فى جميع المواضع رب الأشياء كما فى قوله (والصافات) المراد منه رب الصافات ورب القيامة ورب الشمس إلى غير ذلك فإذاً قوله (لا أقسم بمواقع النجوم) أى الأمر أظهر من أن يقسم عليه ، وأن يتطرق الشك إليه .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ مواقع النجوم ماهي ؟ فنقول فيه وجوه (الأول) المشارق والمغارب أو المغارب وحدها ، فإن عندها سقوط النجوم (الثانى) هي مواضعها فى السماء فى بروجها ومنازلها (الثالث) مواقعها فى اتباع الشياطين عند المزاحمة (الرابع) مواقعها يوم القيامة حين تنتثر النجوم ، وأما مواقع نجوم القرآن ، فهى قلوب عباده وملائكته ورسله وصالحى المؤمنين ، أو معانيها وأحكامها التي وردت فيها .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ هل فى اختصاص مواقع النجوم للقسم بها فائدة ؟ قلنا نعم فائدة جليلة ، وبيانها أنا قد ذكرنا أن القسم بمواقعها كما هى قسم كذلك هى من الدلائل ، وقد بيناه فى الذاريات ، وفى الطور ، وفى النجم ، وغيرها ، فنقول : هى هنا أيضاً كذلك ، وذلك من حيث أن الله تعالى لما ذكر خلق الآدمى من المنى وموته ، بين بإشارته إلى إيجاد الضدين فى الأنفس قدرته واختياره ، ثم لما ذكر دليلا من دلائل الأنفس ذكر من دلائل الآفاق أيضاً قدرته واختياره ، فقال (أفرأيتم ما تحرثون ، أفرأيتم الماء) إلى غير ذلك ، وذكر قدرته على زرعه وجعله حطاماً ، وخلقه الماء فراتاً عذباً ، وجعله أجاجاً ، إشارة إلى أن القادر على الضدين مختار ، ولم يكن ذكر من الدلائل السماوية شيئاً ، فذكر الدليل السماوى فى معرض القسم ، وقال مواقع النجوم ، فإنها أيضاً دليل الاختيار ، لأن كون كل واحد فى موضع من السماء دون غيره من المواضع مع استواء المواضع فى الحقيقة دليل فاعل مختار ، فقال (بمواقع النجوم) ليس إلى البراهين النفسية والآفاقية بالذكر كما قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) وهذا كقوله تعالى (وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفى السماء رزقكم وما توعدون) حيث ذكر الأنواع الثلاثة كذلك هنا ، ثم قال تعالى (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) والضمير عائد إلى القسم الذى يتضمنه قوله تعالى (فلا أقسم) فإنه يتضمن ذكر المصدر ، ولهذا توصف المصادر التى لم تظهر بعد الفعل ، فيقال ضربته قوياً ، وفيه مسائل نحوية ومعنوية ، أما النحوية :

﴿ المسألة الأولى ﴾ هو أن يقال جواب لو تعلمون ماذا ، وربما يقول بعض من لا يعلم أن جوابه ما تقدم وهو فاسد فى جميع المواضع ، لأن جواب الشرط لا يتقدم ، وذلك لأن عمل الحروف فى معمولاتها لا يكون قبل وجودها ، فلا يقال زيداً إن قام ولا غيره من الحروف والسر فيه أن عمل الحروف مشبه بعمل المعانى ، ويميز بين الفاعل والمفعول وغيرهما ، فإذا كان العامل معنى لا موضع له فى الحس فيعلم تقدمه وتأخر مدرك بالحس ، جاز أن يقال قائماً ضربت زيد ، أو ضرباً شديداً ضربته ، وأما الحروف فلها تقدم وتأخر مدرك بالحس ، فلم يمكن بعد علمنا بتأخرها فرض وجودها متقدمة بخلاف المعانى ، إذا ثبت هذا فنقول ؟ عمل حرف الشرط فى المعنى إخراج كل واحدة من الجملتين عن كونها جملة مستقلة ، فإذا قلت : من ، وأن ، لا يمكن إخراج الجملة الأولى عن كونها جملة بعد وقوعها جمل ، ليعلم أن حرفها أضعف من عمل المعنى لتوقفه على

عمله مع أن المعنى أمكن فرضه متقدماً ومتأخراً . وعمل الأفعال عمل معنوى ، وعمل الحروف عمل مشبه بالمعنى ، إذا ثبت هذا فنقول فى قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى) قال بعض الوعاظ متعلق بلولا ، فلا يكون الهم وقع منه ، وهو باطل لما ذكرنا ، وهنا أدخل فى البطلان ، لأن المتقدم لا يصلح جزاء للمتأخر ، فإن من قال : لو تعلمون إن زيداً لقائم ، لم يأت بالعربية ، إذا تبين هذا فالقول يحتمل وجهين (أحدهما) أن يقال الجواب محذوف بالكلية لم يقصد بذلك جواب ، وإنما يراد نفى ما دخلت عليه لو ، وكأنه قال : وإنه لقسم لا تعلمون ، وتحقيقه أن لو تذكر لامتناع الشيء لامتناع غيره ، فلابد من انتفاء الأول ، فإدخال لو على تعلمون أفادنا أن علمهم منتف ، سواء علمنا الجواب أو لم نعلم ، وهو كقولهم فى الفعل المتعدى : فلان يعطى ويمنع ، حيث لا يقصد به مفعول ، وإنما يراد إثبات القدرة ، وعلى هذا إن قيل فما فائدة العدول إلى غير الحقيقة ، وترك قوله : إنه لقسم ولا تعلمون ؟ فنقول فائدته تأكيد النفى ، لأن من قال : لو تعلمون كان ذلك دعوى منه ، فإذا طولب وقيل لم قلت إنا لا نعلم . يقول لو تعلمون لفعلتم كذا ، فإذا قال فى ابتداء الأمر لا تعلمون كان مريداً للنفى ، فكأنه قال : أقول إنكم لا تعلمون قولا من غير تعلق بدليل وسبب (وثانيهما) أن يكون له جواب تقديره : لو تعلمون لعظمتموه لكنكم ما عظمتموه ، فعلم أنكم لا تعلمون ، إذ لو تعلمون لعظم فى أعينكم ، ولا تعظيم فلا تعلمون .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إن قيل قوله (لو تعلمون) هل له مفعول أم لا ؟ قلنا على الوجه الأول لا مفعول له ، كما فى قولهم : فلان يعطى ويمنع ، وكأنه قال لا علم لكم ، ويحتمل أن يقال لا علم لكم بعظم القسم ، فيكون له مفعول ، والأول أبلغ وأدخل فى الحسن ، لأنهم لا يعلمون شيئاً أصلا . لأنهم لو علموا لكان أولى الأشياء بالعلم هذه الأمور الظاهرة بالبراهين القاطعة ، فهو كقوله (صم بكم) وقوله (كالأنعام بل هم أضل) وعلى الثانى أيضاً يحتمل وجهين (أحدهما) لو كان لكم علم بالقسم لعظمتموه (وثانيهما) لو كان لكم علم بعظمته لعظمتموه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ كيف تعلق قوله تعالى (لو تعلمون) بما قبله وما بعده ؟ فنقول : هو كلام اعتراض فى أثناء الكلام تقديره : وإنه لقسم عظيم لو تعلمون لصدقتم ، فإن قيل فما فائدة الاعتراض؟ نقول الاهتمام بقطع اعتراض المعترض ، لأنه لما قال (وإنه لقسم) أراد أن يصفه بالعظمة بقوله عظيم والكفار كانوا يجهلون ذلك ويدعون العلم بأمور النجم ، وكانوا يقولون لو كان كذلك فما باله لا يحصل لنا علم وظن ، فقال (لو تعلمون) لحصل لكم القطع ، وعلى ما ذكرنا الأمر أظهر من هذا ، وذلك لأنا قلنا إن قوله (لا أقسم) معناه الأمر واضح من أن يصدق بيمين ، والكفار كانوا يقولون : أين الظهور ونحن نقطع بعدمه ، فقال لو تعلمون شيئاً لما كان كذلك ، والأظهر منه أنا بينا أن كل ماجعله الله قسما فهو فى نفسه دليل على المطلوب وأخرجه مخرج القسم ، فقوله (وإنه لقسم) معناه عند التحقيق ، وإنه دليل وبرهان قوى لو تعلمون وجهه لاعترفتم بمدلوله ، وهو التوحيد

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾

والقدرة على الحشر ، وذلك لأن دلالة اختصاص الكواكب بمواضعها فى غاية الظهور ولا يلزم الفلاسفة دليل أظهر منه ، وأما المعنوية :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما المقسم عليه ؟ نقول فيه وجهان (الأول) القرآن كانوا يجعلونه تارة شعراً وأخرى سحراً وغير ذلك (وثانيهما) هو التوحيد والحشر وهو أظهر ، وقوله (لقرآن) ابتداء كلام وسنبين ذلك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما الفائدة فى وصفه بالعظيم فى قوله (وإنه لقسم) فنقول لما قال (لا أقسم) وكان معناه : لا أقسم بهذا لوضوح المقسم به عليه . قال لست تاركا للقسم بهذا ، لأنه ليس بقسم أو ليس بقسم عظيم ، بل هو قسم عظيم ولا أقسم به ، بل بأعظم منه . أقسم لجزمى بالأمر وعلمى بحقيقته .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اليمين فى أكثر الأمر توصف بالمغلظة ، والعظيم يقال فى المقسم حلف فلان بالأيمان العظام ، ثم تقول فى حقه يمين مغلظة لأن آثامها كبيرة . وأما فى حق الله عز وجل فبالعظيم وذلك هو المناسب ، لأن معناه هو الذى قرب قوله من كل قلب وملأ الصدر بالرعب لما بينا أن معنى العظيم فيه ذلك ، كما أن الجسم العظيم هو الذى قرب من أشياء عظيمة وملأ أماكن كثيرة من العظم ، كذلك العظيم الذى ليس بجسم قرب من أمور كثيرة ، وملأ صدوراً كثيرة .

قوله تعالى : ﴿ إنه لقرآن كريم ، فى كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ الضمير فى قوله تعالى (إنه) عائد إلى ماذا ؟ فنقول فيه وجهان (أحدهما) إلى معلوم وهو الكلام الذى أنزل على محمد ﷺ ، وكان معروفاً عند الكل ، وكان الكفار يقولون إنه شعر وإنه سحر ، فقال تعالى رداً عليهم (إنه لقرآن) عائد إلى مذكور وهو جميع ما سبق فى سورة الواقعة من التوحيد ، والحشر ، والدلائل المذكورة عليهما ، و القسم الذى قال فيه (وإنه لقسم) وذلك لأنهم قالوا هذا كله كلام محمد ومخترع من عنده ؛ فقال (إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ القرآن مصدر أو اسم غير مصدر ؟ فنقول فيه وجهان : (أحدهما) مصدر أريد به المفعول وهو المقروء ومثله فى قوله تعالى (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال) وهذا كما يقال فى الجسم العظيم انظر إلى قدرة الله تعالى أى مقدوره وهو كما فى قوله تعالى (هذا خلق الله فأرونى) (ثانيهما) اسم لما يقرأ كالقربان لما يتقرب به ، والحلوان لما يحلى به فم المكارى أو الكاهن

وعلى هـــذا ستبين فساد قول من رد على الفقهاء قولهم فى باب الزكاة يعطى شيئاً أعلى مما وجب ويأخذ الجبران أو يعطى شيئاً دونه ، ويعطى الجبران أيضاً ، حيث قال الجبران مصدر لا يؤخذ ولا يعطى ، فيقال له هو كالقرآن بمعنى المقروء ، ويجوز أن يقال لما أخذ جابر أو مجبور أو يقال هو اسم لما يجبر به كالقربان .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إذا كان هـذا الـكلام للرد على المشركين فهم ما كانوا ينـكرون كونه مقروءاً فما الفائدة فى قوله (إنه لقرآن) ؟ نقول فيه وجهان (أحدهما) أنه إخبار عن الكل وهو قوله (قرآن كريم) فهم كانوا ينكرون كونه قرآناً كريماً وهم ما كانوا يقرون به (وثانيهما) وهو أحسن من الأول ، أنهم قالوا هو مخترع من عنده وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول إنه مسموع سمعته وتلوته عليكم فما كان القرآن عندهم مقروءاً ، وما كانوا يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن وفرق بين القراءة والإنشاء ، فلما قال (إنه لقرآن) أثبت كونه مقروءاً على النبى صلى الله عليه وسلم ليقرأ ويتلى فقال تعالى (إنه لقرآن) سماه قرآناً لـكثرة ما قرىء ، ويقرأ إلى الأبد بعضه فى الدنيا وبعضه فى الآخرة .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله (كريم) فيه لطيفة ؟ وهى أن الكلام إذا قرىء كثيراً يهون فى الأعين والآذان ، ولهذا ترى من قال شيئاً فى مجالس الملوك لا يذكره ثانياً ، ولو قيل فيه يقال لقائله لم تكرر هذا ، ثم إنه تعالى لما قال (إنه لقرآن) أى مقروء قرىء ويقرأ ، قال (كريم) أى لا يهون بكثرة التلاوة ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطرى ، ومن هنا يقع أن وصف القرآن بالحديث مع أنه قديم يستمد من هذا مدداً فهو قديم يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة ، وما قرع سمع الجماعة لأن الملائكة الذين علموه قبل النبى بألوف من السنين إذا سمعوه من أحدنا يتلذذون به التذاذ السامع بكلام جديد لم يذكر له من قبل ، والـكريم إسم جامع لصفات المدح ، قيـل الـكريم هو الذى كان طاهر الأصل ظاهر الفضل ، حتى إن من أصله غير زكى لا يقال له كريم مطلقاً ، بل يقال له كريم فى نفسه ، ومن يكون زكى الأصل غير زكى النفس لا يقال له كريم إلا مع تقييد ، فيقال هو كريم الأصـل لـكنه خسيس فى نفسـه ، ثم إن السخى المجرد هو الذى يكثر عطاؤه للنـاس ، أو يسهل عطاؤه ويسمى كريماً ، وإن لم يكن له فضل آخر لا على الحقيقة ولـكن ذلك لسبب ، وهو أن الناس يحبون من يعطيهم ، ويفرحون بمن يعطى أكثر مما يفرحون بغيره ، فإذا رأوا زاهـداً أو عالماً لا يسمونه كريماً ، ويؤيد هذا إنهم إذا رأوا واحداً لا يطلب منهم شيئاً يسمونه كريم النفس لمجرد تركه الاستعطاء لما أن الأخذ منهم صعب عليهم وهذا كله فى العادة الرديئة ، وأما فى الأصل فيقال الـكريم هو الذى اجتمع فيه ما ينبغى من طهارة الأصل وظهور الفضل ، ويدل على هـذا أن السخى فى معاملته ينبغى أن لا يوجد منه ما يقال بسببه إنه لئيم ، فالقرآن أيضاً كريم بمعنى طاهر الأصل ظاهر الفضل لفظه فصيح ، ومعناه صحيح لـكن القرآن أيضاً كريم على مفهوم العوام فإن كل من

طلب منه شيئاً أعطاه ، فالفقيه يستدل به ويأخذ منه ، والحكيم يستمد به ويحتج به ، والأديب يستفيد منه ويتقوى به ، والله تعالى وصف القرآن بكونه كريماً ، وبكونه عزيزاً ، وبكونه حكيما ، فلكونه كريماً كل من أقبل عليه نال منه مايريده فإن كثيراً من الناس لا يفهم من العلوم شيئاً وإذا اشتغل بالقرآن سهل عليه حفظه ، وقلما يرى شخص يحفظ كتاباً بقرؤه بحيث لا يغير منه كلمة بكلمة ، ولا يبدل حرفا بحرف وجميع القراء يقرأون القرآن من غير توقف ولا تبديل ، ولكونه عزيزاً أن كل من يعرض عنه لا يبقى معه منه شيء ، بخلاف سائر الكتب ، فإن من قرأ كتاباً أو حفظه ثم تركه يتعلق بقلبه معناه حتى ينقله صحيحاً ، والقرآن من تركه لا يبقى معه منه شيء لعزته ولا يثبت عند من لا يلزمه بالحفظ ، ولكونه حكيما من اشتغل به وأقبل عليه بالقلب أغناه عن سائر العلوم .

وقوله تعالى (فى كتاب) جعله شيئاً مظروفاً بكتاب فما ذلك ؟ نقول فيه وجهان (أحدهما) المظروف : القرآن ، أى هو قرآن فى كتاب ، كما يقال فلان رجل كريم فى بيته ، لا يشك السامع أن مراد القائل أنه فى الدار قاعد ولا يريد به أنه كريم إذا كان فى الدار ، وغير كريم إذا كان خارجا ولا يشك أيضاً أنه لا يريد به أنه كريم فى بيته ، بل المراد أنه رجل كريم وهو فى البيت ، فكذلك ههنا أن القرآن كريم وهو فى كتاب ، أو المظروف كريم على معنى أنه كريم فى كتاب ، كما يقال فلان رجل كريم فى نفسه ، فيفهم كل أحد أن القائل لم يجعله رجلا مظروفاً . فإن القائل لم يرد أنه رجل فى نفسه قاعد أو نائم ، وإنما أراد به أنه كريم كرمه فى نفسه ، فكذلك قرآن كريم . فالقرآن كريم فى اللوح المحفوظ وإن لم يكن كريماً عند الكفار (ثانيهما) المظروف هو مجموع قوله تعالى (قرآن كريم) أى هو كذا فى كتاب، كما يقال (وما أدراك ما عليون) فى كتاب الله تعالى ، والمراد حينئذ أنه فى اللوح المحفوظ نعته مكتوب (إنه قرآن كريم) والكل صحيح ، والأول أبلغ فى التعظيم بالمقروء السماوى .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ ما المراد من الكتاب ؟ نقول فيه وجوه (الأول) وهو الأصح أنه اللوح المحفوظ ويدل عليه قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد ، فى لوح محفوظ) (الثانى) الكتاب هو المصحف (الثالث) كتاب من الكتب المنزلة فهو قرآن فى التوراة والإنجيل وغيرهما فإن قيل كيف سمى الكتاب كتاباً والكتاب فعال ، وهو إذا كان للواحد فهو إما مصدر كالحساب والقيام وغيرهما ، أو إسم لما يكتب كاللباس واللثام وغيرهما ، فكيفما كان ، فالقرآن لا يكون فى كتاب بمعنى المصدر ، ولا يكون فى مكتوب ، وإنما يكون مكتوباً فى لوح أو ورق ، فالمكتوب لا يكون فى الكتاب ، إنما يكون فى القرطاس ، نقول ما ذكرت من الموازين يدل على أن الكتاب ليس المكتوب ولا هو المكتوب فيه أو المكتوب عليه ، فإن اللثام ما يلثم به ، والصوان ما يصان فيه الثوب ، لكن اللوح لما لم يكن إلا الذى يكتب فيه صح تسميته كتاباً .

﴿ المسألة السادسة ﴾ المكتوب هو المستور قال الله تعالى (كاللؤلؤ المكنون) ، قال (بيض

مكنون) فإن كان المراد من الكتاب اللوح فهو ليس بمستور وإنما الشيء فيه منشور ، وإن كان المراد هو المصحف فعدم كونه مكتوباً مستوراً ، فكيف الجواب عنه ؟ فنقول : المكنون المحفوظ إذا كان غير عزيز يحفظ بالعين ، وهو ظاهر للناس فاذا كان شريفاً عزيزاً لا يكتفى بالصون والحفظ بالعين بل يستر عن العيون ، ثم كلما تزداد عزته يزداد ستره فتارة يكون مخزوناً ثم يجعل مدفوناً ، فالستر صار كاللازم للصون البالغ فقال (مكنون) أى محفوظ غاية الحفظ ، فذكر اللازم وأراد الملزوم وهو باب من الكلام الفصيح . تقول مثلا : فلان كبريت أحمر ، أى قليل الوجود (والجواب الثانى) إن اللوح المحفوظ مستور عن العين لا يطلع عليه إلا ملائكة مخصوصون . ولا ينظر إليه إلا قوم مطهرون ، وأما القرآن فهو مكتوب مستور أبد الدهر عن أعين المبدلين ، مصون عن أيدى المحرفين . فإن قيل فما فائدة كونه (فى كتاب) وكل مقروء فى كتاب؟ نقول هو لتأكيد الرد على الكفار لأنهم كانوا يقولون إنه مخترع من عنده مفترى ، فلما قال مقروء عليه اندفع كلامهم ، ثم إنهم قالوا إن كان مقروءاً عليه فهو كلام الجن فقال (فى كتاب) أى لم ينزل به عليه الملك إلا بعدما أخذه من كتاب فهو ليس بكلام الملائكة فضلا أن يكون كلام الجن ، وأما إذا قلنا إذا كان كريما فهو فى كتاب ، ففائدته ظاهرة ، وأما فائدة كونه (فى كتاب مكنون) فيكون رداً على من قال : إنه أساطير الأولين فى كتب ظاهرة ، أى فلم لا يطالعها الكفار ، ولم لا يطلعون عليه لا بل هو (فى كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون) ، فإذا بين فيما ذكرنا أن وصفه بكونه قرآناً صار رداً على من قال يذكره من عنده ، وقوله (فى كتاب) رد على من قال : يتلوه عليه الجن حيث اعترف بكونه مقروءاً أو نازع فى شيء آخر ، وقوله (مكنون) رد على من قال : إنه مقروء فى كتاب لكنه من أساطير الأولين .

﴿ المسألة السابعة ﴾ (لا يمسه) الضمير عائد إلى الكتاب على الصحيح ، ويحتمل أن يقال هو عائد إلى ما عاد إليه المضمر من قوله (إنه) ومعناه : لا يمس القرآن إلا المطهرون ، والصيغة إخبار ، لكن الخلاف فى أنه هل هو بمعنى النهى ، كما أن قوله تعالى (والمطلقات يتربصن) إخبار بمعنى الأمر ، فمن قال المراد من الكتاب اللوح المحفوظ ، وهو الأصح على ما بينا ، قال هو إخبار معنى كما هو إخبار لفظاً ، إذا قلنا إن المضمر فى (يمسه) للكتاب ، ومن قال المراد المصحف اختلف فى قوله ، وفيه وجه ضعيف نقله ابن عطية أنه نهى لفظاً ومعنى وجلبت إليه ضمة الهاء لا للاعراب ولا وجه له .

﴿ المسألة الثامنة ﴾ إذا كان الأصح أن المراد من الكتاب اللوح المحفوظ ، فالصحيح أن الضمير فى لا يمسه للكتاب ، فكيف يصح قول الشافعى رحمة الله تعالى عليه : لا يجوز مس المصحف للمحدث ، نقول الظاهر أنه ما أخذه من صريح الآية ولعله أخذه من السنة فإن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم « لا يمس القرآن من هو على غير طهر » أو أخذه من الآية على طريق الاستنباط ، وقال إن المس يطهر صفة من الصفات الدالة على التعظيم والمس بغير طهور

نوع إهانة فى المعنى ، وذلك لأن الأضداد ينبغى أن تقابل بالأضداد ، فالمس بالمطهر فى مقابلة المس على غير طهر ، وترك المس خروج عن كل واحدة منهما فكذلك الإكرام فى مقابلة الإهانة وهناك شىء لا إكرام ولا إهانة فنقول : أن من لايمس المصحف لا يكون مكرماً ولا مهيناً وبترك المس خرج عن الضدين ففى المس على الطهر التعظيم ، وفى المس على الحدث الإهانة فلا تجوز وهو معنى دقيق يليق بالشافعى رحمه الله ومن يقرب منه فى الدرجة .

ثم إن ههنا (لطيفة فقهية) لاحت لهذا الضعيف فى حال تفكره فى تفسير هذه الآية وأراد تقييدها هنا وإنها من فضل الله فيجب على اكرامها بالتقييد بالكتاب ، وهى أن الشافعى رحمه الله منع المحدث والجنب من مس المصحف وجعلهما غير مطهرين ثم منع الجنب عن قراءة القرآن ولم يمنع المحدث وهو استنباط منه من كلام الله تعالى ، وذلك لأن الله تعالى منعه عن المسجد بصريح قوله (ولا جنباً) فدل ذلك على أنه ليس أهلا للذكر لأنه لو كان أهلا للذكر لما منعه من دخول المسجد لأنه تعالى أذن لأهل الذكر فى الدخول بقوله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية ، والمأذون فى الذكر فى المسجد مأذون فى دخول المسجد ضرورة فلو كان الجنب أهلا للذكر لما كان ممنوعاً عن دخول المسجد والمكث فيه وأنه ممنوع عنهما وعن أحدهما ، وأما المحدث فعلم أنه غير ممنوع عن دخول المسجد فإن من الصحابة من كان يدخل المسجد وجوز النبى صلى الله عليه وسلم نوم القوم فى المسجد وليس النوم حدثاً إذ النوم الخاص يلزمه الحكم بالحدث على اختلاف بين الأئمة وما لم يكن ممنوعاً من دخول المسجد لم يثبت كونه غير أهل للذكر فجازله القراءة ، فإن قيل وكان ينبغى أن لايجوز للجنب أن يسبح ويستغفر لأنه ذكر ، نقول القرآن هو الذكر المطلق قال الله تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك) وقال الله تعالى (والقرآن ذى الذكر) وقوله (يذكر فيها اسمه) مع أنا نعلم أن المسجد يسمى مسجداً ، ومسجد القوم محل السجود ، والمراد منه الصلاة والذكر الواجب فى الصلاة هو القرآن ، فالقرآن مفهوم من قوله (يذكر فيها اسمه) ، ومن حيث المعقول هو أن غير القرآن ربما يذكر مريداً به معناه فيكون كلاماً غير ذكراً ، فان من قال أستغفر الله أخبر عن نفسه بأمر ، ومن قال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كذلك أخبر عن أمر كائن بخلاف من قال (قل هو الله أحد) فإنه ليس بمتكلم به بل هو قائل له غير آمر لغيره بالقول ، فالقرآن هو الذكر الذى لا يكون إلا على قصد الذكر لا على قصد الكلام فهو المطلق وغيره قد يكون ذكراً ، وقد لايكون ، فإن قيل فاذا قال (أدخلوها بسلام) وأراد الإخبار ينبغى أن لايكون قرآناً وذكراً ، نقول هو فى نفسه قرآن ، ومن ذكره على قصد الإخبار ، وأراد الأمر والإذن فى الدخول يخرج عن كونه قارئاً للقرآن ، وإن كان لايخرج عن كونه قرآناً ، ولهذا نقول نحن ببطلان صلاته ولو كان قارئاً لما بطلت ، وهذا جواب فيه لطف ينبغى أن يتنبه له المطالع لهذا الكتاب ، وذلك من حيث أنى فرقت بين أن يقال ليس قول

القائل : أدخلوها بسلام ، على قصد الإذن قرآناً ، وبين قوله ليس القائل ادخلوها بسلام ، على غير قصد بقارىء للقرآن ، وما الجواب من حيث المعقول فهو أن العبادة على منافاة الشهوة ، والشهوة إما شهوة البطن ، وإما شهوة الفرج فى أكثر الأمر ، فإن أحداً لا يخلو عنهما ، وإن لم يشته شيئاً آخر من المأكول والمشروب والمنكوح ، لكن شهوة البطن قد لا تبقى شهوة بل تصير حاجة عند الجوع وضرورة عند الخوف ، ولهذا قال تعالى (ولحم طير مما يشتهون) أى لا يكون لحاجة ولا ضرورة بل لمجرد الشهوة وقد بيناه فى هذه السورة ، وأما شهوة الفرج فلا تخرج عن كونها شهوة وإن خرجت تكون فى محل الحاجة لا الضرورة ، فلا يعلم أن شهوة الفرج ليست شهوة محضة ، والعبادة فيها منضمة للشهوة ، فلم تخرج شهوة الفرج عن كونها عبادة بدنية قط بل حكم الشارع ببطلان الحج به ، وبطلان الصوم والصلاة ، وأما قضاء شهوة البطن فلما لم يكن شهوة مجردة بطل به الصلاة والصوم دون الحج ، وربما لم تبطل به الصلاة أيضاً ، إذا ثبت هذا فنقول خروج الخارج دليل قضاء الشهوة البطنية ، وخروج المنى دليل قضاء الشهوة الفرجية ، فواجب بهما تطهير النفس ، لكن الظاهر والباطن متحاذيان ، فأمر الله تعالى بتطهير الظاهر عند الحدث والإنزال لموافقته الباطن ، والإنسان إذا كان له بصيرة وينظر فى تطهير باطنه عند الاغتسال للجنابة ، فانه يجد خفة ورغبة فى الصلاة والذكر (وهنا تتمة لهذه اللطيفة) وهى أن قائلا لو قال : لو صح قولك للزم أن يجب الوضوء بالأكل كما يجب بالحدث لأن الأكل قضاء الشهوة ، وهذا كما أن الاغتسال لما وجب بالإنزال ، لكونه دليل قضاء الشهوة ، وكذا بالإيلاج لكونه قضاء بالإيلاج ، فكذلك الإحداث ، والأكل فنقول ههنا سر مكنون وهو ما بيناه أن الأكل قد يكون لحاجة وضرورة فنقول الأكل لا يعلم كونه للشهوة إلا بعلامة ، فاذا أحدث علم أنه أكل ولا يعلم كونه للشهوة . وأما الإيلاج فلا يكون للحاجة ولا يكون للضرورة فهو شهوة كيفما كان ، فناط الشارع إيجاب التطهير بدليلين (أحدهما) قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الماء من الماء » فإن الإنزال كالإحداث ، وكما أن الحدث هو الخارج وهو أصل فى إيجاب الوضوء ، كذلك ينبغى أن يكون الإنزال الذى هو الخروج هو الأصل فى إيجاب الغسل فإن عنده يتبين قضاء الحاجة والشهوة فان الإنسان بعد الإنزال لا يشتهى الجماع فى الظاهر (وثانيهما) ماروى عنه صلى الله عليه وسلم « الوضوء من أكل ما مسته النار » فإن ذلك دليل قضا الشهوة كما أن خروج الحدث دليله ، وذلك لأن المضطر لا يصبر إلى أن يستوى الطعام بالنار بل يأكل كيفما كان ، فأكل الشىء بعد الطبخ دليل على أنه قاض به الشهوة لادافع به الضرورة ، ونعود إلى الجواب عن السؤال ونقول : إذا تبين هذا فالشافعى رضى الله عنه قضى بأن شهوة الفرج شهوة محضة ، فلا تجامع العبادة الجنابة ، فلا ينبغى أن يقرأ الجنب القرآن ، والمحدث يجوز له أن يقرأ لأن الحدث ليس يكون عن شهوة محضة .

﴿ المسألة التاسعة ﴾ قوله (إلا المطهرون) هم الملائكة طهرهم الله فى أول أمرهم وأبقاهم

كذلك طول عمرهم ولو كان المراد نفى الحدث لقال : لا يمسه إلا المتطهرون أو المطهرون ، بتشديد الطاء والهاء ، والقراءة المشهورة الصحيحة (المطهرون) من التطهير لا من الإطهار ، وعلى هذا يتأيد ماذكرنا من وجه آخر ، وذلك من حيث إن بعضهم كان يقول : هو من السماء ينزل به الجن ويلقيه عليه كما كانوا يقولون فى حق الكهنة فإنهم كانوا يقولون النبى ﷺ كاهن ، فقال لا يمسه الجن وإنما يمسه المطهرون الذين طهروا عن الخبث ، ولا يكونون محلا للافساد والسفك ، فلا يفسدون ولا يسفكون ، وغيرهم ليس بطاهر على هذا الوجه ، فيكون هذا رداً على القائلين بكونه مفترياً ، وبكونه شاعراً ، وبكونه مجنوناً بمس الجن ، وبكونه كاهناً ، وكل ذلك قولهم والكل رد عليهم بما ذكر الله تعالى ههنا من أوصاف كتاب الله العزيز .

﴿ المسألة العاشرة ﴾ قوله (تنزيل من رب العالمين) مصدر ، والقرآن الذى فى كتاب ليس تنزيلا إنما هو منزل كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين) نقول ذكر المصدر وإرادة المفعول كثير كما قلنا فى قوله تعالى (هذا خلق الله) فان قيل ما فائدة العدول عن الحقيقة إلى المجاز فى هذا الموضع ؟ فنقول التنزيل والمنزل كلاهما مفعولان ولهما تعلق بالفاعل ، لكن تعلق الفاعل بالمصدر أكثر ، وتعلق المفعول عبارة عن الوصف القائم به ، فنقول هذا فى الكلام ، فإن كلام الله أيضاً وصف قائم بالله عندنا ، وإنما نقول من حيث الصيغة واللفظ ولك أن تنظر فى مثال آخر ليتيسر لك الأمر من غير غلط وخطأ فى الاعتقاد ، فنقول فى القدرة والمقدور تعلق القدرة بالفاعل أبلغ من تعلق المقدور ، فإن القدرة فى القادر والمقدور ليس فيه ، فإذا قال : هذا قدرة الله تعالى كان له من العظمة مالا يكون فى قوله : هذا مقدور الله . لأن عظمة الشيء بعظمة الله ، فإذا جعلت الشيء قائماً بالتعظيم غير مباين عنه كان أعظم ، وإذا ذكرته بلفظ يقال مثله فيما لا يقوم بالله وهو المفعول به كان دونه ، فقال تنزيل ولم يقل منزل ، ثم إن ههنا (بلاغة أخرى) وهى أن المفعول قد يذكر ويراد به المصدر على ضد ما ذكرنا ، كما فى قوله (مدخل صدق) أى دخول صدق أو إدخال صدق وقال تعالى (كل ممزق) أى تمزيق ، فالممزق بمعنى التمزيق ، كالمنزل بمعنى التنزيل ، وعلى العكس سواء ، وهذه البلاغة هى أن الفعل لا يرى ، والمفعول به يصير مرئياً ، والمرئى أقوى فى العلم ، فيقال مزقهم تمزيقاً . وهو فعل معلوم لكل أحد علماً بيناً يبلغ درجة الرؤية ويصير التمزيق هنا كما صار الممزق ثابتاً مرئياً . والكلام يختلف بمواضع الكلام ، ويستخرج الموفق بتوفيق الله ، وقوله (من رب العالمين) أيضاً لتعظيم القرآن ، لأن الكلام يعظم بعظمة المتكلم ، ولهذا يقال لرسول الملك هذا كلام الملك أو كلامك . وهذا كلام الملك الأعظم أو كلام الملك الذى دونه ، إذا كان الرسول رسول ملوك . فيعظم الكلام بقدر عظمة المتكلم ، فإذا قال من رب العالمين؟ تبين منه عظمة لا عظمة مثلها وقد بينا تفسير العالم وما فيه من اللطائف ، وقوله (تنزيل) رد على طائفة أخرى ، وهم الذين يقولون إنه فى كتاب ، ولا يمسه إلا المطهرون ، وهم الملائكة . لكن الملك يأخذ ويعلم الناس من عنده ولا

أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

يكون من الله تعالى ، وذلك أن طائفة من الروافض يقولون إن جبرائيل أنزل على علي ، فنزل على محمد ، فقال تعالى هو من الله ليس باختيار الملك أيضاً ، وعند هذا تبين الحق فعاد إلى توبيخ الكفار .

قوله تعالى : ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ، وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ هذا إشارة إلى ماذا ؟ فنقول المشهور أنه إشارة إلى القرآن وإطلاق الحديث في القرآن على الكلام القديم كثير بمعنى كونه اسماً لا وصفاً فان الحديث اسم لما يتحدث به ، ووصف يوصف به ما يتجدد ، فيقال أمر حادث ورسم حديث أي جديد ، ويقال أعجبني حديث فلان وكلامه . وقد بينا أن القرآن قديم له لذة الكلام الجديد ، والحديث الذي لم يسمع (الوجه الثاني) أنه إشارة إلى ما تحدثوا به من قبل في قوله تعالى (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ، أو آباؤنا الأولون) وذلك لأن الكلام مستقل منتظم فانه تعالى رد عليهم ذلك بقوله تعالى (قل إن الأولين والآخرين) وذكر الدليل عليهم بقوله (نحن خلقناكم) وبقوله (أفرأيتم ما تمنون ، أفرأيتم ما تحرثون) وأقسم بعد إقامة الدلائل بقوله (فلا أقسم) وبين أن ذلك كله إخبار من الله بقوله (إنه لقرآن) ثم عاد إلى كلامهم ، وقال (أفبهذا الحديث) الذي تتحدثون به (أنتم مدهنون) لأصحابكم تعلمون خلافه وتقولونه ، أم أنتم به جازمون ، وعلى الإصرار عازمون ، وسنبين وجهه بتفسير المدهن ، وفيه وجهان (أحدهما) أن المدهن المراد به المكذب قال الزجاج : معناه أفبالقرآن أنتم تكذبون ، والتحقيق فيه أن الإدهان تليين الكلام لاستمالة السامع من غير اعتقاد صحة الكلام من المتكلم كما أن العدو إذا عجز عن عدوه يقول له أنا داع لك ومثن عليك مداهنة وهو كاذب ، فصار استعمال المدهن في المكذب استعمالا ثانياً وهذا إذا قلنا إن الحديث هو القرآن (والوجه الثاني) المدهن هو الذي يلين في الكلام ويوافق باللسان وهو مصر على الخلاف فقال (أنتم مدهنون) فمنهم من يقول إن النبي كاذب ، وإن الحشر محال وذلك لما هم عليه من حب الرياسة ، وتخافون أنكم إن صدقتم ومنعتم ضعفاءكم عن الكفر يفوت عليكم من كسبكم ماتربحونه بسببهم فتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الرسل ، والأول عليه أكثر المفسرين ، لكن الثاني مطابق لصريح اللفظ فإن الحديث بكلامهم أولى وهو عبارة عن قولهم (أئنا لمبعوثون) والمدهن يبقى على حقيقته فإنهم ما كانوا مدهنين بالقرآن ، وقول الزجاج : مكذبون جاء بعده صريحاً . وأما قوله (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) ففيه وجوه (الأول) تجعلون شكر النعم أنكم تقولون مطرنا بنوء كذا ، وهذا عليه أكثر المفسرين ، (الثاني) تجعلون معاشكم وكسبكم تكذيب محمد ، يقال فلان قطع الطريق معاشه ، والرزق في الأصل مصدر سمي به ما يرزق ، يقال للمأكول رزق ، كما يقال للمقدور قدرة ، والمخلوق خلق ، وعلى هذا

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾

فالتكذيب مصدر قصد به ما كانوا يحصلون به مقاصدهم ، وأما قوله (تكذبون) فعلى الأول المراد تكذيبهم بما قال الله تعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) وغير ذلك ، وعلى الثانى المراد جميع ما صدر منهم من التكذيب ، وهو أقرب إلى اللفظ .

قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ المراد من كلمة (لولا) معنى هلا من كلمات التحضيض وهى أربع كلمات : لولا ، ولوما ، وهلا ، وألا . ويمكن أن يقال أصل الكلمات لم لا ، على السؤال كما يقول القائل : إن كنت صادقاً فلم لا يظهر صدقك ، ثم إنما قلنا الأصل لم لا لكونه استفهاماً أشبه قولنا هلا ، ثم أن الاستفهام تارة يكون عن وجود شىء وأخرى عن سبب وجوده ، فيقال هل جاء زيد ولم جاء ، والاستفهام بهل قبل الاستفهام بلم ، ثم إن الاستفهام قد يستعمل للانكار وهو كثير ، ومنه قوله تعالى هنا (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) وقوله (أتدعون بعلا وتذرون) وقوله تعالى (أإفكا آلهة دون الله تريدون) ونظائرها كثيرة . وقد ذكرنا لك الحكمة فيه ، وهى أن النافى والناهى لا يأمن أن يكذب المخاطب فعرض بالنفى لئلا يحتاج الى بيان النفى ، إذا ثبت هذا فالاستفهام «بهل» لإنكار الفعل ، والاستفهام «بلم» لإنكار سببه ، وبيان ذلك أن من قال لم فعلت كذا ، يشير إلى أنه لا سبب للفعل ، ويقول كان الفعل وقع من غير سبب الوقوع ، وهو غير جائز ، وإذا قال هل فعلت . ينكر نفس الفعل لا الفعل من غير سبب ، وكأنه فى الأول يقول : لو وجد للفعل سبب لكان فعله أليق ، وفى الثانى يقول الفعل غير لائق ولو وجد له سبب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إن كل واحد منهما يقع فى صدر الكلام ، ويستدعى كلاماً مركباً من كلامين فى الأصل ، أما فى « هل » فلأن أصلها أنك تستعملها فى جملتين . فتقول : هل جاء زيد أو ما جاء ، لكنك ربما تحذف أحدهما ، وأما فى (لو) فإنك تقول : لو كان كذا لكان كذا ، وربما تحذف الجزاء كما ذكرنا فى قوله تعالى (لو تعلمون) لأنه يشير بلو إلى أن المنفى له دليل . فإذا قال القائل لو كنتم تعلمون ، وقيل له لم لا يعلمون ، قال إنهم لو يعلمون لفعلوا كذا ، فدليله مستحضر إن طولب به بينه وإذا ثبت أن النفى بلو ، والنفى بهل ، أبلغ من النفى بلا ، والنفى بقوله لم ، وإن كان بينهما اشتراك معنى ولفظاً وحكماً صارت كلمات التحضيض وهى : لوما ، ولولا ، وهلا ، وألا ، كما تقول لم لا وإذن قول القائل : هل تفعل وأنت عنه مستغن ، كقوله لم تفعل وهو قبيح ، وقوله : وهلا تفعل وأنت إليه محتاج ، وألا تفعل

وأنت إليه محتاج . وقوله : لولا ، ولوما ، كقوله : لم لا تفعل ، ولم لا فعلت ، فقد وجد في الازيادة نص ، لأن نقل اللفظ لا يخلو من نص ، كما أن المعنى صار فيه زيادة ما ، على ما في الأصل كما بيناه ، وقوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم) أي لم لا يقولون عند الموت وهو وقت ظهور الأمور وزمان اتفاق الكلمات ، ولو كان ما يقولونه حقاً ظاهراً كما يزعمون لكان الواجب أن يشركوا عند النزع ، وهذا إشارة إلى أن كل أحد يؤمن عند الموت لكن لم يقبل إيمان من لم يؤمن قبله ، فإن قيل ماسمع منهم الإعتراف وقت النزع بل يقولون نحن نكذب الرسل أيضاً وقت بلوغ النفس إلى الحلقوم ونموت عليه ؟ فنقول هذه الآية بينها إشارة وبشارة ، أما الإشارة فإلى الكفار ، وأما البشارة فللرسل ، أما الإشارة وهي أن الله تعالى ذكر للكفار حالة لا يمكنهم إنكارها وهي حالة الموت فإنهم وإن كفروا بالحشر وهو الحياة بعد الموت لكنهم لم ينكروا الموت ، وهو أظهر من كل ماهو من مثله فلا يشكون في حالة النزع ، ولا يشكون في أن في ذلك الوقت لا يبقى لهم لسان ينطق ، ولا إنكار بعمل فتفوتهم قوة الاكتساب لإيمانهم ولا يمكنهم الإتيان بما يجب فيكون ذلك حثاً لهم على تجديد النظر في طلب الحق قبل تلك الحالة ، وأما البشارة فلأن الرسل لما كذبوا وكذب مرسلهم صعب عليهم ، فبشروا بأن المكذبين سيرجعون عما يقولون ، ثم هو إن كان قبل النزع فذلك مقبول وإلا فعند الموت وهو غير نافع ، والضمير في (بلغت) للنفس أو الحياة أو الروح ، وقوله (وأنتم حينئذ تنظرون) تأكيد لبيان الحق أي في ذلك الوقت تصير الأمور مرئية مشاهدة ينظر إليها كل من بلغ إلى تلك الحالة ، فإن كان ماذكرتم حقاً كان ينبغي أن يكون في ذلك الوقت ، وقد ذكرنا التحقيق في (حينئذ) في قوله (يومئذ) في سورة والطور واللفظ والمعنى متطابقان على ماذكرنا لأنهم كانوا يكذبون بالرسل والحشر ، وصرح به الله في هذه السورة عنهم حيث قال (إنهم كانوا يصرون على الحنث العظيم ، وكانوا يقولون أئذا متنا) وهذا كالتصريح بالتكذيب لأنهم ما كانوا ينكرون أن الله تعالى منزل لكنهم كانوا يجعلون أيضاً الكواكب من المنزلين ، وأما المضمر فذكره الله تعالى عند قوله (أفرأيتم الماء الذي تشربون) ثم قال (أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) بالواسطة وبالتفويض على ماهو مذهب المشركين أو مذهب الفلاسفة . وأيضاً التفسير المشهور محتاج إلى إضمار تقديره أتجعلون شكر رزقكم ، وأما جعل الرزق بمعنى المعاش فأقرب ، يقال فلان رزقه في لسانه ، ورزق فلان في رجله ويده ، وأيضاً فقوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم) متصل بما قبله لما بينا أن المراد أنكم تكذبون الرسل فلم لا تكذبونهم وقت النزع لقوله تعالى (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) فعلم أنهم كذبوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « كذب المنجمون ورب الكعبة » ولم يكذبوا وهذا على قراءة من يقرأ تكذبون بالتخفيف ، وأما المدهن فعلى ماذكرنا يبقى على الأصل ويوافقه (ودوا لو تدهن فيدهنون) فإن المراد هناك ليس تكذب فيكذبون ، لأنهم أرادوا النفاق لا التكذيب الظاهر .

فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أكثر المفسرين على أن (لولا) فى المرة الثانية مكررة وهى بعينها هى التى قال تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم) ولها جواب واحد ، وتقديره على ما قاله الزمخشرى : فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم ، أى إن كنتم غير مدينين ، وقال بعضهم هو كقوله تعالى (فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم) حيث جعل فلا خوف جزاء شرطين ، والظاهر خلاف ما قالوا ، وهو أن يقال جواب لولا فى قوله (فلولا إذا بلغت الحلقوم) هو ما يدل عليه ما سبق يعنى تكذبون مدة حياتكم جاعلين التكذيب رزقكم ومعاشكم (فلولا تكذبون) وقت النزع وأنتم فى ذلك الوقت تعلمون الأمور وتشاهدونها ، وأما لولا فى المرة الثانية فجوابها (ترجعونها) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى (مدينين) أقوال منهم من قال المراد مملوكين ، ومنهم من قال مجزيين ، وقال الزمخشرى من دانه السلطان إذا ساسه ، ويحتمل أن يقال المراد غير مقيمين من مدن إذا أقام ، هو حينئذ فعيل ، ومنه المدينة ، وجمعها مدائن ، من غير إظهار الياء ، ولو كانت مفعلة لكان جمعها مداين كمعايش بإثبات الياء ، ووجهه أن يقال كان قوم ينكرون العذاب الدائم ، وقوم ينكرون العذاب ومن اعترف به كان ينكر دوامه ، ومثله قوله تعالى (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) قيل إن كنتم على ما تقولون لا تبقون فى العذاب الدائم فلم لا ترجعون أنفسكم إلى الدنيا إن لم تكن الآخرة دار الإقامة ، وأما على قوله (مجزيين) فالتفسير مثل هذا كأنه قال : ستصدقون وقت النزع رسل الله فى الحشر ، فإن كنتم بعد ذلك غير مجزيين فلم لا ترجعون أنفسكم إلى دنياكم ، فإن التعويق للجزاء لا غير ، ولولا الجزاء لكنتم مختارين كما كنتم فى دنياكم التى ليست دار الجزاء مختارين تكونون حيث تريدون من الأماكن ، وأما على قولنا مملوكين من الملك ، ومنه المدينة المملوكة ، فالأمر أظهر بمعنى أنكم إذا كنتم لستم تحت قدرة أحد ، فلم لا ترجعون أنفسكم إلى الدنيا كما كنتم فى دنياكم التى ليست دار جزاء مع أن ذلك مشتهى أنفسكم ومنى قلوبكم ، وكل ذلك عند التحقيق راجع إلى كلام واحد ، وأنهم كانوا يأخذون بقول الفلاسفة فى بعض الأشياء دون بعض ، وكانوا يقولون بالطبائع ، وأن الأمطار من السحب ، وهى متولدة بأسباب فلكية ، والنبات كذلك ، والحيوان كذلك ، ولا اختيار لله فى شىء . وسواء عليه إنكار الرسل والحشر ، فقال تعالى إن كان الأمر كما يقولون فما بال الطبيعى الذى يدعى العلم لا يقدر على أن يرجع النفس من الحلقوم ، مع أن فى الطبع عنده إمكاناً لذلك ، فإن عندهم البقاء بالغذاء وزوال الأمراض بالدواء ، وإذا علم هذا فان قلنا (غير مدينين) معناه غير مملوكين رجع إلى قولهم من إنكار الاختيار وقلب الأمور كما يشاء الله ، وإن قلنا غير مقيمين فكذلك ، لأن إنكار الحشر بناء على القول بالطبع ، وإن قلنا غير

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾

محاسبين ومجزيين فكذلك ، ثم لما بين أن الموت كائن والحشر بعده لازم ، بين ما يكون بعد الحشر ليكون ذلك باعثاً للمكلف على العمل الصالح ، وزاجراً للمتمرد عن العصيان والتكذيب فقال :

﴿ فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ هذا وجه تعلقه معنى ، وأما تعلقه لفظاً ، فنقول : لما قال (فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها) وكان فيها أن رجوع الحياة والنفس إلى البدن ليس تحت قدرتهم ولا رجوع لهم بعد الموت إلى الدنيا صار كأنه قال أنتم بعد الموت دائمون فى دار الإقامة ومجزيون ، فالمجزى إن كان من المقربين فله الروح والريحان ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى معنى الروح وفيه وجوه (الأول) هو الرحمة قال تعالى (ولا تيأسوا من روح الله) أى من رحمة الله (الثانى) الراحة (الثالث) الفرح ، وأصل الروح السعة ، ومنه الروح لسعة ما بين الرجلين دون الفحج ، وقرىء ، فروح بضم الراء بمعنى الرحمة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى الكلام إضمار تقديره : فله روح أفصحت الفاء عنه لكون فاء الجزاء لربط الجملة بالشرط فعلم كونها جزاء ، وكذلك إذا كان أمراً أو نهياً أو ماضياً ، لأن الجزاء إذا كان مستقبلا يعلم كونه جزاء بالجزم الظاهر فى السمع والخط ، وهذه الأشياء التى ذكرت لا تحتمل الجزم ، أما غير الأمر والنهى فظاهر ، وأما الأمر والنهى فلأن الجزم فيهما ليس لكونهما جزاءين فلا علامة للجزاء فيه ، فاختاروا الفاء فإنها لترتيب أمر على أمر ، والجزاء مرتب على الشرط .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ فى الريحان ، وقد تقدم تفسيره فى قوله تعالى (ذو العصف والريحان) ولكن ههنا فيه كلام ، فمنهم من قال المراد ههنا ماهو المراد ثمة ، إما الورق وإما الزهر وإما النبات المعروف ، وعلى هذا فقد قيل إن أرواح أهل الجنة لا تخرج من الدنيا إلا ويؤتى إليهم بريحان من الجنة يشمونه ، وقيل إن المراد ههنا غير ذلك وهو الخلود ، وقيل هو رضاء الله تعالى عنهم فإذا قلنا الروح هو الرحمة فالآية كقوله تعالى (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) وأما (جنة نعيم) فقد تقدم القول فيها عند تفسير السابقين فى قوله (أولئك المقربون فى جنات النعيم) وذكرنا فائدة التعريف هناك وفائدة التنكير ههنا .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ذكر فى حق المقربين أموراً ثلاثة ههنا وفى قوله تعالى (يبشرهم ربهم) وذلك لأنهم أتوا بأمور ثلاثة وهى : عقيدة حقة وكلمة طيبة وأعمال حسنة ، فالقلب واللسان والجوارح كلها كانت مرتبة برحمة الله على عقيدته ، وكل من له عقيدة حقة برحمه الله ويرزقه الله دائماً وعلى الكلمة الطيبة وهى كلمة الشهادة ، وكل من قال لا إله إلا الله فله رزق كريم والجنة له على أعماله الصالحة ، قال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله) وقال (ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى) فإن قيل فعلى هذا من أتى بالعقيدة

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾

الحقة ، ولم يأت بالكلمة الطيبة ينبغي أن يكون من أهل الرحمة ولا يرحم الله إلا من قال لا إله إلا الله ، نقول من كانت عقيدته حقة ، لابدو أن يأتي بالقول الطيب فإن لم يسمع لا يحكم به ، لأن العقيدة لا اطلاع لنا عليها فالقول دليل لنا ، وأما الله تعالى فهو عالم الأسرار ، ولهذا ورد في الأخبار أن من الناس من يدفن في مقابر الكفار ويحشر مع المؤمنين ، ومنهم من يدفن في مقابر المسلمين ويحشر مع الكفار لا يقال إن من لا يعمل الأعمال الصالحة لا تكون له الجنة على ماذكرت ، لأنا نقول الجواب عنه من وجهين : (أحدهما) أن عقيدته الحقة وكلمته الطيبة لا يتركانه بلاعمل ، فهذا أمر غير واقع وفرض غير جائز (وثانيهما) أنا نقول من حيث الجزاء ، وأما من قال لا إله إلا الله فيدخل الجنة ، وإن لم يعمل عملا لا على وجه الجزاء بل بمحض فضل الله من غير جزاء ، وإن كان الجزاء أيضاً من الفضل لكن من الفضل ما يكون كالصدقة المبتدأة ، ومن الفضل ما لا كما يعطى الملك الكريم آخر والمهدى اليه غير ملك لا يستحق هديته ولا رزقه .

قوله تعالى : ﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في السلام وفيه وجوه (أولها) يسلم به صاحب اليمين على صاحب اليمين ، كما قال تعالى من قبل (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما ، إلا قيلا سلاماً سلاماً) ، (ثانيها) (فسلام لك) أي سلامة لك من أمر خاف قلبك منه فإنه في أعلى المراتب ، وهذا كما يقال لمن تعلق قلبه بولده الغائب عنه ، إذا كان يخدم عند كريم ، يقول له : كن فارغاً من جانب ولدك فإنه في راحة . (ثالثها) أن هذه الجملة تفيد عظمة حالهم كما يقال : فلان ناهيك به ، وحسبك أنه فلان ، إشارة إلى أنه ممدوح فوق الفضل .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الخطاب بقوله (لك) مع من ؟ نقول قد ظهر بعض ذلك فنقول : يحتمل أن يكون المراد من الكلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ فيه وجه وهو ما ذكرنا أن ذلك تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم فانهم غير محتاجين إلى شيء من الشفاعة وغيرها ، فسلام لك يا محمد منهم فانهم في سلامة وعافية لا يهمك أمرهم ، أو فسلام لك يامحمد منهم ، وكونهم ممن يسلم على محمد صلى الله عليه وسلم دليل العظمة ، فإن العظيم لا يسلم عليه إلا عظيم ، وعلى هذا ففيه (لطيفة) وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم مكانته فوق مكانة أصحاب اليمين بالنسبة إلى المقربين الذين هم في عليين ، كأصحاب الجنة بالنسبة إلا أهل عليين ، فلما قال (وأما إن كان من أصحاب اليمين) كان فيه إشارة إلى أن مكانهم غير مكان الأولين المقربين ، فقال تعالى هؤلاء وإن كانوا دون الأولين لكن لا تنفع بينهم المكانة والتسليم ، بل هم يرونك ويصلون إليك وصول جليس الملك إلى الملك والغائب إلى أهله وولده ، وأما المقربون فهم يلازمونك ولا يفارقونك وإن كنت أعلى مرتبة منهم .

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم ﴾ وفيه مسالتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال ههنا (من المكذبين الضالين) وقال من قبل (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون) وقد بينا فائدة التقديم والتأخير هناك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكر الأزواج الثلاثة فى أول السورة بعبارة وأعادهم بعبارة أخرى فقال (أصحاب الميمنة) ثم قال (أصحاب اليمين) وقال (أصحاب المشأمة) ثم قال (أصحاب الشمال) وأعادهم ههنا ، وفى المواضع الثلاثة ذكر أصحاب اليمين بلفظ واحد أو بلفظين مرتين ، أحدهما غير الآخر ، وذكر السابقين فى أول السورة بلفظ السابقين ، وفى آخر السورة بلفظ المقربين ، وذكر أصحاب النار فى الأول بلفظ (أصحاب المشأمة) ثم بلفظ (أصحاب الشمال) ثم بلفظ (المكذبين) فما الحكمة فيه ؟ نقول أما السابق فله حالتان إحداهما فى الأولى ، والأخرى فى الآخرة ، فذكره فى المرة الأولى بماله فى الحالة الأولى ، وفى الثانية بماله فى الحالة الآخرة ، وليس له حالة هى واسطة بين الوقوف للعرض وبين الحساب ، بل هو ينقل من الدنيا إلى أعلى عليين ، ثم ذكر أصحاب اليمين بلفظين متقاربين ، لأن حالهم قريبة من حال السابقين ، وذكر الكفار بألفاظ ثلاثة كأنهم فى الدنيا حكوا عليهم بأنهم أصحاب موضع شؤم ، فوصفوهم بموضع الشؤم ، فإن المشأمة مفعلة وهى الموضع ، ثم قال (أصحاب الشمال) فإنهم فى الآخرة يؤتون كتابهم بشمالهم ، ويقفون فى موضع هو شمال ، لأجل كونهم من أهل النار ، ثم إنه تعالى لما ذكر حالهم فى أول الحشر بكونهم من أصحاب الشمال ذكر ما يكون لهم من السموم والحميم ، ثم لم يقتصر عليه ، ثم ذكر السبب فيه ، فقال (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون) فذكر سبب العقاب لما بينا مراراً أن العادل يذكر للعقاب سبباً ، والمتفضل لايذكر للانعام والتفضل سبباً ، فذكرهم فى الآخرة ما عملوه فى الدنيا ، فقال (وأما إن كان من المكذبين) ليكون ترتيب العقاب على تكذيب الكتاب فظهر العدل ، وغير ذلك ظاهر .

قوله تعالى : ﴿ إن هذا لهو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ هذا إشارة إلى ماذا ؟ نقول فيه وجوه (أحدها) القرآن (ثانيها) ماذكره فى السورة (ثالثها) جزاء الأزواج الثلاثة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ كيف أضاف الحق إلى اليقين مع أنهما بمعنى واحد ؟ نقول فيه وجوه

(أحدها) هذه الإضافة ، كما أضاف الجانب إلى الغربى فى قوله (وما كنت بجانب الغربى) وأضاف الدار إلى الآخرة فى قوله (ولدار الآخرة) غير أن المقدر هنا غير ظاهر ، فإن شرط ذلك أن يكون بحيث يوصف باليقين ، ويضاف إليه الحق ، وما يوصف باليقين بعد إضافة الحق إليه (وثانيها) أنه من الإضافة التى بمعنى من ، كما يقال باب من ساج ، وباب ساج ، وخاتم من فضة ، وخاتم فضة ، فكأنه قال : لهو الحق من اليقين (ثالثها) وهو أقرب منها ما ذكره ابن عطية أن ذلك نوع تأكيد ، يقال هذا من حق الحق ، وصواب الصواب ، أى غايته ونهايته التى لا وصول فوقه ، والذى وقع فى تقرير هذا أن الإنسان أظهر ما عنده الأنوار المدركة بالحس ، وتلك الأنوار أكثرها مشوبة بغيرها ، فإذا وصل الطالب إلى أوله يقول : وجدت أمر كذا ، ثم إنه مع صحة إطلاق اللفظ عليه لا يتميز عن غيره ، فيتوسط الطالب ويأخذ مطلوبه من وسطه ، مثاله من يطلب الماء ، ثم يصل إلى بركة عظيمة ، فإذا أخذ من طرفه شيئاً يقول هو ماء ، وربما يقول قائل آخر : هذا ليس بماء ، وإنما هو طين ، وأما الماء ما أخذته من وسط البركة ، فالذى فى طرف البركة ماء بالنسبة إلى أجسام أخرى ، ثم إذا نسب إلى الماء الصافى ربما يقال له شىء آخر ، وإذا قال هذا هو الماء حقاً يكون قد أكد ، وله أن يقول حق الماء ، أى الماء حقاً هذا بحيث لا يقول أحد فيه شىء ، فكذلك ههنا كأنه قال : هذا هو اليقين حقاً لا اليقين الذى يقول بعض أنه ليس بيقين ، ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يقال الإضافة على حقيقتها ، ومعناه أن هذا القول لك يا محمد وللمؤمنين ، وحق اليقين أن تقول كذا ، ويقرب من هذا ما يقال حق الكمال أن يصلى المؤمن ، وهذا كما قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » أن الضمير راجع إلى الكلمة أى إلا بحق الكلمة ، ومن حق الكلمة أداء الزكاة والصلاة ، فكذلك حق اليقين أن يعرف ما قاله الله تعالى فى الواقعة فى حق الأزواج الثلاثة ، وعلى هذا معناه : أن اليقين لا يحق ولا يكون إلا إذا صدق فيما قاله بحق ، فالتصديق حق اليقين الذى يستحقه ، وأما قوله (فسبح باسم ربك العظيم) فقد تقدم تفسيره ، وقلنا إنه تعالى لما بين الحق وامتنع الكفار ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم هذا هو حق ، فإن امتنعوا فلا تتركهم ولا تعرض عنهم وسبح ربك فى نفسك ، وما عليك من قومك سواء صدقوك أو كذبوك ، ويحتمل أن يكون المراد فسبح واذكر ربك باسمه الأعظم ، وهذا متصل بما بعده لأنه قال فى السورة التى تلى هذه (سبح لله ما فى السموات) فكأنه قال : سبح الله ما فى السموات ، فعليك أن توافقهم ولا تلتفت إلى الشرذمة القليلة الضالة ، فإن كل شىء معك يسبح الله عز وجل .

تم تفسير السورة ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سورة الواقعة

مكِّيَّة، وهي سبع وتسعون آية

مكيَّة في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيةً منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1] [الآية: ٨٢]. وقال الكلبيُّ: مكيَّة إلا أربع آيات منها، آيتان: ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [٨١-٨٢] نزلتا في سفره إلى مكَّة، وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [٣٩-٤٠] نزلتا في سفره إلى المدينة.

وقال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأوَّلين والآخرين، ونبأ أهل الجنَّة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة[2].

وذكر أبو عمر ابن عبد البر في «التمهيد»[3] و«التعليق»، والثعلبيُّ أيضاً: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبستَه عني في حياتي، وتدفعه لي عند مماتي؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفاقةَ من بعدي؟ إنِّي أمرتهنَّ أن يقرأنَ سورةَ «الواقعة» كلَّ ليلة، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلة لم تُصِبْه فاقة أبداً»[4].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٤٥ .

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٣١ .

(٣) ٥/ ٢٦٩ .

(٤) وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٩٧) بتمامه، و(٢٤٩٨) و(٢٤٩٩) و(٢٥٠٠) مقتصرين على الحديث المرفوع، وأخرجه أيضاً ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٢٦)، وابن السني في عمل =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، والمراد النفخة الأخيرة[(١)]. وسمِّيت واقعة؛ لأنَّها تقع عن قُرب. وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد[(٢)]. وفيه إضمار، أي: اذكروا إذا وقعت الواقعة[(٣)]. وقال الجرجانيُّ: «إذا» صلة، أي: وقعت الواقعة، كقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر:١]، و﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل:١] وهو كما يقال: قد جاء الصوم، أي: دنا واقترب. وعلى الأوَّل «إذَا» للوقت، والجواب قوله: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ».

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ الكاذبة مصدر بمعنى الكذب[(٤)]، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضعَ المصدر، كقوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية:١١] أي: لغو، والمعنى: لا يسمع لها كذب، قاله الكسائيُّ. ومنه قول العامَّة: عائذاً بالله، أي: معاذ الله، وقم قائماً: أي: قم قياماً. ولبعض نساء العرب ترقِّصُ ابنها:

قُمْ قائماً قُمْ قائما أصبت عبداً نائما

= اليوم والليلة (٦٨٠) بنحوه مختصراً. وفي إسناده: السري بن يحيى، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٦٣: وقد اختلف في شيخه، هل هو شجاع، أو: أبو شجاع، واختلفوا أيضاً في شيخ شجاع، هل هو أبو فاطمة، أو: أبو ظبية، ثم اختلفوا في ضبط أبي ظبية، فعند الدارقطني بالطاء المهملة، بعدها تحتانية، ثم موحدة، وإنه عيسى بن سليمان الجرجاني، وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة... وعند البيهقي أنه بالمعجمة، بعدها موحدة، ثم تحتانية، وأنه مجهول. وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع لا أعرفه. اهـ.

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٤٥.

(٣) الكشاف ٤/ ٥١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢١.

وقيل: الكاذبة صفة، والموصوف محذوف، أي: ليس لوقعتها حال كاذبة، أو نفس كاذبة، أي: كلُّ من يخبر عن وقعتها صادق[1]. وقال الزجَّاج[2]: «لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ» أي: لا يَردُّها شيء. ونحوه قول الحسن وقتادة[3]. وقال الثوريُّ: ليس لوقعتها أحد يكذِّب بها. وقال الكسائيُّ أيضاً: ليس لها تكذيب، أي: ينبغي ألا يكذِّب بها أحد. وقيل: إنَّ قيامها جِدٌّ لا هزْلَ فيه.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال عِكرمة ومقاتل والسُّدِّيُّ: خفضت الصوت فأسمعتْ من دنا، ورفعتْ فأسمعت من نأى[4]. يعني: أَسمعت القريب والبعيد. وقال السُّدِّيُّ: خفضت المتكبِّرين، ورفعت المستضعفين. وقال قتادة: خفضت أقواماً في عذاب الله، ورفعت أقواماً إلى طاعة الله[5]. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: خفضت أعداءَ الله في النار، ورفعت أولياءَ الله في الجنَّة. وقال محمد بن كعب: خفضت أقواماً كانوا في الدنيا مرفوعين، ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا مخفوضين[6]. وقال ابن عطاء: خفضت أقواماً بالعدل، ورفعت آخرين بالفَضْل. والخَفْض والرَّفْع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعزِّ والإهانة. ونسب سبحانه الخفضَ والرفْع للقيامة؛ توسُّعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحلِّ والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل، يقولون: ليلٌ نائمٌ، ونهار صائم. وفي التنزيل: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ:٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنَّما هو الله وحده، فرفَع أولياءَه في أعلى الدرجات، وخفض أعداءَه في أسفل الدَّرَكات.

وقرأ الحسن وعيس الثقفيُّ: «خَافِضَةً رَّافِعَةً» بالنصب[7]. الباقون بالرفع؛ على

---

(١) الكشاف ٤/ ٥١.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١٠٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٢٨٠ عن قتادة.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٤٦ عن عكرمة، وأخرجه عنه الطبري ٢/ ٢٨١.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٦٩، والطبري ٢٢/ ٢٨١.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٤٦، وقول عمر أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٢٩ (١٧٨٦٦).

(٧) المحتسب ٢/ ٣٠٧، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥٠ وعزاها إلى اليزيدي.

إضمار مبتدأ، ومن نصب، فعلى الحال. وهو عند الفرَّاء[١] على إضمار فعل، والمعنى: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ» وقعت خَافِضَةً رَّافِعَةً. والقيامة لا شكَّ في وقوعها، وأنَّها ترفَع أقواماً وتضع آخرين، على ما بيَّنَّاه.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: زُلزلت وحُركت، عن مجاهد وغيره[٢]. يقال: رَجَّه يَرُجُّه رجًّا، أي: حرَّكه وزلزله. وناقة رجَّاء، أي: عظيمة السَّنَام. وفي الحديث: «مَنْ ركب البحرَ حين يَرْتَجُّ فلا ذِمَّةَ له» يعني: إذا اضطربت أمواجه[٣]. قال الكلبيُّ: وذلك أنَّ الله تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فَرَقًا من الله تعالى. قال المفسرون: تَرْتَجُّ كما يرتجُّ الصبيُّ في المهد حتى ينهدم كلُّ ما عليها، وينكسر كلُّ شيء عليها من الجبال وغيرها[٤]. وعن ابن عباس: الرَّجَّة: الحركة الشديدة يسمع لها صوت[٥].

وموضع «إِذَا» نصب على البدل من «إذا وَقَعَتِ»، ويجوز أن ينتصب بـ«خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ» أي: تخفض وترفَع وقت رجِّ الأرض وبسِّ الجبال؛ لأنَّ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض[٦]. وقيل: أي: وقعت الواقعة إذا رجَّت الأرض، قاله الزجَّاج[٧] والجرجانيُّ. وقيل: أي: اذكر «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» مصدر؛ وهو دليل على تكرير الزلزلة.

قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فُتِّتت، عن ابن عباس[٨]. مجاهد: كما

---

(١) في معاني القرآن له ٣/ ١٢١ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٥ ، وأخرجه عنه ـ وعن ابن عباس ـ الطبري ٢٢/ ٢٨٢ .

(٣) الصحاح (رجج)، والحديث أخرجه أحمد (٢٠٧٤٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٢٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مطولاً، وأورده أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٢٧٥ وقال: وأكثر ظني أنه التَجَّ ـ باللام. ا هـ. وهما بمعنًى.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩ .

(٥) زاد المسير ٨/ ١٣١ .

(٦) الكشاف ٤/ ٥٢ .

(٧) في معاني القرآن له ٥/ ١٠٨ .

(٨) زاد المسير ٨/ ١٣٢ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٨٣ .

يُبَسُّ الدقيق، أي: يُلَتُّ[1].

والبَسِيْسَة: السّوِيق أو الدقيق يُلَتُّ بالسَّمن أو بالزيت، ثم يؤكل ولا يطبخ، وقد يُتَّخذ زاداً. قال الراجز:

لا تَـخْـبِـزَا خُـبْـزاً وبُـسَّـا بَـسَّـا ولا تُـطِـيـلاَ بِـمُـنَـاخٍ حَـبْـسَـا[2]

وذكر أبو عبيدة[3]: أنَّه لصٌّ من غَطَفان أراد أن يخبِز فخاف أن يُعجَل عن ذلك فأكله عجيناً. والمعنى أنَّها خُلِطت فصارت كالدقيق الملتوت بشيء من الماء. أي: تصير الجبال تراباً فيختلط البعض بالبعض. وقال الحسن: وبُسَّت: قُلعت من أصلها فذهبت، نظيره: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾[4] [طه: ١٠٥]. وقال عطيَّة: بُسطت كالرمل والتراب. وقيل: البسُّ: السَّوق[5]، أي: سيقت الجبال. قال أبو زيد: البسُّ: السَّوق، وقد بسستُ الإبل أبُسُّها ـ بالضمّ ـ بسًّا. وقال أبو عبيد[6]: بَسَسْتُ الإبلَ وأبسست لغتان: إذا زجرتها، وقلتُ لها: بِسْ بِسْ. وفي الحديث: «يخرج قوم من المدينة إلى اليمن أو الشام أو العراق يَبُسُّون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[7] ومنه الحديث الآخر: «جاءكم أهل اليمن يَبُسُّون عِيالهم»[8] والعرب تقول: جِيْء به من حَسِّك وبَسِّك[9]. ورواهما أبو زيد بالكسر، فمعنى من حَسِّك، من حيث أحسسته، وبَسِّك، من حيث بلغه مسيرك، وقال مجاهد: سالت سيلاً. عكرمة: هُدَّت

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٥، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٨٣.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٤٧، والصحاح (بسس)، وما بعده منه أيضاً، والرجز لبعض لصوص العرب، كما ذكر ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان ٤/ ٤٩٠-٤٩١، وذكرها المرزباني في معجم الشعراء ص٤٧٥ بنحوه ونسبها إلى الهفوان العقيلي أحد بني المنتفق وأحد اللصوص.

(٣) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٨.

(٦) في غريب الحديث ٣/ ٨٩-٩٠، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (بسس).

(٧) أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨)، وأحمد (٢١٩١٦) عن سفيان بن أبي زهير البهزي ﷺ.

(٨) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٩) الصحاح (بسس)، والمثل في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/ ٣٦.

هدًّا. محمد بن كعب: سُيِّرت سيراً، ومنه قول الأغلب العجليِّ[١]:

[نحن بسسنا بأثر أطاراً أضاء خمساً ثمَّت سارا]

وقال الحسن: قُطعت قطعاً. والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ قال عليٌّ ﷺ: الهباء المنبث: الرَّهج الذي يسطع من حوافر الدوابِّ ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك، وقال مجاهد: الهباء: هو الشعاع الذي يكون في الكوَّة كهيئة الغبار[٢]. وروي نحوه عن ابن عباس[٣]. وعنه أيضاً: هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منها شرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً[٤]. وقاله عطيَّة. وقد مضى في «الفرقان»[٥] عند قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الآية: ٢٣].

وقراءة العامَّة: «مُنْبَثًّا» بالثاء المثلثة، أي: متفرِّقاً من قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠] أي: فرَّق ونشر. وقرأ مسروق والنخعيُّ وأبو حَيْوة: «مُنْبَتًّا» بالتاء المثناة[٦]، أي: منقطعاً من قولهم: بتَّه الله، أي: قطعه، ومنه البتات.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ أي: أصنافاً ثلاثة[٧]، كلُّ صنف يُشاكِل ما هو

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٤٦ وما بعده منه أيضاً، ولم يرد في النسخ قول الأغلب العجلي، واستدركناه منه.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٤٧، وقول علي أخرجه مجاهد في التفسير ٢/ ٦٤٥، وعبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٦٩، والطبري ٢٢/ ٢٨٥، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٨٥.

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٨٤.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٤٧.

(٥) ١٥/ ٣٩٦.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ عن النخعي، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٤.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٦.

منه، كما يُشاكِل الزوج الزوجة. ثم بيَّن من هم فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فأصحاب الميمنة: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنَّة. وأصحاب المشأمة: هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النَّار. قاله السُّدِّيُّ[١].

والمَشْأَمة: الميسرة، وكذلك الشأمة. يقال: قعد فلانٌ شأمةً. ويقال: يا فلان شائِمْ بأصحابك، أي: خُذْ بهم شَأمةً، أي: ذات الشمال[٢]. والعرب تقول لليد الشمال: الشؤمى، وللجانب الشمال: الأشأم[٣]. وكذلك يقال لما جاء عن اليمين: اليُمْن، ولما جاء عن الشّمال: الشؤم[٤].

وقال ابن عباس والسُّدِّيُّ: أصحاب الميمنة: هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذُّرِّيَّة من صُلْبه فقال الله لهم: هؤلاء في الجنَّة ولا أبالي[٥]. وقال زيد بن أسلم[٦]: هم الذين أُخِذوا من شقِّ آدم الأيمن يومئذ. وأصحاب المشأمة: الذين أُخِذوا من شقِّ آدم الأيسر. وقال عطاء ومحمد بن كعب: أصحاب الميمنة: من أُوتيَ كتابه بيمينه. وأصحاب المشأمة: من أُوتيَ كتابه بشماله. وقال ابن جريج: أصحاب الميمنة: هم أهل الحسنات. وأصحاب المشأمة: هم أهل السيئات. وقال الحسن والربيع: أصحاب الميمنة: الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة. وأصحاب المشأمة: المشائيم على أنفسهم بالأعمال السيئة القبيحة[٧].

وفي «صحيح مسلم»[٨] من حديث الإسراء عن أبي ذرٍّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «فلما

---

(١) النكت والعيون ٥/٤٤٨ .

(٢) الصحاح (شأم).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٤٨ .

(٤) زاد المسير ٨/ ١٣٢ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) بعدها في (م): أصحاب الميمنة. ولم ترد في النسخ الخطية.

(٧) النكت والعيون ٥/٤٤٨ دون ذكر عطاء والربيع، وذكره عن الربيع ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٣٢ مقتصرين على الشِّق الأول من قوله.

(٨) برقم (١٦٣)، هو عند البخاري أيضاً (٣٤٩).

عَلَونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسْوِدة، وعن يساره أسْوِدة ـ قال: ـ فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبل شماله بكى ـ قال: ـ فقال: مرحباً بالنبيِّ الصالح والابنِ الصالح ـ قال: ـ قلت: يا جبريل مَن هذا؟ قال: هذا آدم عليه السلام، وهذه الأسودِة التي عن يمينه وعن شماله نَسَم بَنِيْه، فأهل اليمين أهل الجنَّة، والأسوِدة التي عن شماله أهل النار» وذكر الحديث.

وقال المبرِّد: وأصحاب الميمنة: أصحاب التقدُّم. وأصحاب المشأمة: أصحاب التأخُّر. والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي: اجعلني من المتقدِّمين ولا تجعلنا من المتأخِّرين. والتكرير في «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» و«مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» للتفخيم والتعجُّب، كقوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ . مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢] و﴿ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[1] [القارعة: ١-٢] كما يقال: زيد ما زيد[2]! وفي حديث أمِّ زَرْع رضي الله عنها: مالِكٌ ومَا مَالِكٌ[3]! والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب، ولأصحاب المشأمة من العقاب.

وقيل: «أَصْحَابُ» رفع بالابتداء، والخبر: «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» كأنَّه قال: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» ما هم؟ المعنى: أيُّ شيء هم[4]. وقيل: يجوز أن تكون «ما» تأكيداً، والمعنى: فالذين يعطون[5] كتابَهم بأيمانهم هم أصحاب التقدُّم وعلوِّ المنزلة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «السابقون الذين إذا أُعطوا الحقَّ قبلوه، وإذا سُئِلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» ذكره المهدويُّ[6]. وقال محمد بن كعب القُرَظيُّ: إنَّهم الأنبياء. الحسن وقتادة: السابقون

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/١٠٨-١٠٩ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/٧٠١ .

(٣) سلف ١/٢٩٣ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٢٤ .

(٥) في (ظ): يؤتون.

(٦) وأخرجه أحمد (٢٤٣٧٩)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٦ و٢/١٨٦-١٨٧ عن عائشة رضي الله عنها. وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

إلى الإيمان من كلِّ أمَّة[١]. ونحوه عن عكرمة. محمد بن سيرين: هم الذين صَلُّوا إلى القِبْلَتَيْن؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[٢] [التوبة: ١٠٠]. وقال مجاهد وغيره: هم السابقون إلى الجهاد، وأوَّل الناس رواحاً إلى الصلاة. وقال عليٌّ ﷺ: هم السابقون إلى الصلوات الخمس. الضحَّاك: إلى الجهاد. سعيد بن جُبير: إلى التوبة وأعمال البرِّ، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٣] [المؤمنون: ٦١].

وقيل: إنَّهم أربعة، منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون، وسابق أمَّة عيسى وهو حبيب النجَّار صاحب أنطاكيَّة، وسابقان في أمَّة محمد ﷺ وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قاله ابن عباس، حكاه الماورديُّ[٤].

وقال شُمَيْط بن العجلان: الناس ثلاثة، فرجل ابتكر للخير في حداثة سِنِّه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا هو السابق المقرَّب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طوَّل الغفلة، ثم رجع بتوبته حتى خُتم له بها، فهذا من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها، فهذا من أصحاب الشمال[٥]. وقيل: هم كلُّ من سَبق إلى شيء من أشياء الصلاح.

ثم قيل: «السَّابِقُونَ» رفع بالابتداء، والثاني توكيد له، والخبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. وقال الزجَّاج[٦]: «السَّابِقُونَ» رفع بالابتداء، والثاني خبره، والمعنى: السابقون إلى

(١) النكت والعيون ٥/٤٤٨ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٢٩٠ عن ابن سيرين.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ .

(٤) في النكت والعيون ٥/٤٤٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٢٩ (١٨٧٧٣) عن ابن عباس بنحوه.

(٥) الكشاف ٤/ ٥٢ دون عزو.

(٦) في معاني القرآن له ٥/١٠٩ وما قبله منه أيضاً.

طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، «أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» من صفتهم. وقيل: إذا خرج رجل من السابقين المقرَّبين من منزله في الجنَّة كان له ضوء يعرفه به مَن دونه.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة من الأمم الماضية. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: ممَّن آمن بمحمَّد ﷺ[١]. قال الحسن: ثُلَّة ممن قد مضى قبل هذه الأمَّة، وقليل من أصحاب محمَّد ﷺ[٢]. اللهم اجعلنا منهم بكرمك. وسُمُّوا قليلاً، بالإضافة إلى مَن كان قبلهم؛ لأنَّ الأنبياء المتقدِّمين كثروا، فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سَبق إلى التصديق من أمَّتنا[٣]. وقيل: لما نزل هذا شَقَّ على أصحاب رسولِ الله ﷺ فنزلت: «ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» فقال النبيُّ ﷺ: «إنِّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنَّة، بل ثلثَ أهل الجنَّة، بل نصفَ أهل الجنَّة، وتقاسمونهم في النصف الثاني» رواه أبو هريرة، ذكره الماورديُّ[٤] وغيره. ومعناه ثابت في «صحيح مسلم»[٥] من حديث عبد الله بن مسعود. وكأنَّه أراد أنَّها منسوخة، والأشبه أنَّها محكمة؛ لأنها خبر[٦]؛ ولأنَّ ذلك في جماعتين مختلفتين. قال الحسن: سابِقُو مَن مضى أكثرُ مِن سابقينا، فلذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وقال في أصحاب اليمين وهم سوى السابقين: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ» ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «إنِّي لأرجو أن تكون أمَّتي شطر أهل الجنَّة، ثم تلا قوله تعالى: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٩١ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١ بنحوه.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٩ بنحوه.

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٤٤٩-٤٥٠ ، والحديث سلف ١٢/ ٢ .

(٥) برقم (٢٢١)، وهو عند البخاري أيضاً (٦٥٢٨)، وأحمد (٣٦٦١).

(٦) الكشاف ٤/ ٥٣ ، وتفسير الرازي ٢٩/ ١٤٨ بنحوه.

مِّنَ الْآخِرِينَ» قال مجاهد: كلٌّ من هذه الأمَّة. وروى سفيان: عن أبان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ: «الثُّلّتان جميعاً من أمتي»[(١)] يعني: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ». وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق ﷺ. قال أبو بكر ﷺ: كِلَا الثُّلتين من أمَّة محمَّد ﷺ، فمنهم من هو في أوَّل أمَّته، ومنهم من هو في آخرها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقيل: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ» أي: من أوَّل هذه الأمَّة. «وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» يسارع في الطاعات حتى يلحقَ درجة الأوَّلين. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم قرْني»[(٢)] ثم سَوَّى في أصحاب اليمين بين الأوَّلين والآخرين. والثُّلَّة: من ثَلَلْت الشيء، أي: قطعته، فمعنى ثُلَّة كمعنى فرقة، قاله الزجَّاج.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: السابقون في الجنَّة «عَلَى سُرُرٍ»، أي: مجالسهم على سرر، جمع سرير[(٣)]. «مَوْضُونَةٍ» قال ابن عباس: منسوجة بالذهب.

وقال عكرمة: مشبكة بالدُّرِّ والياقوت. وعن ابن عباس أيضاً: «مَوْضُونَةٍ» مصفوفة[(٤)]، كما قال في موضع آخر: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]. وعنه أيضاً وعن مجاهد: مَرْمولة بالذهب[(٥)]. وفي التفاسير: «مَوْضُونَةٍ» أي: منسوجة بقضبان الذَّهب[(٦)]، مشبكة بالدُّرِّ والياقوت والزَّبرجد.

والوضْن: النسج المضاعف والنَّضد، يقال: وَضَن فلانٌ الحجرَ والآجُرَّ بعضه فوق بعض، فهو موضون، ودرع موضونة، أي: مُحكَمة النَّسْج، مثل مصفوفة[(٧)]، قال الأعشى:

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٣ بدون إسناد.

(٢) سلف ٤/ ٤٥٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٠.

(٤) زاد المسير ٨/ ١٣٥، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٢٩٢، ٢٩٤.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٢٩٢، وهناد في الزهد (٧٧) و(٧٦). وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٦.

(٦) الوسيط ٤/ ٢٣٣.

(٧) تهذيب اللغة ١٢/ ٦٨-٦٩.

وَمِــن نَــسْــج دَاوُدَ مَــوضُــونَــةً تُـسَـاقُ مـع الـحـيِّ عِـيـراً فَـعِـيـرَا[١]

وقال أيضاً[٢]:

وبَـيْـضَـاء كـالـنَّـهْـي مَـوْضُـونَـةً لـهـا قَـوْنَـسٌ فـوقَ جَـيْـبِ الـبَـدَنْ

والسرير الموضون: الذي سطحه بمنزلة المنسوج، ومنه الوَضِين: بِطانٌ من سُيور ينسج فيدخل بعضه في بعض؛ ومنه قوله:

إلـيـك تَـعْـدُوا قَـلِـقًـا وَضِـيـنُـهـا[٣]

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾ أي: على السرر .﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ أي: لا يرى بعضهم قَفَا بعض، بل تدور بهم الأسرَّة، وهذا في المؤمن وزوجته وأهله، أي: يتَّكئون متقابلين. قاله مجاهد وغيره[٤]. وقال الكلبيُّ: طول كلِّ سرير ثلاث مئة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت، فإذا جلس عليها ارتفعت.

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: غلمان لا يموتون، قاله مجاهد[٥]. الحسن والكلبيُّ: لا يَهْرَمون ولا يتغيرون، ومنه قول امرئ القيس:

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ص١٤٩ ، قال شارحه: والدروع الكثيفة قد نسجت نسجاً مضاعفاً، تُحمل فوق الجمال عِيراً من ورائها عير.

(٢) أي: الأعشى الكبير، والبيت سلف ١١/٤٩ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٤٨ ، والرجز ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٥٧٤ ونسبه لرجل من نجران، وقال: الوضين: الحزام، وذكره أيضاً ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ٥/ ٣٣٣ ، عن عمر بن الخطاب فيما يرتجز به من شعر.

(٤) سلف ١٢/٢١٩ - ٢٢٠ .

(٥) تفسير مجاهد ٢/٦٤٦ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٩٥ .

وهَـل يَـنْـعَـمْـن إلّا سَـعِـيـدٌ مُـخَـلَّـدٌ قَلِيلُ الهُمُومِ ما يَبِيتُ بِأوجَالِ[١]

وقال سعيد بن جبير: مُخلَّدون: مُقرَّطون[٢]، يقال للقُرْط: الخَلَدة، ولجماعة الحُليِّ: الخِلدة[٣]. وقيل: مسوَّرون ونحوه، عن الفراء[٤]، قال الشاعر:

ومـخـلَّـداتٌ بِـالـلُّـجـيـنِ كَـأَنَّـمَـا أعْـجَـازُهُـنَّ أقـاوِزُ الـكُـثْـبَـانِ[٥]

وقيل: مقرَّطون، يعني: مُمَنْطَقون من المناطق. وقال عكرمة: «مُخَلَّدُونَ»: منعَّمون. وقيل: على سنٍّ واحدة[٦]، أنشأهم الله لأهل الجنَّة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة. وقال عليُّ بن أبي طالب ﷺ والحسن البصريُّ: الولدان هاهنا: ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة[٧]. وقال سلمان الفارسيُّ: أطفال المشركين هم خدم أهل الجنَّة[٨]. قال الحسن: لم يكن لهم حسنات يُجزَون بها، ولا سيئات يعاقبون عليها، فوضعوا في هذا الموضع[٩]. والمقصود: أنَّ أهل الجنَّة على أتمِّ السرور والنعمة، والنعمة إنَّما تتمُّ باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ أكواب: جمع كوب، وقد مضى في «الزخرف»[١٠]. وهي الآنية

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٥٠ دون ذكر الكلبي، والبيت في ديوان امرئ القيس ص٢٧ ، وفيه: يَعِمَنْ، بدل: ينعمن. ومعناه: يقيم. وقال شارح الديوان: الأوجال: جمع وَجَل، وهو الفزع.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١ .

(٣) تهذيب اللغة ٧/ ٢٧٩ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٣ ، والمصنف نقله عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٥٠ ، وما بعده منه أيضاً.

(٥) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٤٧ ولم ينسبه، وابن دريد في الاشتقاق ص١٦٣ وعزاه إلى أبي عبيدة، والأقاوز: جمع قوز، والقوز من الرمل: صغير مستدير، تشبَّه به أرداف النساء. اللسان (قوز).

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٢ .

(٧) الكشاف ٤/ ٥٣ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٧٩).

(٩) زاد المسير ٨/ ١٣٥ .

(١٠) ١٩/ ٧٩ .

التي لا عُرى لها ولا خراطيم. والأباريق: التي لها عُرى وخراطيم، واحدها: إبريق، سُمِّي بذلك؛ لأنَّه يبرق لونه من صفائه[١]. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ مضى في «والصافات»[٢] القول فيه. والمعين: الجاري من ماء أو خمر، غير أنَّ المراد في هذا الموضع الخمرُ الجاريةُ من العيون[٣]. وقيل: الظاهرة للعيون، فيكون «معين» مفعولاً من المعاينة. وقيل: هو فعيل من المَعْن، وهو الكثرة[٤]. وبيَّن أنَّها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلُّف ومعالجة.

قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لا تنصدع رؤوسهم من شربها[٥]، أي: إنَّها لذَّة بلا أذًى، بخلاف شراب الدنيا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ تقدَّم في «والصافات»[٦] أي: لا يسكرون فتذهب عقولهم.

وقرأ مجاهد: «لَا يُصَدَّعُونَ» بمعنى: لا يتصدَّعون: أي: لا يتفرَّقون، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[٧] [الروم:٤٣]. وقرأ أهل الكوفة: «يُنزِفُونَ» بكسر الزاي، أي: لا ينفد شرابهم[٨]، ولا تفنى خمرهم، ومنه قول الشاعر:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُم أو صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنتُمُ آلَ أَبْجَرَا[٩]

وروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السُّكْر والصُّداع

---

(١) الوسيط ٤/ ٢٣٣.

(٢) ١٨/ ٢٩ - ٣٠.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١.

(٦) عند الآية (٤٧).

(٧) الكشاف ٤/ ٥٤، والقراءة في البحر المحيط ٨/ ٢٠٥.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١، والقراءة في السبعة ص٥٤٧، والتيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٣٨٣ عن ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٥١، وما بعده منه أيضاً، والبيت للحطيئة وسلف ١٨/ ٣٢.

والقيء والبول، وقد ذكر الله تعالى خمرَ الجنَّة فنزَّهها عن هذه الخصال(١).

قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يتخيَّرون ما شاؤوا؛ لكثرتها. وقيل: وفاكهة متخيرة مرضيَّة، والتخير: الاختيار. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ روى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانِيْه الله تعالى ـ يعني في الجنَّة ـ أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزُر» قال عمر: إنَّ هذه لناعِمةٌ. قال رسول الله ﷺ: «أَكَلَتُها أنعم منها» قال: هذا حديث حسن(٢).

وخرَّجه الثعلبيُّ من حديث أبي الدرداء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّة طيراً مثل أعناق البُخْت تصطفُّ على يدي وليِّ الله، فيقول أحدها: يا وليَّ الله رَعيتُ في مُرُوج تحت العرش، وشربت من عيون التَّسنيم، فكُلْ منِّي، فلا يزلن يفتخرنَ بين يديه حتى يخطر على قلبه أَكْلُ أحدها، فتخرُّ بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد، فإذا شبع تُجمع عظام الطائر، فطار يرعى في الجنَّة حيث شاء». فقال عمر: يا نبيَّ الله إنَّها لناعِمة. فقال: «آكلُها أنْعمُ منها»(٣).

وروي عن أبي سعيد الخدريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنة لطيراً، في الطائر منها سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنَّة، ثم ينتفض فيخرج من كلِّ ريشة لون، طعام أبيض من الثلج، وأبرد وألين من الزبد، وأعذب من الشَّهد، ليس فيه لون يشبه صاحبه، فيأكل منه ما أراد، ثم يذهب فيطير»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٢١١ (١٨١٧٧).

(٢) الترمذي (٢٥٤٢) وفيه: حديث حسن غريب. وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (١١٦٣٩)، وأحمد (١٣٣٠٦)، ووقع عند الترمذي: أحسن، بدل: أنعم. وهذه وردت هكذا في التذكرة ص٤٨٥، والنقل منه. والجُزُر: جمع جزور، وهي الإبل. وقوله: لناعمة: أي: سِمان مترفَة. النهاية (نعم).

(٣) التذكرة ص٤٨٥.

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١١٩)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٤٠)، وفي إسناده: عبيد الله بن الوليد الوصّافي وعطية بن سعد العوفي، وهما ضعيفان. تقريب التهذيب.

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرئ بالرفع والنصب والجرِّ؛ فمن جرَّ ـ وهو حمزة والكسائي وغيرهما[١] ـ جاز أن يكون معطوفاً على «بِأَكْوَابٍ» وهو محمول على المعنى؛ لأنَّ المعنى: يتنعَّمون بأكواب وفاكهة ولحم وحُور، قاله الزجَّاج[٢]. وجاز أن يكون معطوفاً على «جَنَّات» أي: هم في «جَنَّاتِ النَّعِيم» وفي حور، على تقدير حذف المضاف، كأنَّه قال: وفي معاشرة حور[٣]. الفرَّاء[٤]: الجرُّ على الإتباع في اللفظ، وإن اختلفا في المعنى؛ لأنَّ الحور لا يطاف بهنَّ، قال الشاعر:

إذا ما الغانِياتُ بَرَزْنَ يوماً وزَجَّجْنَ الحَواجِبَ والعُيونا[٥]

والعين لا تُزجَّج وإنَّما تكحل. وقال آخر:

ورأيتُ زَوْجَكِ في الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحا[٦]

وقال قُطْرب: هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حمل على المعنى. قال: ولا ينكر أن يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذَّة[٧].

ومن نصب ـ وهو الأشهب العقيلي والنّخعي وعيسى بن عمر الثّقفي، وكذلك هو في مصحف أُبَيّ[٨] ـ فهو على تقدير إضمار فعل؛ كأنَّه قال: ويزوَّجون حُوراً عِيناً[٩]. والحمل في النصب على المعنى أيضاً حسن؛ لأنَّ معنى يطاف عليهم به: يُعطَونه[١٠].

---

(١) السبعة ص٦٢٢ ، والتيسير ص٢٠٧ عن حمزة والكسائي، وزاد ابن الجزري في النشر ٢/ ٣٨٣ أبا جعفر.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١١١ .

(٣) الحجة للفارسي ٦/ ٢٥٧ ، والكشف لمكي ٢/ ٣٠٤ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٣ .

(٥) البيت للراعي النميري، وهو في شعره ص١٥٦ .

(٦) البيت لعبد الله بن الزبعرى، وسلف ١/ ٢٩١ .

(٧) الكشف لمكي ٢/ ٣٠٤ .

(٨) القراءات الشاذة ص١٥١ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٦ .

(٩) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٤ .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١١ .

ومن رفع ـ وهم الجمهور، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم ـ فعلى معنى: وعندهم حور عين؛ لأنَّه لا يُطاف عليهم بالحور. وقال الكسائيُّ: ومن قال: «وَحُورٌ عِينٌ» بالرفع، وعلَّل بأنَّه لا يطاف بهنَّ، يلزمه ذلك في فاكهة ولحم؛ لأنَّ ذلك لا يطاف به، وليس يطاف إلا بالخمر وحدها[1]. وقال الأخفش: يجوز أن يكون محمولاً على المعنى؛ لأنَّ المعنى: لهم أكواب، ولهم حور عين[2]. وجاز أن يكون معطوفاً على «ثُلَّة»، و«ثُلَّةٌ» ابتداء، وخبره: «عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» وكذلك «وَحُورٌ عِينٌ» وابتدأ بالنكرة؛ لتخصيصها بالصفة.

﴿كَأَمْثَٰلِ﴾ أي: مثل أمثال ﴿ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ أي: الذي لم تمسّه الأيدي، ولم يقع عليه الغبار، فهو أشدُّ ما يكون صفاءً وتلألؤاً، أي: هنَّ في تشاكل أجسادهنَّ في الحسن من جميع جوانبهنَّ، كما قال الشاعر:

كأنَّما خُلِقَتْ في قِشْرِ لُؤْلُؤةٍ ... فَكُلُّ أكْنَافِها وَجْهٌ لِمِرْصادِ[3]

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: ثواباً، ونصْبهُ على المفعول له. ويجوز أن يكون على المصدر[4]؛ لأنَّ معنى «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ»: يجازون. وقد مضى الكلام في الحور العين في «والطُّور» وغيرها[5].

وقال أنس: قال النبيُّ ﷺ: «خلَق الله الحورَ العين من الزعفران»[6]. وقال خالد

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٤ بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ ، والبيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٢/ ٤٣ ، والكَتَف: الجانب والناحية: اللسان (كنف).

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧١٢ .

(٥) ١٩/ ٥٢٣ و١٩/ ١٣٧ .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨١٢)، وفي الأوسط (٢٩٠)، ومن طريقه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٨٣) و(٣٨٥) عن أبي أمامة ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٩ : رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي إسنادهما ضعفاء. اهـ. ولم نقف عليه من حديث أنس ﷺ.

ابن الوليد: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ الرجل من أهل الجنَّة ليمسك التفَّاحة من تفاح الجنَّة، فتنفلق في يده، فتخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لأخجلت الشمسَ من حُسْنها، من غير أن ينقص من التفاحة» فقال له رجل: يا أبا سليمان إنَّ هذا لعجبٌ ولا يُنقَص من التفَّاحة؟ قال: نعم، كالسِّراج الذي يوقد منه سِراج آخر وسُرُجٌ ولا ينقص، والله على ما يشاء قدير.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: خلَق اللهُ الحورَ العينَ من أصابع رجليها إلى ركبتَيْها من الزعفران، ومن ركبتَيْها إلى ثديَيْها من المسك الأذفر، ومن ثدييْها إلى عنقها من العَنْبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حُلَّة مثل شقائق النعمان، إذا أَقبلَتْ يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أدبرت يرى كبدها من رقَّة ثيابها وجِلْدها، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر، لكلِّ ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي: هذا ثواب الأولياء «جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ قال ابن عباس: باطلاً ولا كذباً[٢]. واللغو: ما يُلغى من الكلام، والتأثيم مصدر أثَّمته، أي: قلت له: أثمت[٣]. محمد ابن كعب: «وَلا تَأثِيماً» أي: لا يؤثِّم بعضُهم بعضاً. مجاهد: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا»: شتماً ولا مأثماً[٤].

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ «قِيلاً» منصوب بـ«يَسْمَعُونَ»، أو استثناء منقطع، أي: لكن يقولون قِيلاً أو يسمعون. و«سَلَاماً سلاماً» منصوبان بالقول، أي: إلا أنَّهم يقولون الخير. أو على المصدر، أي: إلا أن يقول بعضهم لبعض: سلاماً. أو يكون وصفاً

(١) التذكرة ص٤٨١ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ .

لـ«قيلاً»، والسلام الثاني بدل من الأوَّل، والمعنى: إلا قيلاً يسلم فيه من اللغو. ويجوز الرفع على تقدير: سلام عليكم[١]. قال ابن عباس: أي: يُحيِّي بعضهم بعضاً. وقيل: تحيِّيهم الملائكة، أو يُحيِّيهم ربُّهم عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ رجع إلى ذكر منازل أصحاب الميمنة وهم السابقون على ما تقدَّم، والتكرير؛ لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه. ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أي: في نَبْق قد خُضِدَ شوكه، أي: قطع، قاله ابن عباس وغيره[٢].

وذكر ابن المبارك: حدثنا صفوان، عن سليم بن عامر، قال: كان أصحابُ النبيِّ ﷺ يقولون: إنَّه لينفعنا الأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابيٌّ يوماً، فقال: يا رسول الله! لقد ذكَر الله في القرآن شجرةً مؤذيةً، وما كنت أرى في الجنَّة شجرة تؤذي صاحبها؟ قال رسول الله ﷺ: «وما هي»؟ قال: السِّدر؛ فإنَّ له شوكاً مؤذياً. فقال ﷺ: «أوَليس يقول: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ» خَضد اللهُ شوكَه، فجعل مكان كلِّ شوكة ثمرةً، فإنَّها تنبت ثمراً تَفتَّق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام، ما فيه لون يشبه الآخر»[٣].

وقال أبو العالية والضحَّاك: نظر المسلمون إلى وَجٍّ ـ وهو وادٍ بالطائف مُخْصِب ـ

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٢.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ عن ابن عباس وعكرمة، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٠٧.

(٣) الزهد لابن المبارك (٢٦٣ زوائد نعيم). قال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٤٣٤: رواه ابن أبي الدنيا بسند حسن.

فأعجبهم سِدْره، فقالوا: يا ليتَ لنا مثلَ هذا، فنزلت[١]. قال أميَّة بن أبي الصَّلْت[٢] يصف الجنَّة:

إن الحدائقَ في الجِنانِ ظليلةٌ فيها الكَواعِبُ سِدرُها مَخْضودُ

وقال الضحَّاك ومجاهد ومقاتل بن حيان: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ»: وهو الموقَر حَمْلاً[٣]. وهو قريب مما ذكرنا في الخبر. سعيد بن جبير: ثمرها أعظم من القِلال[٤]. وقد مضى هذا في سورة «النجم»[٥] عند قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [الآية: ١٤] وأنَّ ثمرها مثل قلال هَجَر، من حديث أنس عن النبيِّ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ الطَّلْح: شجر الموز، واحده: طلحة. قاله أكثر المفسرين[٦] عليٌّ[٧] وابن عباس[٨] وغيرهم[٩]. وقال الحسن: ليس هو موز، ولكنَّه شجر له ظِلٌّ بارد رطب[١٠]. وقال الفرَّاء وأبو عبيدة: شجر عظام له شوك[١١]. قال بعض الحداة وهو الجعديُّ:

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٢.

(٢) ديوانه ص٥٩.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ عن مجاهد والضحاك، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٠٩.

(٥) ص٢٥ من هذا الجزء.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٠، وهناد في الزهد (١١٢)، والطبري ٢٢/ ٣١١.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٠، وهناد في الزهد (١١١)، والطبري ٢٢/ ٣١١.

(٩) منهم أبو سعيد الخدري وأبو هريرة والحسن وعكرمة. النكت والعيون ٥/ ٤٥٤، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣١١ - ٣١٢ عن مجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٧.

(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.

(١١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٥٠، وما بعده منه، والبيت ذكره أيضاً الطبري ٢٢/ ٣١٠، والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٥٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٤٠ ولم ينسبوه، ولم نقف عليه عند النابغة الجعدي.

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وقَالَا غداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ والأَحْبَالَا

فالطَّلْح: كلُّ شجر عظيم كثير الشوك[١]. الزجَّاج[٢]: يجوز أن يكون في الجنَّة وقد أُزيل شوكه. وقال الزجَّاج أيضاً: كشجر أمِّ غيلان [له] نَوْر طيّب جدًّا، فخوطبوا ووعدوا بما يُحبُّون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنَّة على ما في الدنيا. وقال السُّدِّيُّ: طلح الجنة يشبه طلح الدنيا، لكن له ثمر أحلى من العسل[٣].

وقرأ عليُّ بن أبي طالب ﷺ: «وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ» بالعين[٤]، وتلا هذه الآية: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨] وهو خلاف المصحف. وفي رواية أنه قُرئ بين يديه: «وطلح منضود» فقال: ما شأن الطلح؟ إنَّما هو «وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ» ثم قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق:١٠] فقيل له: أفلا نحوِّلها؟ فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن ولا يحوَّل[٥]. فقد اختار هذه القراءةَ ولم يَرَ إثباتها في المصحف؛ لمخالفة ما رَسْمُه مجمَع عليه. قاله القشيريُّ. وأسنده أبو بكر الأنباريُّ قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الحسن بن سعد، عن قيس بن عُبَاد، قال: قرأتُ عند عليٍّ، أو قُرِئت عند عليٍّ ـ شَكَّ مجالد ـ: «وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ»، فقال عليٌّ ﷺ: ما بال الطلح؟ أما تقرأ: «وَطَلْعٍ» ثم قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق:١٠] فقال له: يا أمير المؤمنين أنحكُّها من المصحف؟ فقال: لا يهاج القرآن اليوم[٦]. قال أبو بكر: ومعنى هذا أنَّه رجع إلى ما في المصحف، وعَلِمَ أنَّه هو الصواب، وأبطل الذي كان فَرَطَ من قوله.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣١ .

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١١٢ ، وما بعده منه أيضاً، وما بين حاصرتين منه ومن (م).

(٣) الكشاف ٤/ ٥٤ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٥٠ .

(٥) الكشاف ٤/ ٥٤ ، وهاج الشيء: ثار لمشقَّة أو ضرر. اللسان (هيج).

(٦) وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٠٩-٣١٠ من طريق مجالد، به، وبنحوه، وأورده البغوي في التفسير ٤/ ٢٨٢ عن مجاهد، عن الحسن بن سعيد، عن علي ﷺ.

والمنضود: المتراكب الذي قد نُضدَ أوَّله وآخره بالحمل، ليست له سُوقٌ بارزة[١]، بل هو مرصوص، والنَّضْد: هو الرصُّ، والمنضَّد: المرصوص، قال النابغة:

خَلَّتْ سَبِيلَ أتِيٍّ كانَ يَحْبِسُهُ ورَفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ[٢]

وقال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها نضيدة، ثمر كلُّه[٣]. كلَّما أكل ثمرة، عاد مكانها أحسن منها.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: دائم باقٍ لا يزول ولا تنسخه الشمس[٤]، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] وذلك بالغداة وهي ما بين الإسفار إلى طلوع الشمس، حسب ما تقدَّم بيانه هناك[٥]. والجنَّة كلُّها ظِلٌّ لا شمسَ معه. قال الربيع بن أنس: يعني ظلَّ العرش. وقال عمرو بن ميمون: مسيرة سبعين ألف سنة. وقال أبو عبيدة[٦]: تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع: ممدود، وقال لبيد[٧]:

غلبَ العَزَاءُ وكنتُ غيرَ مُغَلَّبِ دَهرٌ طويلٌ دائِمٌ مَمْدودُ

وفي «صحيح الترمذيِّ» وغيره من حديث أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ: «وفي الجنَّة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»[٨].

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: جارٍ لا ينقطع[٩]، وأصل السّكب: الصبُّ، يقال: سكبه

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٨، وتهذيب اللغة ١٢/ ٤.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص٣١، والأتيُّ: سَيْلٌ لا يدرى من أين أتى. والسجفان: الستران المقرونان بينهما فرجة. اللسان (أتي) و(سجف).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢.

(٤) الوسيط ٤/ ٢٣٤.

(٥) ١٥/ ٤١٩.

(٦) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٥٠.

(٧) شرح ديوان لبيد ص٣٦.

(٨) الترمذي (٣٢٩٢) مطولاً، وقال: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. وهو عند البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦)، وأحمد (١٠٢٥٩).

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٨.

سَكْباً، والسُّكُوب: انصبابه؛ يقال: سَكَب سُكُوباً، وانْسكَب انسكاباً[١]. أي: وماء مصبوب يجري الليلَ والنهار في غير أُخدود لا ينقطع عنهم[٢]. وكانت العرب أصحابَ بادية وبلادٍ حارَّة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزةً لا يصلون إلى الماء إلا بالدَّلو والرِّشاء، فوعدوا في الجنَّة خلافَ ذلك، ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا، وهي الأشجار وظلالها، والمياه والأنهار واطِّرادها.

قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ أي: ليست بالقليلة العزيزة، كما كانت في بلادهم ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ أي: في وقت من الأوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ أي: لا يُحظَر عليها كثمار الدنيا[٣].

وقيل: «وَلَا مَمْنُوعَةٍ» أي: لا يُمنع من أرادها بشوك ولا بُعْدٍ ولا حائط[٤]، بل إذا اشتهاها العبد دَنَتْ منه حتى يأخذَها، قال الله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾[٥] [الإنسان: ١٤].

وقيل: ليست مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان[٦]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾ روى الترمذيُّ عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ» قال: «ارتفاعها لَكَمَا بين السماء والأرض مسيرةَ خمسِ مئةِ سنةٍ» قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رِشدِين بن سعد. وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: الفُرُش في الدرجات، وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض[٧].

وقيل: إنَّ الفُرُش هنا كناية عن النِّساء اللواتي في الجنَّة، ولم يتقدَّم لهنَّ ذِكْر،

---

(١) الصحاح (سكب).

(٢) الوسيط ٤/ ٢٣٤ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٩ .

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣١٨ .

(٥) سيأتي ٢١/ ٤٧٣ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٣ .

(٧) الترمذي (٢٥٤٠) و(٣٢٩٤)، وهو عند أحمد (١١٧١٩).

ولكن قوله عزَّ وجلَّ: «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ» دالٌّ؛ لأنَّها محلُّ النِّساء، فالمعنى: ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهنَّ وكمالهنَّ، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي: خلقناهنَّ خَلْقاً وأبدعناهنَّ إبداعاً. والعرب تُسمِّي المرأة فِراشاً ولِباساً وإزاراً، وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾[1] [البقرة:١٨٧] ثم قيل على هذا: هنَّ الحور العين، أي: خلقناهنَّ من غير ولادة[2]. وقيل: المراد نساء بني آدم، أي: خلقناهنَّ خَلْقاً جديداً[3]، وهو الإعادة، أي: أعدناهنَّ إلى حال الشباب وكمال الجمال. والمعنى: أنشأنا العجوز والصَّبية إنشاءً واحداً. وأُضمرن ولم يتقدَّم ذكرهنَّ؛ لأنهنَّ قد دخلن في أصحاب اليمين؛ ولأنَّ الفُرُش كناية عن النساء كما تقدَّم.

وروي عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» قال: «منهنَّ البِكْر والثَّيِّب»[4]. وقالت أمُّ سلمة رضي الله تعالى عنها: سألتُ النبيَّ ﷺ عن قوله تعالى: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. عُرُبًا أَتْرَابًا» فقال: «يا أمَّ سلمة هنَّ اللواتي قُبِضن في الدنيا عجائزَ شُمْطاً عُمْشاً رُمْصاً، جعلهنَّ اللهُ بعد الكِبَر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء»[5]. أسنده النحَّاس عن أنس قال: حدَّثنا أحمد بن عمرو، قال: حدَّثنا عمرو بن عليٍّ، قال: حدَّثنا أبو عاصم، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد الرقاشيِّ، عن أنس بن مالك رفعه: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء» قال: «هنَّ العجائز العُمْش الرُّمْص، كُنَّ في الدنيا عُمْشًا رُمْصاً»[6]. وقال المسيِّب بن شريك: قال النبيُّ ﷺ في

---

(١) التذكرة ص٤٦٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٢ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٣ .

(٤) أخرجه الطيالسي (١٣٠٧)، والطبراني ٢٢/ ٣٢٠ والطبراني في الكبير (٦٣٢٢)، عن سلمة بن يزيد مرفوعاً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٩ : رواه الطبراني، وفيه: جابر الجعفي، وهو ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٢ ، والطبراني في الكبير ٢٣/ (٨٧٠)، وفي الأوسط (٣١٦٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٩ : رواه الطبراني، وفيه: سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٢٩٦)، والطبري ٢٢/ ٣٢٠ من طريق موسى بن عبيدة، به. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان يضعَّفان في الحديث.

قوله: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء» الآية، قال: «هنَّ عجائز الدنيا أنشأهنَّ الله خَلْقاً جديداً، كلَّما أتاهنَّ أزواجهنَّ وجدوهنَّ أبكاراً» فلما سمعت عائشة ذلك قال: واوجعاه! فقال لها النبيُّ ﷺ: «ليس هناك وجع»[1].

﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوب[2]. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العُرُب: العواشق لأزواجهنَّ[3]. وعن ابن عباس أيضاً: إنَّها العَرُوب المَلِقة. عكرمة: الغَنِجة[4]. ابن زيد: بلغة أهل المدينة[5]. ومنه قول لبيد:

وفي الخِبَاءِ عَرُوبٌ غيرُ فاحِشةٍ رَيَّا الروادِفِ يَغْشَى دُونَها البصرُ[6]

وهي الشَّكِلة، بلغة أهل مكَّة[7]. وعن زيد بن أسلم أيضاً: الحسنة الكلام[8]. وعن عكرمة أيضاً وقتادة: العُرُب: المتحبِّبات إلى أزواجهنَّ[9]. واشتقاقه من أعرب إذا بيَّن، فالعروب تُبيِّن محبتها لزوجها بشَكَل وغُنْج وحُسن كلام. وقيل: إنَّها الحسنة التَّبَعُّل؛ لتكون ألذَّ استمتاعاً[10]. وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرُباً» قال: «كلامهنَّ عربيٌّ»[11].

---

(١) التذكرة ص٥٠٤-٥٠٥، وأخرجه الثعلبي كما في الكافي الشاف ص١٦٣، وأورده البغوي في التفسير ٤/ ٢٨٣ عن المسيب بن شريك موقوفاً.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٥١.

(٣) زاد المسير ٨/ ١٤٢ عن ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل والمبرد ومجاهد، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٣-٣٢٥ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٤، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٢٣-٣٢٤، والمَلَق: الوُدُّ واللطف الشديد. اللسان (ملق).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٥ وما بعده منه أيضاً.

(٦) شرح ديوان لبيد ص٦١، وفيه: الحُدُوج، بدل: الخباء. وهما بمعنى.

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٥ عن ابن بريدة، والشكلة: ذات الدَّلِّ والحُسن والتغنُّج. اللسان (شكل).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٤، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٢٥.

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٥٥ عن عكرمة، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٧ عن قتادة.

(١٠) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦.

(١١) أورده ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٣٢ (١٨٧٩٣) بلفظ: وذكر عن سهل بن عثمان العسكري، =

وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم: «عُرْباً»، بإسكان الراء[١]. وضمَّ الباقون، وهما جائزان في جمع فَعُول.

«أتْراباً» على ميلاد واحد في الاستواء وسنٍّ واحدة، ثلاثٍ وثلاثين سنة. يقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران[٢]. وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حدَّ الصِّبَا من النساء وانحطت عن الكبر. وقيل: «أتْراباً» أمثالاً وأشكالاً، قاله مجاهد[٣]. السُّدِّيُّ: أتراب في الأخلاق لا تباغضَ بينهنَّ ولا تحاسد.

﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ قيل: الحور العين للسابقين، والأتراب العُرُب لأصحاب اليمين.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ رجع الكلام إلى قوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» أي: هم «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» وقد مضى الكلام في معناه.

وقال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحَّاك: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ» يعني من سابقي هذه الأمَّة، و«ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» من هذه الأمَّة من آخرها؛ يدلُّ عليه ما روي عن ابن عباس في هذه الآية «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» فقال النبيُّ ﷺ: «هم جميعاً من أمَّتي»[٤].

= عن أبي علي، عن جعفر بن محمد، به. وبرقم (١٨٧٩٣) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، . . . الخبر، ولم يذكر فيه: عن جدِّه.

(١) السبعة ص٦٢٢، والتيسير ص٢٠٧، والحجة للفارسي ٦/ ٢٥٨.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦ وما بعده منه أيضاً، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٨، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٢٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٥، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٧٨، والواحدي في الوسيط ٤/ ٢٣٥، والبغوي في التفسير ٤/ ٢٨٥، وفي إسناده: إسماعيل بن أبي عياش قال عنه ابن عدي: وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، وهو بيِّن الأمر في الضعف. ا هـ. وأورده الطبري في التفسير ٢٢/ ٣٣٣ وضعَّفه. =

وقال الواحديُّ[١]: أصحاب الجنَّة نصفان، نصف من الأمم الماضية، ونصف من هذه الأمَّة. وهذا يردُّه ما رواه ابن ماجه في «سننه» والترمذيُّ في «جامعه» عن بُريدة ابن حصيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنَّة عشرون ومئة صفٍّ، ثمانون منها من هذه الأمَّة، وأربعون من سائر الأمم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[٢].

و«ثُلَّةٌ» رفع على الابتداء، أو على حذف خبر حرف الصفة، ومجازه: لأصحاب اليمين ثلتان: ثلَّة من هؤلاء، وثلَّة من هؤلاء[٣]. والأوَّلون: الأمم الماضية، والآخرون: هذه الأمَّة، على القول الثاني[٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ذكَر منازل أهل النار وسمَّاهم أصحاب الشمال؛ لأنَّهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ثم عظَّم ذِكْرهم في البلاء والعذاب فقال: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ . فِى سَمُومٍ﴾ والسموم: الريح الحارَّة التي تدخل في

= وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٨-١١٩ عن أبي بكرة مرفوعاً، وقال: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو ثقة سيئ الحفظ. ا هـ. ولم نقف عليه في معاجم الطبراني الثلاثة.

(١) في الوسيط ٤/ ٢٣٥ بنحوه.

(٢) ابن ماجه (٤٢٨٩)، والترمذي (٢٥٤٦).

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٦ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥ .

مسامِّ البدن[١]. والمراد هنا حرُّ النار ولفحها[٢]. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ أي: ماء حارٌّ قد انتهى حرُّه[٣]، إذا أحرقت النارُ أكبادَهم وأجسادهم فزعوا إلى الحميم، كالذي يفزع من النار إلى الماء ليطفئ به الحرَّ، فيجده حميماً حاراً في نهاية الحرارة والغليان. وقد مضى في «القتال»[٤]: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [الآية: ١٥].

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ أي: يفزعون من السَّموم إلى الظِّلِّ كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلاً من يَحْموم، أي: من دخان جهنَّم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما[٥]. وكذلك اليَحْموم في اللغة: الشديد السواد، وهو يَفْعول من الحَمِّ، وهو الشحم المسودُّ باحتراق النار. وقيل: هو مأخوذ من الحُمَم وهو الفحم[٦]. وقال الضحَّاك: النار سوداء، وأهلها سود، وكلُّ شيء فيها أسود[٧]. وعن ابن عباس أيضاً: النار سوداء[٨]. وقال ابن زيد: اليَحْموم: جبل في جهنَّم يستغيث إلى ظلِّه أهل النار[٩].

﴿لَّا بَارِدٍ﴾ بل حارٌّ؛ لأنَّه من دخان شفير جهنم. ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ عذب، عن الضحَّاك[١٠]، وقال سعيد بن المسيِّب: ولا حسن منظره[١١]. وكلُّ ما لا خير فيه فليس بكريم. وقيل: «وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ» أي: من النار يُعذَّبون بها، كقوله: ﴿لَهُم مِّن

(١) الكشاف ٤/ ٥٥ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٩ .

(٣) الكشاف ٤/ ٥٥ .

(٤) ١٩/ ٢٦١ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٣٥ .

(٦) الصحاح (حمم)، وتهذيب اللغة ٤/ ١٨-١٩ .

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ .

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦ .

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦ .

(١٠) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٣٧ .

(١١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ .

﴿فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[١] [الزمر: ١٦].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي: إنَّما استحقُّوا هذه العقوبة؛ لأنَّهم كانوا في الدنيا متنعِّمين بالحرام. والمتَرف: المنعَّم، عن ابن عباس وغيره. وقال السديُّ: «مُتْرَفِينَ» أي: مشركين[٢].

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: يقيمون على الشِّرك، عن الحسن والضحَّاك وابن زيد[٣]. وقال قتادة ومجاهد: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه[٤]. الشعبيُّ: هو اليمين الغَمُوس[٥]. وهي من الكبائر. يقال: حَنِث في يمينه، أي: لم يَبرَّها ورجع فيها[٦]. وكانوا يقسمون أنْ لا بعثَ، وأنَّ الأصنام أنداد الله، فذلك حنثهم، قال الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[٧] [النحل: ٣٨]. وفي الخبر: كان يَتحنَّث في حِرَاء، أي: يفعل ما يُسقِط عن نفسه الحِنث، وهو الذَّنْب[٨].

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا﴾ هذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّد: ﴿إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من آبائكم ﴿وَٱلْآخِرِينَ﴾ منكم ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ يريد يوم القيامة. ومعنى الكلام القَسَم، ودخول اللام في قوله تعالى: «لَمَجْمُوعُونَ» هو دليل القَسَم في المعنى، أي: إنَّكم لمجموعون قسَماً حقّاً،

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٣٩ عن الضحاك وابن زيد، وابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٣٣ (١٨٧٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٣٩-٣٤٠ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ .

(٦) الصحاح (حنث).

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣ .

(٨) الصحاح (حنث)، وتهذيب اللغة ٤/ ٤٨٠ .

خلاف قَسَمكم الباطل.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث[١]. ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ وهو شجر كَريه المنظر، كريه الطَّعم، وهي التي ذكرت في سورة «والصافات»[٢]. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي: من الشجرة[٣]؛ لأنَّ المقصود من الشجرة شجرة. ويجوز أن تكون «من» الأولى زائدة، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً كأنَّه قال: «لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ» طعاماً. وقوله «مِنْ زَقُّومٍ» صفة لشجر، والصفة إذا قدَّرت الجارَّ زائداً، نصبت على المعنى، أو جررتَ على اللفظ، فإن قدَّرت المفعول محذوفاً، لم تكن الصفة إلا في موضع جرٍّ.

قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الزقوم، أو على الأكل، أو على الشجر[٤]؛ لأنَّه يذكَّر ويؤنَّث. ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ وهو الماء المغليُّ الذي قد اشتدَّ غليانه، وهو صديد أهل النار[٥]. أي: يورثهم حَرّ ما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشاً، فيشربون ماء يظنُّون أنَّه يزيل العطش، فيجدونه حميماً مُغْلَى.

قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قراءة نافع وعاصم وحمزة: «شُرْبَ» بضمِّ الشين، الباقون بفتحها[٦]، لغتان جيِّدتان، تقول العرب: شَرِبت شُرْباً وشَرْباً وشِرْباً وشُرُباً بضمَّتين[٧]. قال أبو زيد: سمعت العربَ تقول بضمِّ الشين وفتحها وكسرها، والفتح هو المصدر الصحيح؛ لأنَّ كلَّ مصدر من ذوات الثلاث فأصله فَعْل، ألا ترى أنَّك تردّه إلى المرَّة الواحدة، فتقول: فَعْلة، نحو شَرْبة، وبالضمِّ الاسم. وقيل: إنَّ

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٥.

(٢) بقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ وسلف ١٨/ ٤١.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٠٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٢.

(٦) السبعة ص٦٢٣، والتيسير ص٢٠٧.

(٧) الصحاح (شرب) دون ذكر: وشُرُباً بضمتين.

الفتح والاسم مصدران، فالشَّرْب كالأكل، والشُّرب كالذُّكْر، والشِّرب ـ بالكسر ـ المشروب، كالطِّحن المطحون(١).

والهِيم: الإبل العِطاش التي لا تَرْوى لدَاءٍ يصيبها، عن ابن عباس وعِكرمة وقتَادة والسُّديِّ وغيرهم(٢)، وقال عكرمة أيضاً: هي الإبل المِراض(٣). الضحَّاك: الهيم: الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشاً شديداً، واحدها: أهْيَم، والأنثى: هَيْماء(٤). ويقال لذلك: الداء الهُيَام، قال قيس بن الملوّح:

يقال بِه داء الهُيَامِ أصابه وقد علِمت نفسي مكانَ شِفائِها(٥)

وقوم هِيم أيضاً، أي: عِطاش، وقد هاموا هُيَاماً. ومن العرب من يقول في الإبل: هائم وهائمة، والجمع هيم(٦)، قال لَبِيد:

أَجَزْتُ إلى معارِفِها بِشُعْثٍ وأطلَاحٍ مِن العِيدِيِّ هِيم(٧)

وقال الضحَّاك والأخفش وابن عيينة وابن كيسان: الهيم: الأرض السهلة ذات الرمل(٨). وروي أيضاً عن ابن عباس: فيشربون شرب الرمال التي لا تَرْوى بالماء(٩). المهدويُّ: ويقال لكلِّ ما لا يروى من الإبل والرمل: أهيم وهيماء.

---

(١) الحجة للفارسي ٦/ ٢٦٠ ، والبيان ٢/ ٤١٧-٤١٨ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٤٣ عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٤٣ .

(٤) زاد المسير ٨/ ١٤٥ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، ولم نقف عليه في ديوان قيس.

(٦) تهذيب اللغة ٦/ ٤٦٨ .

(٧) شرح ديوان لبيد ص١٠٣ ، قال شارحه: شعث: رجال سيئة حالهم من الجهد والسفر. وأطلاح: إبل رزايا مهازيل. والعيدي: إبل منسوبة إلى فحل أو إلى قوم.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ عن الضحاك وابن عيينة، والصحاح (هيم) عن الأخفش.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ .

وفي «الصحاح»[1]: والهُيَام بالضمِّ: أشدُّ العطش. والهُيَام كالجنون من العشق. والهُيَام: داء يأخذ الإبل فتَهيم في الأرض لا ترعى. يقال: ناقة هَيْماء. والهيماء أيضاً: المفازة لا ماءَ بها. والهَيَام بالفتح: الرمل الذي لا يتماسك أن يسيل من اليد للِينِهِ، والجمع هُيُم مثل قَذَال وقُذُلٍ. والهِيَام بالكسر: الإبل العطاش، الواحد هَيْمان، وناقة هَيْمَى مثل عطشان وعطشى.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: رزقهم الذي يُعَدُّ لهم، كالنُّزُل الذي يعدُّ للأضياف؛ تكرمةً لهم، وفيه تهكُّم، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وكقول أبي الشعر[2] الضَّبيِّ:

وكنَّا إذا الجَبَّارُ بالجيشِ ضَافَنا ... جعلنا القَنَا والمرهفاتِ له نُزْلَا

وقرأ يونس بن حبيب وعباس عن أبي عمرو: «هَذَا نُزْلُهُمْ» بإسكان الزاي[3]، وقد مضى في آخر «آل عمران»[4] القول فيه. «يَوْمَ الدِّينِ» يوم الجزاء، يعني في جهنَّم.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلّا تصدِّقون بالبعث[5]؟ لأنَّ

---

(١) مادة: (هيم).

(٢) في (م) و(د): السعد، والمثبت من (ظ) والكشاف ٤/ ٥٦ ، وأورده أيضاً الزمخشري في الكشاف ١/ ٤٩١ وسمَّاه: أبو الشعراء الضبي.

(٣) قراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٢٣ ، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥١ وقال: هذا نزلهم، بالإسكان، هارون عن أبي عمرو وعياش.

(٤) ٥/ ٤٨٣ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ .

الإعادة كالابتداء. وقيل: المعنى: نحن خلقنا رزقكم، فهلَّا تصدِّقون أنَّ هذا طعامكم[١] إن لم تؤمنوا؟.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي: ما تصبُّونه من المَنِيِّ في أرحام النساء[٢]. ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: ما تصوِّرون منه الإنسان ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ المقدِّرون المصوِّرون[٣]. وهذا احتجاج عليهم وبيان للآية الأولى، أي: إذا أقررتم بأنَّا خالقوه لا غيرنا، فاعترفوا بالبعث. وقرأ أبو السَّمَّال ومحمد بن السميفع وأشهب العقيليُّ: «تَمْنُونَ» بفتح التاء[٤]، وهما لغتان أمْنى ومَنى، وأمذَى ومَذَى، يُمني ويَمنِي، يُمذِي ويَمذِي[٥].

الماورديُّ[٦]: ويحتمل أن يختلف معناهما عندي، فيكون أمنى: إذا أنزل عن جماع. ومَنَى: إذا أنزل عن الاحتلام. وفي تسمية المنيِّ مَنِيًّا وجهان: أحدهما: لإمنائه وهو إراقته. الثاني: لتقديره، ومنه المَنَا الذي يُوزَن به[٧]؛ لأنَّه مقدار لذلك، كذلك المنيُّ مقدار صحيح لتصوير الخلقة.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ احتجاج أيضاً، أي: الذي يَقدِر على الإماتة يَقدِر على الخَلْق، وإذا قدر على الخَلْق قدر على البعث.

---

(١) النكت والعيون ٥/٤٥٨.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٠.

(٣) الكشاف ٤/٥٦.

(٤) القراءات الشاذة ص١٥١، والكشاف ٤/٥٦ عن أبي السمَّال، والمحرر الوجيز ٥/٢٤٨ عن ابن عباس وأبي السمَّال.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/١٢٨.

(٦) في النكت والعيون ٥/٤٥٨.

(٧) المَنَا، والمنُّ بلغة تميم، والمنا أفصح: كيل يكال به السمن، أو ميزان يوزن به، ويقدَّر بنصف كيلو غرام تقريباً في زماننا، أو يزيد أو ينقص قليلاً حسب نوعه، فمنه المنا المصري وهو ٤١٢/٣٤٧ غرام، والرومي وهو ٥٤١/٦٤٣ غرام، والطبي وهو ٦١٨/٥٦٣ غرام. معجم متن اللغة ١/٨٦، ومادة (منن) و(مني).

وقرأ مجاهد وحُميد وابن مُحَيْصن وابن كَثير: «قَدَرْنا» بتخفيف الدال، الباقون بالتشديد[١].

قال الضحَّاك: أي: سوَّينا بين أهل السماء وأهل الأرض[٢]. وقيل: قضينا. وقيل: كتبنا[٣]. والمعنى متقارب، فلا أحد يبقى غيره عزَّ وجلَّ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: إن أردنا أن نبدِّل أمثالكم لم يسبقنا أحد[٤]، أي: لم يغلبنا. «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» معناه: بمغلوبين[٥]. وقال الطبريُّ[٦]: المعنى: نحن قدَّرنا بينكم الموت على أن نبدِّل أمثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم، وما نحن بمسبوقين في آجالكم، أي: لا يتقدَّم متأخِّر، ولا يتأخَّر متقدِّم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور والهيئات[٧]. قال الحسن: أي: نجعلكم قردةً وخنازيرَ كما فعلنا بأقوام قبلكم[٨]. وقيل: المعنى: ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، فيجمِّل المؤمنُ ببياض وجهه، ويُقبِّح الكافرُ بسواد وجهه[٩]. سعيد ابن المسيب[١٠]: قوله تعالى: «فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ» يعني في حواصل طير سود تكون ببَرَهُوت، كأنَّها الخطاطيف، وبَرَهُوت: وادٍ في اليمن. وقال مجاهد: «فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ»

(١) قراءة ابن كثير في السبعة ص٦٢٣ ، والتيسير ص٢٠٧ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٨ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٤ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٠ .

(٦) في التفسير ٢٢/ ٣٤٧-٣٤٨ .

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣١٨ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ .

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣٩ بنحوه.

(١٠) في النسخ عدا (ظ): جبير، والمثبت (ظ) وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ والكلام منه.

في أيِّ خَلْق شئنا[١]. وقيل: المعنى: ننشئكم في عالم لا تعلمون، وفي مكان لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: إذ خُلِقتم من نُطفة، ثم من عَلَقة، ثم من مُضْغة[٢]، ولم تكونوا شيئاً، عن مجاهد[٣] وغيره. قتادة والضحَّاك: يعني خَلْق آدم عليه السلام[٤]. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلَّا تذكَّرون. وفي الخبر: عجباً كلَّ العجب للمكذِّب بالنشأة الأُخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجباً للمصدِّق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار[٥].

وقراءة العامة: «النَّشْأَة» بالقَصْر. وقرأ مجاهد والحسن وابن كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَة» بالمدِّ، وقد مضى في «العنكبوت»[٦] بيانه.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ هذه حجَّة أُخرى، أي: أخبروني عمَّا تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البَذر، أنتم تنبتونه وتحصِّلونه زرعاً فيكون فيه السُّنبل والحَبُّ، أم نحن نفعل ذلك[٧]؟ وإنَّما منكم البَذْر وشَقُّ الأرض، فإذا أقررتم بأنَّ إخراج السُّنبل من الحبِّ ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! وأضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى؛ لأنَّ الحرث فِعْلهم ويجري

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٠ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٤٦ .

(٢) الوسيط ٤/ ٢٣٧ .

(٣) في تفسيره ٢/ ٦٥٠ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٢ ، والطبري ٢٢/ ٣٤٧ عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٣٢٨ عن علي بن الحسين بنحوه.

(٦) ١٦/ ٣٥٢ .

(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٨ .

على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم[١].
وكذلك ما روى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا يقولنَّ أحدكم: زرعتُ، وليقلْ: حرثتُ، فإنَّ الزارع هو الله» قال أبو هريرة: ألَم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[٢].

والمستحبُّ لكلِّ من يُلقي البذر في الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة: «أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ» الآية، ثم يقول: بل الله الزارع والمنبِت والمبلغ، اللهمَّ صلِّ على محمد، وارزقنا ثمره، وجنِّبنا ضرره، واجعلنا لأنْعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه يا ربَّ العالمين. ويقال: إنَّ هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات؛ الدود والجراد وغير ذلك، سمعناه من ثقة، وجُرِّب فوُجِد كذلك.

ومعنى «أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ» أي: تجعلونه[٣]. وقد يقال: فلان زرَّاع كما يقال: حرَّاث، أي: يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعاً يعجب الزرَّاع. وقد يطلق لفظ الزرع على بَذر الأرض وتكريبها[٤] تجوُّزاً.

قلت: فهو نهي إرشاد وأدب، لا نهي حظر وإيجاب، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقولنَّ أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: غلامي وجاريتي، وفَتاي وفَتاتي»[٥] وقد مضى في «يوسف»[٦] القول فيه. وقد بالغ بعض العلماء فقال:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠، وما بعده منه أيضاً.

(٢) أخرجه البزار (١٢٨٩ كشف الأستار)، والطبري ٢٢/ ٣٤٨، وابن حبان في صحيحه (٥٧٢٣)، والطبراني في الأوسط (٨٠٢٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٢٠: رواه الطبراني في الأوسط والبزار، وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. اهـ. قلنا: مسلم ابن أبي مسلم الجرمي ذكره ابن حبان في الثقات ٩/ ١٥٨، ووثقه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٠.

(٣) بعدها في (م): زرعاً.

(٤) كَرَب الأرضَ يكربها كَرْباً وكِراباً: قَلَبها للحرث، وأثارها للزرع. اللسان (كرب).

(٥) سلف ٦/ ٢١٣.

(٦) ١١/ ٣٥٤.

لا يقل: حرثت فأصبت، بل يقل: أعانني الله فحرثت، وأعطاني بفَضْله ما أصبت. قال الماورديّ[١]: وتتضمَّن هذه الآية أمرين: أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني: البرهان الموجب للاعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقاله إلى استواء حاله من العَفَن والتتريب حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مشتداً أضعافَ ما كان عليه، فهو بإعادة من أمات أخفُّ عليه وأقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفِطَر السليمة.

ثم قال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ أي: متكسِّراً: يعني الزرع. والحُطام: الهشيم الهالك الذي لا يُنتفع به في مطعم ولا غذاء، فنبَّه بذلك أيضاً على أمرين: أحدهما: ما أولاهم به من النِّعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكره. الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنَّه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء، وكذلك يُهلِكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا[٢].

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تعجَّبون بذهابها، وتندَّمون مما حلَّ بكم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما[٣]. وفي «الصحاح»[٤]: وتفكَّه، أي: تعجَّب، ويقال: تندَّم، قال الله تعالى: «فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» أي: تندَّمون. وتفكَّهت بالشيء: تمتَّعت به.

وقال يمان: تندمون على نفقاتكم، دليله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]. وقال عكرمة: تلاومون[٥] وتندَّمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم. ابن كَيْسان: تحزنون[٦]. والمعنى متقارب.

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٥٠ .

(٤) مادة: (فكه).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ ، وتتمة قول عكرمة ذكره عن الحسن لا عن عكرمة، وكذلك ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٥٧ عن الحسن.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

وفيه لغتان: تفكَّهون وتَفَكَّنُون[١]، قال الفرَّاء: والنون لغة عُكْل[٢]. وفي «الصحاح»[٣]: التفكُّن: التندُّم على ما فات. وقيل: التفكُّه: التكلُّم فيما لا يعنيك، ومنه قيل للمزاح: فُكاهة، بالضمِّ، فأما الفَكاهة ـ بالفتح ـ فمصدر فَكِهَ الرجلُ ـ بالكسر ـ فهو فَكِهٌ: إذا كان طيِّب النفس مَزَّاحاً[٤].

وقراءة العامة: «فَظَلْتُمْ» بفتح الظاء. وقرأ عبد الله: «فَظِلْتُمْ» بكسر الظاء[٥]، ورواها هارون عن حسين عن أبي بكر. فمن فتح فعلى الأصل، والأصل: ظَلَلتُمْ، فحذف اللام الأولى تخفيفاً، ومن كسر نقل كسرة اللام الأولى إلى الظاء ثم حذفها.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ وقرأ أبو بكر والمفضَّل: «أئِنَّا» بهمزتين على الاستفهام[٦]، ورواه عاصم عن زِرِّ بن حُبَيش. الباقون بهمزة واحدة على الخبر، أي: يقولون: «إنَّا لَمُغْرَمُونَ» أي: معذَّبون، عن ابن عباس وقَتَادة قالا: والغرام: العذاب[٧]، ومنه قول ابن المحلِّم:

وثقت بأنَّ الحِفظ منِّي سجيَّةٌ وأنَّ فؤادي مُتْبَلٌ بك مغرم[٨]

وقال مجاهد وعِكرمة: لمولع بنا[٩]، ومنه قول النَّمِر بن تَوْلَب:

سَلاَ عن تَذكُّره تُكْتَما وكان رَهيناً بها مُغرَمَا[١٠]

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨٠ ونسبها إلى تميم.

(٢) الأضداد لأبي بكر الأنباري ص٦٥ دون عزوه للفرَّاء.

(٣) مادة: (فكن).

(٤) الصحاح (فكه).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠-٣٤١ .

(٦) السبعة ص٦٢٣ ، والتيسير ص٢٠٧ .

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٢ عن قتادة.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ .

(٩) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(١٠) مختارات ابن الشجري ص١٦ ، ومنتهى الطلب لابن ميمون ١/ ٢٨٦ .

يقال: أُغرم فلانٌ بفلانة، أي: أُولع بها، ومنه الغرام، وهو الشَّرُّ اللازم[١]. وقال مجاهد أيضاً: لملقون شرًّا[٢]. وقال مقاتل بن حيان: مهلكون. النحَّاس[٣]: «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» مأخوذ من الغَرام وهو الهلاك، كما قال:

يومُ النِّسَارِ ويومُ الجِفَا رِ كَانَا عَذَاباً وكانَا غَرَامَا[٤]

الضحَّاك وابن كيسان: هو من الغُرْم، والمُغْرَم: الذي ذهب ماله بغير عوض[٥]، أي: غرِمنا الحَبَّ الذي بذرناه. وقال مُرَّة الهَمداني: محاسبون.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حرمنا ما طلبنا من الريع[٦]. والمحروم: الممنوع من الرزق. والمحروم ضدُّ المرزوق، وهو المحارِف في قول قتادة[٧]. وعن أنس: أنَّ النبيِّ ﷺ مرَّ بأرض الأنصار فقال: «ما يمنعكم من الحرث»؟ قالوا: الجدوبة. فقال: «لا تفعلوا، فإنَّ الله تعالى يقول: أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء، وإن شئت زرعت بالريح، وإن شئت زرعت بالبَذْر» ثم تلا: «أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»[٨].

قلت: وفي هذا الخبر والحديث الذي قبله ما يصحِّح قولَ من أدخل الزارع في أسماء الله سبحانه، وأباه الجمهور من العلماء، وقد ذكرنا ذلك في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»[٩].

---

(١) تهذيب اللغة ٨/ ١٣١ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٠ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٢ .

(٣) في إعراب القرآن له ٤/ ٣٤١ .

(٤) القائل بشر بن أبي خازم الأسدي، وهو في ديوانه ص١٩٨ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٦) الوسيط ٤/ ٢٣٨ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٢ ، والطبري ٢٢/ ٣٥٣ .

(٨) لم نقف عليه.

(٩) ص٩٤ و١٠٣ .

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ لتحيوا به أنفسكم، وتسكنوا به عطشكم؛ لأنَّ الشراب إنَّما يكون تبعاً للمطعوم، ولهذا جاء الطعام مقدَّماً في الآية قبلُ، ألا ترى أنَّك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه. الزمخشريُّ: ولو عكستَ قعدتَ تحت قول أبي العلاء:

إذا سُقِيَتْ ضُيوفُ الناسِ مَحْضاً سَقَوا أضيافَهمْ شَبِماً زُلالاً[1]

وسُقي بعضُ العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثَمِيلة[2].

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي: السَّحاب، الواحدة: مُزْنة[3]، فقال الشاعر:

فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصَابِنَا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخيلُ[4]

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما أنَّ المُزْن السَّحاب[5]. وعن ابن عباس أيضاً والثوري: المُزْن: السَّماء والسَّحاب[6]. وفي «الصِّحاح»[7]: أبو زيد: المُزْنة: السَّحابة البيضاء، والجمع: مُزْن، والمُزنة: المَطْرَة، قال:

(١) الكشاف ٤/ ٥٧ ، وما بعده منه أيضاً، والمحض: اللبن الخالص الذي لم يخالطه ماء. والشَّبِم: الماء البارد. اللسان (محض) و(شبم).

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٢/ ٣٦٥ وقال: أي: على شيء في بطنه. ويقال: ثمل الرجل: إذا سَكِرَ.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢ .

(٤) القائل: السموأل بن عاديا اليهودي، والبيت في ديوانه ص٦٩ ، والنصاب: الأصل. ورجل كَهام وكهيم: ثقيل مسنٌّ دثور لا غناء عنده. اللسان (نصب) و(كهم).

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٤ عن مجاهد وقتادة وابن زيد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥١ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) مادة: (مزن).

ألـم تَـرَ أنَّ الـلـه أنْـزَل مُـزْنَـةً وعُـفْـرُ الظِّبَـاءِ في الكِنَـاسِ تـقـمَّـعُ[١]

﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ أي: فإذا عرفتم بأنِّي أنزلته، فَلِمَ لا تشكروني بإخلاص العبادة لي؟ ولِمَ تنكرون قدرتي على الإعادة؟ .﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ أي: ملحاً شديد الملوحة، قاله ابن عباس. الحسن: مرًّا[٢] قُعَاعاً لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما[٣] .﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلَّا تشكرون الذي صنع ذلك بكم[٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقَدْح من الشجر الرَّطْب ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ يعني التي تكون منها الزناد، وهي المرخُ والعَفَار[٥]، ومنه قولهم: في كلّ شجرٍ نارٌ، واسْتَمْجدَ المَرخ والعَفَارُ، أي: استكثر منها[٦]، كأنَّهما أخذا من النار ما هو حسبهما، ويقال: لأنَّهما يسرعان الوَرْيَ، يقال: أَوريتُ النار: إذا قدحتها، ووَرَى الزَّنْدُ يَرِي: إذا انقدح منه النار. وفيه لغة أخرى: ووَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي بالكسر فيهما[٧]. ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِـُٔونَ﴾ أي: المخترعون الخالقون، أي: فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني، ولا تنكروا قدرتي على البعث.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى، قاله قتادة. ومجاهد: تبصرة للناس من الظلام[٨]. وصحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ ناركم هذه التي يُوقِدُ بنو آدم جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنَّم» فقالوا: يا رسول الله، إن كانت

---

(١) القائل: أوس بن حجر، وهو في ديوانه ص٥٧، والكناس: مَوْلج الوحش من الظباء والبقر تستكنُّ فيه من الحَرِّ. اللسان (كنس)، قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٦٠٦: تقمَّع: تطرد عنها القمعة، وهو ذباب أزرق، يقول: خصَّه الله بهذه المزنة في غير وقت مطر في الحر، والذباب لم يخفّ ولم يذهب.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٢ والقُعَاع: الماء المُرُّ الغليظ. اللسان (قعع).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٥ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٦) الكامل للمبرد ١/ ٢٧٥-٢٧٦ ، والمثل في المستقصى للزمخشري ٢/ ١٨٣ .

(٧) الصحاح (وري).

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ .

لكافيةً. قال: «فإنَّها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جُزءاً، كلُّهنَّ مثلُ حَرِّها»[١].

﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال الضحَّاك: أي: منفعة للمسافرين، سمُّوا بذلك؛ لنزولهم القَوَى، وهو القَفْر[٢]. الفرَّاء[٣]: إنَّما يقال للمسافرين: مُقْوين إذا نزلوا القيَّ، وهي الأرض القَفْر التي لا شيء فيها. وكذلك القَوى والقَوَاء بالمدِّ والقصر، ومنزلٌ قَواء: لا أنيسَ به، يقال: أقْوَتِ الدار وقَوِيَت أيضاً، أي: خَلَتْ من سكَّانها[٤]، قال النابغة:

يـا دارَ مَـيَّـةَ بـالـعَـلْـيَـاءِ فَـالـسَّـنَـدِ أقْـوَتْ وطال عَـلـيـهـا سَـالـفُ الأَمَـدِ[٥]

وقال عنترة:

حُـيِّـيـتَ مِـنْ طَـلَـلٍ تَـقَـادَمَ عَـهـدُهُ أقـوى وأقْـفَـر بَـعـد أُمِّ الـهَـيْـثَـمِ[٦]

ويقال: أقْوَى، أي: قَوِيَ وقَوِي أصحابه[٧]، وأقوى: إذا سافر، أي: نزل القَوَاء والقِيَّ. وقال مجاهد: «لِلْمُقْوِينَ» المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخَبْز والاصطلاء والاستضاءة[٨]، ويتذكَّر بها نار جهنَّم فيستجار بالله منها. وقال ابن زيد: للجائعين في إصلاح طعامهم[٩]. يقال: أقويت منذ كذا وكذا، أي: ما أكلت شيئاً[١٠]، وبات فلان القَواء، وبات القفرَ: إذا بات جائعاً على غير طُعْم[١١]، قال

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، وأحمد (٨١٢٦) عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٧ .
(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٩ .
(٤) الصحاح (قوا).
(٥) سلف ١٠/ ٤٧٤ .
(٦) سلف ٢/ ١٠٧ .
(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٣ .
(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ ، والصحاح (قوا).
(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٨ .
(١٠) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٨ .
(١١) الصحاح (قوا)، وما بعده منه أيضاً.

الشاعر:

وإنِّي لأختارُ القَوَى طَاوِي الحَشَى ... مُحَافَظَةً من أنْ يقالَ لَئِيم[(١)]

وقال الربيع والسديُّ: «الْمُقْوِينَ» المنزلين الذين لا زناد معهم؛ يعني ناراً يوقدون فيختبزون بها؟ ورواه العوفي عن ابن عباس. وقال قُطْرب: المُقْوِي من الأضداد يكون بمعنى الفقير، ويكون بمعنى الغني، يقال: أقوى الرجل: إذا لم يكن معه زاد. وأقوى: إذا قويت دوابه وكثر ماله[(٢)]. المهدويُّ: والآية تصلح للجميع؛ لأنَّ النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير. وحكى الثعلبيُّ أنَّ أكثر المفسرين على القول الأوَّل. القشيريُّ: وخصَّ المسافر بالانتفاع بها؛ لأنَّ انتفاعه بها أكثر من منفعة المقيم؛ لأنَّ أهل البادية لابدَّ لهم من النار يوقدونها ليلاً؛ لتهرب منهم السِّباع، وفي كثير من حوائجهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: فنزِّه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد، والعَجْز عن البعث.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى: فأقسم[(٣)]؛ بدليل قوله: «وإنَّهُ لَقَسَمٌ». وقال الفرَّاء: هي نَفْي، والمعنى:

(١) أورده المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٤/ ١٧١٥ ولم ينسبه، وجاءت رواية صدره عنده:

لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا

ثم قال: وبعضهم رواه: «لقد كنت أختار القَوَى»، وزعم أنه مقصور من القَوَاء، وليس بشيء. ا هـ.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ .

ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف «أُقْسِمُ»[١]. وقد يقول الرجل: لا واللهِ ما كان كذا. فلا يريد به نفي اليمين، بل يريد به نفي كلام تقدَّم. أي: ليس الأمر كما ذكرت، بل هو كذا. وقيل: «لا» بمعنى «ألَّا» للتنبيه كما قال:

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّللُ البَالي[٢]

ونبَّه بهذا على فضيلة القرآن؛ ليتدبَّروه، وأنَّه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا[٣].

وقرأ الحسن وحميد وعيسى بن عمر: «فَلَأُقْسِمُ»[٤] بغير ألف بعد اللام على التحقيق: وهو فعل حال، ويقدر مبتدأ محذوف، التقدير: فلأنا أُقسم بذلك. ولو أريد به الاستقبال للزمت النون، وقد جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال، وهو شاذٌّ.

الثانية: قوله تعالى: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ مواقع النجوم: مساقطها ومغاربها، في قول قتادة وغيره[٥]. عطاء بن أبي رَبَاح: منازلها. الحسن: انكدارها وانتثارها يوم القيامة[٦]. الضحَّاك: هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية يقولون إذا مُطِروا قالوا: مُطِرنا بنَوْء كذا. الماورديُّ[٧]: ويكون قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ مستعملاً على حقيقته من نفي القسم. القشيريُّ: هو قَسَم، ولله تعالى أن يُقسِم بما يريد، وليس لنا أن نُقسِم بغير الله تعالى وصفاته القديمة.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٩ ولم ينسبه.

(٢) القائل امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص٢٧، وتمامه:

وهل يَعِمَنْ من كان في العُصر خاليا

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٥١ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٩ ، وما بعده منه، ومن الكشاف ٤/ ٥٨ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٠-٣٦١ عن قتادة ومجاهد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٢ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ ، وأخرجه الطبريُّ ٢٢/ ٣٦١ عن الحسن.

(٧) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ ، وما قبله منه أيضاً.

قلت: يدلُّ على هذا قراءة الحسن: «فَلأُقْسِمُ» وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع من كتابه. وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم: نزول القرآن نجوماً، أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السَّفَرة الكاتبين، فنجَّمه السفرةُ على جبريل عشرين ليلة، ونجمَّه جبريل على محمَّد عليهما الصلاة والسلام عشرين سنةً، فهو ينزله على الأحداث من أمَّته، حكاه الماورديُّ[١] عن ابن عباس والسُّدِّيِّ.

وقال أبو بكر الأنباري: حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدَّثنا حجَّاج بن المنهال، حدَّثنا همَّام، عن الكلبيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى سماء الدنيا جملةً واحدةً، ثم نزل إلى الأرض نجوماً، وفُرِّقَ بعد ذلك خمسَ آيات خمسَ آيات، وأقلَّ وأكثر، فذلك قول الله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ»[٢].

وحكى الفرَّاء[٣] عن ابنِ مسعود أنَّ مواقع النجوم هو مُحكَم القرآن.

وقرأ حمزة والكسائي: «بِمَوْقِعِ»[٤] على التوحيد، وهي قراءة عبد الله بن مسعود والنَّخَعيِّ والأعمش وابنِ مُحيصن ورُوَيس عن يعقوب. الباقون على الجمع؛ فمن أفرد؛ فلأنَّه اسم جنس يؤدي الواحد فيه عن الجمع، ومن جمع؛ فلاختلاف أنواعه[٥].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: إنَّ الهاء تعود على القرآن، أي: إنَّ القرآن لقَسَم عظيم، قاله ابن عباس وغيره[٦]. وقيل: ما أقسم الله به عظيم «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ .

(٢) وأخرجه مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥١ ، والطبري ٢٢/ ٣٥٩ من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٩ بإسناده إلى ابن مسعود.

(٤) السبعة ص٦٢٤ ، والتيسير ص٢٠٧ ، والنشر ٢/ ٣٨٣ .

(٥) الحجة للفارسي ٦/ ٢٦٣ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ .

كَرِيمٌ» ذكر المقسم عليه، أي: أُقسم بمواقع النجوم إنَّ هذا القرآن قرآن كريم[١]، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفترى، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزةً لنبيِّه ﷺ، وهو كريم على المؤمنين؛ لأنَّه كلام ربِّهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء؛ لأنَّه تنزيل ربِّهم ووَحْيه.

وقيل: «كَرِيمٌ» أي: غير مخلوق. وقيل: «كرِيمٌ» لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور[٢]. وقيل: لأنَّه يُكرِّم حافظه، ويُعظِّم قارئه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصون عند الله تعالى[٣]. وقيل: مكنون: محفوظ عن الباطل[٤]. والكتاب هنا كتاب في السماء، قاله ابن عباس[٥]. وقال جابر بن زيد وابن عباس أيضاً: هو اللوح المحفوظ[٦]. عِكرمة: التوراة والإنجيل فيهما ذِكْر القرآن ومن ينزل عليه. السُّدِّيُّ: الزبور. مجاهد وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا[٧].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ اختلف في معنى «لا يَمَسُّهُ» هل هو حقيقة في المسِّ بالجارحة أو معنًى؟ وكذلك اختلف في «الْمُطَهَّرُونَ» من هم؟ فقال أنس وسعيد بن جُبير: لا يمسُّ ذلك الكتاب إلا المطهَّرون من الذنوب، وهم الملائكة[٨]. وكذا قال أبو العالية وابن زيد: إنَّهم الذين طُهِّروا من الذنوب كالرُّسل

---

(١) الوسيط ٤/ ٢٣٩ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٤ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ ، وما بعده منه أيضاً.

(٥) أخرجه عنه مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٢ ، والطبري ٢٢/ ٣٦٢ .

(٦) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٦٣ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ ، وأخرج قول عكرمة الطبري ٢٢/ ٣٦٥ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ ، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٤-٣٦٦ عن سعيد بن جبير وأبي العالية وابن زيد، وذكره ابن المنذر في الأوسط ٢/ ١٠٣ عن أنس.

من الملائكة والرُّسل من بني آدم، فجبريل النازل به مُطهَّر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مُطهَّرون. الكلبيُّ: هم السَّفَرة الكرام البرَرَة[١]. وهذا كلُّه قول واحد، وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال: أَحسنُ ما سمعتُ في قوله: «لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»: أنَّها بمنزلة الآية التي في «عَبَسَ وتَوَلَّى»: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ . فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٢-١٦] ويريد أنَّ المطهَّرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة «عبس»[٢].

وقيل: معنى «لا يَمَسُّهُ» لا ينزل به «إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» أي: الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء[٣]. وقيل: لا يمسُّ اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهَّرون[٤]. وقيل: إنَّ إسرافيل هو الموكَّل بذلك، حكاه القشيريُّ. ابن العربي[٥]: وهذا باطل؛ لأنَّ الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل إليه بحال، ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال. وأما من قال: إنَّه الذي بأيدي الملائكة من الصحف، فهو قول محتمل، وهو اختيار مالك.

وقيل: المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا[٦]، وهو الأظهر. وقد روى مالك وغيره أنَّ في كتاب عمرو بنِ حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ ونسخته: «من محمَّد النبيِّ إلى شُرَحْبيل بن عبد كُلَال والحارث بن عبد كُلَال ونُعَيْم بن عبد كُلَال قَيْل ذي رُعَين ومَعَافر وهَمْدان: أما بعد، وكان في كتابه: ألا يمسَّ القرآن إلا طاهر[٧].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦ ، وقول مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ وعزاه إلى ابن زيد.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٦ .

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٥-١٧٢٦ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦ ، والحديث عند مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ ـ ومن طريقه أبو داود في المراسيل (٩٣) ـ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلاً. وأخرجه أيضاً أبو داود في المراسيل =

وقال ابن عمر: قال النبيُّ ﷺ: «لا تمسَّ القرآن إلا وأنت طاهر»[١]. وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة: «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» فقام واغتسل وأسلم[٢]. وقد مضى في أوَّل سورة «طه»[٣]. وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» من الأحداث والأنجاس. الكلبي: من الشِّرْك. الربيع ابن أنس: من الذنوب والخطايا[٤].

وقيل: «لا يَمَسُّه»: لا يقرؤه «إلا المطهَّرون» إلا الموحِّدون، قاله محمد بن فضيل وعَبْدة. قال عكرمة: كان ابن عباس ينهى أن يُمكَّن أحدٌ من اليهود والنصارى من قراءة القرآن[٥].

وقال الفرَّاء[٦]: لا يجد طعمَه ونفعَه وبركته إلا المطهَّرون، أي: المؤمنون بالقرآن. ابن العربي[٧]: وهو اختيار البخاريِّ، قال النبيُّ ﷺ: «ذاق طَعْم الإيمان من رضيَ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّد ﷺ نبياً». وقال الحسين بن الفضل:

= (٩٢) و(٩٤)، والدارقطني ١/ ١٢١ من طرق أخرى مرسلاً، قال أبو داود: روي هذا الحديث مسنداً، ولا يصحُّ. ا هـ. وقال الدارقطني عن إحدى طرقه: مرسل، ورواته ثقات. ا هـ

وأخرجه موصولاً ابن حبان في صحيحه (٦٥٥٩)، والدارقطني ١/ ١٢٢ ، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٩٧ ، والبيهقي ٤/ ٨٩ مطولاً، وفي إسناده: سليمان بن أرقم، وهو متروك الحديث، وقد أخطأ بعض الرواة فسمَّاه سليمان بن داود، ينظر التفصيل في ذلك في الجوهر النقي ٤/ ٨٩ .

قال ابن عبد البر في الاستذكار ٨/ ١٠ ، وفي التمهيد ١٧/ ٣٩٧ : وكتاب عمرو بن حزم هذا تلقَّاه العلماء بالقبول والعمل، وهو عندهم أشهر وأظهر من الإسناد الواحد المتصل.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٢١٧)، وفي الصغير (١١٦٢)، والدارقطني ١/ ١٢١ ، والبيهقي ١/ ٨٨ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والصغير، ورجاله موثقون.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦ .

(٣) ١٤/ ٥-٦ ، وسلف تخريج الخبر هناك.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ .

(٦) في معاني القرآن له ٣/ ١٣٠ ، والمصنف نقله عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ .

(٧) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٦ ، والحديث الآتي سلف ٨/ ٢٠٧ .

لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهَّره اللهُ من الشِّرْك والنفاق. وقال أبو بكر الورَّاق: لا يُوفَّق للعمل به إلا السُّعداء. وقيل: المعنى لا يمسّ ثوابه إلا المؤمنون. ورواه معاذ عن النبيِّ ﷺ[(١)]. ثم قيل: ظاهر الآية خبر عن الشرع، أي: لا يمسُّه إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ شرعاً، فإن وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع، وهذا اختيار القاضي أبي بكر بن العربي[(٢)]. وأبطل أن يكون لفظُه لفظَ الخبر، ومعناه الأمر. وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة»[(٣)]. المهدويُّ: يجوز أن يكون أمراً، وتكون ضمَّة السين ضمَّة إعراب. ويجوز أن يكون نهياً وتكون ضمَّة السين ضمَّة بناء، والفعل مجزوم.

السادسة: واختلف العلماء في مسِّ المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع من مسِّه؛ لحديث عمرو بن حزم. وهو مذهب عليٍّ وابنِ مسعود وسعد بنِ أبي وقاص وسعيد بنِ زيد وعطاء والزُّهريِّ والنَّخعيِّ والحكم وحمَّاد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي[(٤)]. واختلفت الرواية عن أبي حنيفة، فروي عنه أنَّه يمسُّه المحدِث[(٥)]، وقد روي هذا عن جماعة من السَّلف منهم ابن عباس والشعبيُّ وغيرهما[(٦)]. وروي عنه أنَّه يمسُّ ظاهرَه وحواشيَه وما لا مكتوبَ فيه، وأما الكتاب فلا يمسُّه إلا طاهر. ابن العربيِّ[(٧)]: وهذا إن سُلِّمه مما يُقوِّي الحجَّة عليه؛ لأنَّ حريم

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ ، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٠٩ ، وفي إسناده: إسماعيل بن أبي زياد، وهو منكر الحديث.

(٢) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٦ .

(٣) ٣/ ٤٩٠ .

(٤) التمهيد ١٧/ ٣٩٧-٣٩٩ ، والاستذكار ٨/ ١٠ ، وكلام الشافعي في الأم ١/ ٢٢١ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٧ ، ولم نقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من مصادر، بل الذي ورد أنه يحرم مسُّ المصحف للمحدِث ـ كما ذهب إليه الجمهور ـ ورواية أخرى عن بعض مشايخ الحنفية أنه يكره له مسُّ الموضع المكتوب دون الحواشي؛ لأنه لم يمسَّ القرآن حقيقة، والصحيح أنه إنَّما يكره مسُّ كلِّه، لأن الحواشي تابعة للمكتوب، فكان مسُّها مسًّا للمكتوب. بدائع الصنائع ١/ ٢٦٤-٢٦٦ ، وحاشية ابن عابدين ١/ ١٧٣-١٧٤ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢ .

(٧) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٧ ، وما قبله منه أيضاً.

الممنوع ممنوع. وفيما كتبه النبيُّ ﷺ لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه. وقال مالك: لا يحمله غيرُ طاهر بعِلاَقة ولا على وِسادة[1]. وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك. ولم يمنع من حَمْله بعِلاَقة أو مسِّه بحائل[2]. وقد روي عن الحكم وحمَّاد وداود بن عليّ أنَّه لا بأس بحمله ومسِّه للمسلم والكافر، طاهراً أو محدِثاً[3]، إلا أن داود قال: لا يجوز للمشرك حَمْله. واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبيِّ ﷺ إلى قيصر، وهو موضع ضرورة، فلا حجَّةَ فيه. وفي مسِّ الصبيان إيَّاه على وجهين: أحدهما: المنع؛ اعتباراً، بالبالغ. والثاني: الجواز؛ لأنَّه لو منع لم يحفظ القرآن؛ لأنَّ تعلُّمه حال الصغر؛ ولأنَّ الصبيَّ وإن كانت له طهارة إلَّا أنَّها ليست بكاملة؛ لأنَّ النِّيَّة لا تصحُّ منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة، جاز أن يَحْمله محدِثاً.

السابعة: قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: منزل[4]، كقولهم: ضَرْبُ الأميرِ ونَسْجُ اليَمنِ[5]. وقيل: «تَنْزِيلٌ» صفة لقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ»[6]. وقيل: أي: هو تنزيل.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: مكذِّبون، قاله ابن عباس وعطاء وغيرهما[7]. والمُدْهِن: الذي ظاهره خلاف باطنه[8]، كأنَّه شبَّه

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢، وما بعده منه أيضاً، ومن تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩، وقول مالك في الموطأ ١/ ١٩٩، وفي المدونة ١/ ١١٢.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للطحاوي ١/ ١٥٦.

(٣) التمهيد ١٧/ ٣٩٨-٣٩٨، والاستذكار ٨/ ١٢.

(٤) الوسيط ٤/ ٢٤٠.

(٥) الحلل للبطليوسي ص١٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ عن ابن عباس، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٦٨.

(٨) الوسيط ٤/ ٢٤٠.

بالدُّهن في سهولة ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان وقتادة: مُدْهِنون: كافرون[١]، نظيره: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩]. وقال المؤرِّج: المدهِن: المنافق أو الكافر الذي يُلين جانبه ليُخْفِي كفره، والإدهان والمداهنة: التكذيب والكفر والنفاق، وأصله اللِّين، وأن يُسِرَّ خلافَ ما يظهر[٢]، وقال أبو قيس بنُ الأسْلَت:

الحَزْمُ والقُوَّةُ خيرٌ مِنَ الـ ... إدهان والفَهَّةِ والهَاعِ[٣]

وأدهن وداهن واحد. وقال قوم: داهنت بمعنى واريت، وأدهنتُ بمعنى غَشَشْت[٤]. وقال الضحَّاك: «مُدْهِنُونَ»: معرضون. مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر به[٥]. ابن كيسان: المدهن: الذي لا يَعقِلُ ما حقُّ الله عليه، ويدفعه بالعلل. وقال بعض اللغويين: مدهنون: تاركون للجَزْم في قَبول القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عباس: تجعلون شكركم التكذيب[٦]. وذكر الهيثم بنُ عديٍّ: أنَّ من لغة أزد شنوءة: ما رزقَ فلانٌ؟ أي: ما شكَره[٧]. وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره؛ لأنَّ شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه، فيكون الشكر رزقاً على هذا المعنى. فقيل: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ» أي: شكر رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقاً لكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بالرزق، أي: تضعون الكذب مكان الشكر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥] أي: لم يكونوا يُصلُّون، ولكنَّهم كانوا يصفِّرون ويُصفِّقون

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٠ عن قتادة.

(٢) الوسيط ٤/ ٢٤٠ .

(٣) أمالي القالي ص٢١٥ ، والمفضليات ص٢٨٥ ، وورد عندهما: والفكَّة، بدل: والفهَّة. ا هـ يقال: في فلان فكَّة: أي استرخاء في رأيه. والفهَّة: مثل السَّقْطة والجهلة ونحوها. ورجل هاعٌ لاعٌ: جبان ضعيف جزوع. اللسان (فكك) و(فهه) و(هوع).

(٤) الصحاح (دهن).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٦٥ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٤ .

(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٨ .

مكان الصلاة. ففيه بيان أنَّ ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يَرَوْه من قِبَلِ الوسائط التي جرت العادة بأن تكن أسباباً، بل ينبغي أن يَرَوْه من قِبَلِ الله تعالى، ثم يقابلونه بشكرٍ إن كان نعمةً، أو صبرٍ إن كان مكروهاً؛ تعبُّداً له وتذلُّلاً.

وروي عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ: «وتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» حقيقة[1]. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ المراد به الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب: مُطِرنا بنَوء كذا، رواه عليُّ بنُ أبي طالب عن النبيِّ ﷺ[2]. وفي «صحيح مسلم»[3] عن ابن عباس قال: مُطِر الناسُ على عهد النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمةُ الله. وقال بعضهم: لقد صَدَق نَوْءُ كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» حتى بلغَ: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ»».

وعنه أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ خرج في سفر فعطشوا، فقال النبيُّ ﷺ: «أرأيتم إن دعوتُ اللهَ لكم، فسُقِيتم، لعلكم تقولون: هذا المطر بِنَوء كذا». فقالوا: يا رسول الله، ما هذا بحين الأنواء. قال: فصلَّى ركعتين ودعا ربَّه، فهاجت ريح، ثم هاجت سحابة، فمُطِروا؛ فمرَّ النبيُّ ﷺ ومعه عصابة من أصحابه برجل يغترف بقدح له، وهو يقول: سُقينا بِنَوء كذا، ولم يقل: هذا من رزق الله، فنزلت: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» أي: شكركم لله على رزقه إيّاكم «أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» بالنعمة وتقولون: سُقِينا بنوء كذا، كقولك: جعلتَ إحساني إليك إساءةً منكَ إليَّ، وجعلتَ إنعامي لديكَ أن اتَّخذتني عدوًّا[4]. وفي «الموطأ»[5] عن زيد بن خالد الجُهنيِّ أنَّه قال: صلَّى بنا

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٩ ، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٥١ ، والمحتسب ٢/ ٣١٠ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٥ ، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٠ ، وأما خبر علي المرفوع فأخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ٢/ ٩٧ (٦٧٧)، والطبري ٢٢/ ٣٦٩ .

(٣) برقم (٧٣)، وأخرجه أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص٤٢٩ ، والكلام ـ وما بعده ـ منه أيضاً.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢ .

(٥) ١/ ١٩٢ ، والحديث سلف ٨/ ٤٠٣ ، وقوله: على إثر سماء كانت من الليل. فإنه أراد سحاباً حيث نزل من الليل، والعرب تسمي السحاب والماء النازل منه سماء. التمهيد ١٦/ ٢٨٥ .

رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحُديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقْبَلَ على الناس وقال: «أتدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بالكوكب، فأما من قال: مُطِرنا بفَضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنَوء كذا وكذا، فذلك مؤمن بالكوكب كافر بي».

قال الشافعيُّ[١] رحمه الله: لا أحبُّ أحداً أن يقول: مُطِرنا بنَوء كذا وكذا، وإن كان النَّوء عندنا الوقت المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئاً من المطر، والذي أحبُّ أن يقول: مُطِرنا وقت كذا، كما تقول: مُطِرنا شهر كذا، ومن قال: مُطِرنا بنَوء كذا، وهو يريد أنَّ النَّوء أنزل الماء، كما عنى بعضُ أهل الشرك من الجاهلية بقوله، فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب.

وقال أبو عمر بنُ عبد البر[٢]: وأما قوله عليه الصلاة والسلام حاكياً عن الله سبحانه: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» فمعناه عندي على وجهين: أمَّا أحدهما: فإنَّ المعتقِد بأنَّ النوء هو الموجب لنزول الماء، وهو المنشئ للسحاب دون الله عزَّ وجلَّ، فذلك كافر كفراً صريحاً يجب استتابته عليه وقَتْله؛ لنَبذِه الإسلام، وردِّه القرآن. والوجه الآخر: أن يعتقد أنَّ النَّوء يُنزِل اللهُ به الماءَ، وأنَّه سببُ الماء على ما قدَّره الله وسَبَق في علمه، وهذا وإن كان وجهاً مباحاً، فإن فيه أيضاً كفراً بنعمة الله عزَّ وجلَّ، وجهلاً بلطيف حكمته في أنَّه يُنزِل الماء متى شاء، مرَّة بنَوء كذا، ومرَّة دون النوء[٣]، وكثيراً ما يخوي[٤] النَّوء فلا ينزل معه شيء من الماء، وذلك من الله تعالى لا من النَّوء. وكذلك كان أبو هريرة يقول إذا أصبح وقد مُطِر: مطِرنا بنَوء

---

(١) في الأم ١/ ٢٢٣ ، والمصنف نقله عنه بواسطة ابن عبد البر في التمهيد ١٦/ ٢٨٥ .

(٢) في التمهيد ١٦/ ٢٨٦ .

(٣) في النسخ عدا (ظ): بنوء كذا، والمثبت من (ظ) والتمهيد ١٦/ ٢٨٦ .

(٤) في النسخ عدا (ظ): ينوء. والمثبت من (ظ) والتمهيد ١٦/ ٢٨٦ ، وخَوَت النجوم تخوي خيًّا: أمْحَلَتْ، وقيل: خَوَت وأخوَت: إذا سقطت ولم تمطر في نوئها. اللسان (خوا).

الفتح، ثم يتلو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] قال أبو عمر[١]: وهذا عندي نحو قول رسول الله ﷺ: «مُطِرنا بفَضْل الله ورحمته»[٢]. ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب حين استسقى به: يا عمَّ رسولِ الله، كم بقيَ من نَوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يزعمون أنَّها تعترض في الأُفُق سبعاً بعد سقوطها. فما مضت سابعة حتى مطروا، فقال عمر: الحمد لله، هذا بفَضل الله ورحمته. وكأنَّ عمر ﷺ قد عَلِمَ أنَّ نَوء الثُّريا وقت يُرجى فيه المطر ويؤمَّل، فسأله عنه: أخَرج، أم بقيت منه بقيَّة[٣]؟.

وروى سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أميَّة أنَّ النبي ﷺ سمع رجلاً في بعض أسفاره يقول: مُطرنا ببعض عثَانين الأسد. فقال رسول الله ﷺ: «كذبتَ، بل هو سُقْيا الله عزَّ وجلَّ» قال سفيان: عَثَانين الأسد: الذراع والجبهة[٤].

وقراءة العامة: «تُكَذِّبون» من التكذيب. وقرأ المفضَّل عن عاصم ويحيى بن وَثَّاب: «تَكْذِبُونَ» بفتح التاء مخفَّفاً[٥]. ومعناه ما قدَّمناه من قول من قال: مِطِرنا بنَوْء كذا.

وثبت من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ لن يزلن في أمَّتي: التفاخر في الأحساب، والنِّياحة، والأنْواء»[٦] ولفظ مسلم[٧] في هذا: «أربع في أمَّتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفَخر في الأحساب، والطَّعن في الأنساب،

---

(١) في التمهيد ١٦/ ٢٨٦ .

(٢) سلف قريباً.

(٣) التمهيد ١٦/ ٢٨٦ ، وخبر عمر أخرجه الحميدي في مسنده (١٠٠٩) ، والطبري ٢٢/ ٣٧٠-٣٧١ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٥٩ مطوَّلاً.

(٤) التمهيد ١٦/ ٢٨٤ ، والحديث أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢١ و٢٢/ ٣٧٠ عن يونس، عن سفيان، به.

(٥) قراءة عاصم في السبعة ص٦٢٤ .

(٦) أخرجه أبو يعلى (٣٩١١)، وابن عبد البر في التمهيد ١٢/ ٢٤٢ و١٦/ ٢٩٢ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٢ : رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.

(٧) في صحيحه (٩٣٤)، وهو عند أحمد (٢٢٩١٢).

والاستسقاء بالنجوم، والنِّياحة».

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: فهلَّا إذا بلغت النفس أو الروح الحُلْقوم[١]. ولم يتقدَّم لها ذِكر؛ لأنَّ المعنى معروف، قال حاتم:

أَمَاوِيُّ ما يُغْني الثَّرَاءُ عنِ الفتى إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضاقَ بِها الصَّدرُ[٢]

وفي حديث: «إنَّ مَلَك الموتِ له أعوان يقطعون العروق، ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً، حتى ينتهي بها إلى الحُلْقوم، فيتوفاها مَلَك الموت»[٣].

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أَمْري وسلطاني[٤]. وقيل: تنظرون إلى الميِّت لا تقدرون له على شيء. وقال ابن عباس: يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تَخرُج نفسه. ثم قيل: هو ردٌّ عليهم في قولهم لإخوانهم: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦] أي: فهلَّا ردُّوا رُوح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم. وقيل: المعنى: فهلَّا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقومَ عند النزع وأنتم حضور، أمسكتم روحه في جسده، مع حرصكم على امتداد عُمُره، وحبِّكم لبقائه. وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقيل: هو خطاب لمن هو في النزع، أي: إن لم يَكُ ما بِكَ من الله، فهلَّا حفظت على نفسك الروح.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بالقدرة والعِلم والرؤية[٥]. قال عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقربَ إليَّ منه. وقيل: أراد: ورسلنا الذين يتولَّون قَبْضه «أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ» ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تَرَوْنَهم[٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: فهلَّا إن كنتم غيرَ محاسبين ولا

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٢ .

(٢) ديوانه ص٣٩ ، والحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردُّد النَّفَس. الصحاح (حشرج).

(٣) لم نقف عليه.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٠ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١ . والصحيح إثبات صفة القرب لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، وتفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٣ .

مجزيين بأعمالكم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجزيُّون محاسبون. وقد تقدم[1]. وقيل: غير مملوكين ولا مقهورين. قال الفرَّاء وغيره: دَيَّنْتُه: ملَّكتُه، وأنشد للحطيئة:

لقد دُيِّنتِ أمْرَ بَنِيكِ حتَّى تَرَكْتِهِمُ أدقَّ مِنَ الطَّحِينِ[2]

يعني: مُلِّكْتِ. ودانه، أي: أذلَّه واستعبده، يقال: دِنْته فَدَان. وقد مضى في «الفاتحة»[3] القول في هذا عند قوله تعالى: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الآية: ٤].

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ ترجعون الروح إلى الجسد. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: ولن تُرجِعوها، فبطل زعمكم أنَّكم غير مملوكين ولا محاسبين. و«ترجعونها» جواب لقوله تعالى: «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ»، ولقوله: «فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» أجيبا بجواب واحد، قاله الفرَّاء[4]. وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبا بجواب واحد؛ وهما شرطان. وقيل: حذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. وقيل: فيها تقديم وتأخير، مجازها: فلولا وهلّا إن كنتم غير مَدِينين تَرجِعونها، تردُّون نَفْس هذا الميِّت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ذكر طبقات الخَلْق عند الموت، وعند

---

(١) ١٩/١٦٣ - ١٦٤.

(٢) الصحاح (دين) وما بعده منه أيضاً، والبيت في ديوان الحطيئة ص٦٥، إلا أنه ورد فيه: فقد سوِّست، بدل: لقد دُيِّنت.

(٣) ١/٢٢١.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٣٠، وما بعده منه أيضاً.

البعث، وبيَّن درجاتهم فقال: «فَأَمَّا إِن كَانَ» هذا المتوفَّى «مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» وهم السَّابقون[١]. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وقراءة العامة: «فَرَوْحٌ» بفتح الراء[٢]، ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا[٣]. وقال الحسن: الرَّوح: الرحمة[٤]. الضحَّاك: الرَّوح: الاستراحة. القُتَبيُّ[٥]: المعنى: له في القبر طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الرَّوح بالنظر إلى وَجْهِ الله، والريحان: الاستماع لكلامه ووحيه. «وَجَنَّةُ نَعِيمٍ» هو ألا يُحجَب فيها عن الله عزَّ وجلَّ. وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدريُّ ورُوَيس وزيد عن يعقوب: «فَرُوحٌ» بضمِّ الراء، ورويت عن ابن عباس[٦]. قال الحسن: الرَّوح: الرحمة؛ لأنَّها كالحياة للمرحوم. وقالت عائشة رضي الله عنها: قرأ النبيُّ ﷺ: «فَرُوحٌ» بضمِّ الراء[٧] ومعناه: فبقاء له وحياة في الجنَّة، وهذا هو الرحمة.

«وَرَيْحَانٌ» قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي: رزق[٨]. قال مقاتل: هو الرزق، بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحانَ الله، أي: رزقه؛ قال النَّمِر بن تَوْلَب:

سَلَامُ الإلهِ ورَيْحَانُه ورحمتُه وسَمَاءٌ دِرَرْ[٩]

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١.

(٢) النشر ٢/ ٣٨٣.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٦٦، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٧٦-٣٧٧، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٣٥ (١٨٨٠٩).

(٤) الكشاف ٤/ ٦٠.

(٥) في غريب القرآن له ص٤٥٢.

(٦) القراءات الشاذة ص١٥٢، والمحتسب ٢/ ٣١٠، والنشر ٢/ ٣٨٣.

(٧) الكشاف ٤/ ٦٠، وأخرجه أحمد (٢٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٣، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٧٧، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٣.

(٩) سلف ص١٢٢ من هذا الجزء.

وقال قتادة: إنَّه الجنَّة. الضحَّاك: الرحمة. وقيل: هو الريحان المعروف الذي يُشَمُّ. قاله الحسن وقتادة أيضاً[١]. الربيع بن خَيْثم: هذا عند الموت، والجنَّة مخبوءة له إلى أن يُبعَث. أبو الجوزاء: هذا عند قَبْضِ روحه يتلقَّى بضَبَائر الرَّيحان[٢]. أبو العالية: لا يُفارِق أحد رُوحه من المقرَّبين في الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان، فيشمها ثم يقبض روحه فيها[٣]، وأصل ريحان واشتقاقه تقدَّم في أوَّل سورة «الرحمن» فتأمَّله. وقد سرد الثعلبيُّ في الرَّوْحِ والرَّيحان أقوالاً كثيرةً سوى ما ذكرنا من أرادها وجدها هناك.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: «إنْ كَانَ» هذا المتوفَّى «مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: لست ترى منهم إلا ما تحبُّ من السلامة فلا تهتمّ لهم، فإنَّهم يَسْلَمون من عذاب الله. وقيل: المعنى: سلام لك منهم، أي: أنت سالم من الاغتمام لهم. والمعنى واحد. وقيل: أي: إنَّ أصحابَ اليمين يَدْعُون لك يا محمَّد بأن يصلِّي اللهُ عليك ويُسلِّم. وقيل: المعنى إنَّهم يُسلِّمون عليك يا محمَّد[٤]. وقيل: معناه: سَلِمتَ أيُّها العبد مما تكره، فإنَّك من أصحاب اليمين، فحذف: إنَّكَ[٥]. وقيل: إنه يُحيَّا بالسلام؛ إكراماً.

فعلى هذا في محلِّ السلام ثلاثة أقاويل: أحدها: عند قَبْضِ روحه في الدنيا يُسلِّم عليه مَلَك الموت، قاله الضحَّاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء مَلَك الموت ليقبض روح

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٦، والنكت والعيون ٥/ ٤٦٧، وزاد المسير ٨/ ١٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٨.

(٢) تفسير السمعاني ٥/ ٣٦٢، والضبائر: الجماعات. اللسان (ضبر).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٧٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٧، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٩١، وزاد المسير ٨/ ١٥٨.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٧، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٣١.

المؤمن قال: ربُّك يقرئك السلام. وقد مضى هذا في سورة «النحل»[١] عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [الآية: ٣٢].

الثاني: عند مساءلته في القبر يُسلِّم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه في القيامة تُسلِّم عليه الملائكة قبل وصوله إليها[٢].

قلت: وقد يحتمل أن تُسَلِّم عليه في المواطن الثلاثة، ويكون ذلك؛ إكراماً بعد إكرام. والله أعلم. وجواب «إنْ» عند المبرِّد محذوف، التقدير: مهما يكن من شيء «فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» إن كان من أصحاب اليمين «فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» فحذف جواب الشرط؛ لدلالة ما تقدَّم عليه، كما حذف الجواب في نحو قولك: أنت ظالم إن فعلتَ؛ لدلالة ما تقدَّم عليه. ومذهب الأخفش أنَّ الفاء جواب «أمَّا» و «إنْ»، ومعنى ذلك أنَّ الفاء جواب «أمَّا» وقد سدَّت مسدَّ جواب «إنْ» على التقدير المتقدِّم، والفاء جواب لهما على هذا الحدِّ. ومعنى «أمَّا» عند الزجَّاج: الخروج من شيء إلى شيء، أي: دَعْ ما كنَّا فيه، وخذ في غيره[٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الهدى وطريق الحقِّ[٤] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: فلهم رزق من حميم، كما قال: «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. لَآكِلُونَ» وكما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧]. ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ إدخال في النار. وقيل: إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها، يقال: أصلاه النارَ وصَلَاه، أي: جعله يَصْلَاها، والمصدر ههنا أُضيف إلى المفعول، كما يقال: لفلان إعطاء مالٍ، أي: يُعطَى المال. وقرئ: «وَتَصْلِيَةِ» بكسر التاء، أي: ونزلٌ من تصلية جحيم. ثم أدغم أبو عمرو التاء في

(١) ١٢/ ٣٢٠.

(٢) الأقوال الثلاثة في النكت والعيون ٥/ ٤٦٧.

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧١٤-٧١٥، وقول المبرِّد في المقتضب ٢/ ٢٧.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١.

الجيم، وهو بعيد[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: هذا الذي قصصناه مَحْضُ اليقين وخالصه. وجاز إضافة الحقِّ إلى اليقين، وهما واحد؛ لاختلاف لفظهما. قال المبرِّد: هو كقولك: عين اليقين، ومحض اليقين، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين: حقُّ الأمر اليقين، أو الخبر اليقين. وقيل: هو توكيد. وقيل: أصل اليقين أن يكون نعتاً للحقِّ، فأُضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز، كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾[٢] [يوسف: ١٠٩].

وقال قتادة في هذه الآية: إنَّ الله ليس بتارِك أحداً من الناس حتى يَقِفه على اليقين من هذا القرآن، فأمَّا المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: نَزِّه الله تعالى عن السُّوء. والباء زائدة، أي: سبِّح اسم ربِّك، والاسمُ المسمَّى[٣]. وقيل: «فَسَبِّحْ» أي: فَصَلِّ بذِكر ربِّك وأَمْره[٤]. وقيل: فاذكر اسمَ ربِّك العظيم وسبِّحه. وعن عقبة بن عامر قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال النبيُّ ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» خرَّجه أبو داود[٥]، والله أعلم.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥٢، والكشاف ٤/ ٦٠، والبحر المحيط ٨/ ٢١٦.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٢/ ٤٣٦-٤٣٨، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٨.

(٣) الوسيط ٤/ ٢٤٣.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٢.

(٥) برقم (٨٦٩)، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد (١٧٤١٤)، والحاكم ٢/ ٤٧٧ وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

تفسير سورة الواقعة

وهى مكية.

قال أبو إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شبت؟ قال: «شيبتنى هود، والواقعة، والمرسلات، وعَمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت».

رواه الترمذى وقال: حسن غريب(١).

وقال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصرى: حدثنا السُّرِّى بن يحيى الشيبانى، عن أبى شجاع، عن أبى ظبية قال: مرض عبد الله مرضه الذى توفى فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكى؟ قال: ذنوبى. قال: فما تشتهى؟ قال: رحمة ربى. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضنى. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لى فيه. قال: يكون لبناتك من بعدك؟ قال: أتخشى على بناتى الفقر؟ إنى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة، لم تصبه فاقة أبدا»(٢).

ثم قال ابن عساكر: كذا قال، والصواب: عن «شجاع»، كما رواه عبد الله بن وهب، عن السرى. وقال عبد الله بن وهب: أخبرنى السّرىّ بن يحيى أن شجاعا حَدّثه، عن أبى ظَبْيَةَ، عن عبد الله بن مسعود، قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا». فكان أبوظبية لا يدعها(٣).

وكذا رواه أبو يعلى، عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن مُنيب، عن السرى بن يحيى، عن شجاع، عن أبي ظَبْيَة، عن ابن مسعود، به. ثم رواه عن إسحاق بن أبى إسرائيل، عن محمد بن منيب العدنى، عن السرى بن يحيى، عن أبى ظبية، عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة، لم تصبه فاقة أبدا». لم يذكر فى سنده «شجاعا»(٤). قال: وقد أمرت بناتى أن يقرأنها كل ليلة.

وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن اليمان، عن السرى بن يحيى، عن شجاع، عن أبى فاطمة، قال: مرض عبد الله، فأتاه عثمان بن عفان يعوده، فذكر الحديث

---

(١) سنن الترمذى برقم (٣٢٩٧).

(٢) تاريخ دمشق (ق ٢٩٤) « مصورة معهد المخطوطات» ورواه ابن عبد البر فى التمهيد (٥/ ٢٦٩) من طريق حبشى بن عمرو بن الربيع، عن أبيه عمرو بن الربيع المصرى، به.

(٣) ورواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/ ١١٢) من طريق خالد بن خداش، عن عبد الله بن وهب، به.

(٤) ورواه عن أبى يعلى أبو بكر بن السنى فى عمل اليوم والليلة برقم (٦٧٤).

بطوله. قال عثمان بن اليمان: كان أبو فاطمة هذا مولى لعلى بن أبى طالب[١].

وقال [الإمام][٢] أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل ويحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن سِمَاك بن حرب؛ أنه سمع جابر بن سَمُرَة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلى الصلوات كنحو من صلاتكم التى تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف. كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ فى الفجر «الواقعة» ونحوها من السور[٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾.

الواقعة: من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها، كما قال: **﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾** [الحاقة: ١٥]

وقوله: **﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾** أى: ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها، ولا دافع يدفعها، كما قال: **﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾** [الشورى: ٤٧]، وقال: **﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾** [المعارج: ١، ٢]، وقال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾** [الأنعام: ٧٣].

ومعنى **﴿كَاذِبَةٌ﴾** ـ كما قال محمد بن كعب ـ: لابد أن تكون. وقال قتادة: ليس فيها مثنوية ولا

---

(١) تاريخ دمشق (ق ٢٩٤) «مصورة معهد المخطوطات».

وكذا رواه حجاج بن المنهال عن السرى بن يحيى فقال:

عن أبى فاطمة: أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (٢٤٩٨) وقد أعمل الزيلعى، رحمه الله، هذا الحديث بأربع علل ترجح بعدها ضعفه:

الأولى: الانقطاع كما ذكره الدارقطنى وابن أبى حاتم فى علله نقلا عن أبيه.

الثانية: نكارة متنه. قاله الإمام أحمد.

الثالثة: ضعف رواته: السرى بن يحيى، وشجاع، كما ذكره ابن الجوزى.

الرابعة: الاضطراب، فمنهم من يقول: أبو طيبة بالطاء المهملة ومنهم من يقول: أبو ظبية بالظاء المعجمة.

ومنهم من يقول: أبو فاطمة، ومنهم من يقول: شجاع، ومنهم من يقول: أبو شجاع، وقد اجتمع على ضعفه: الإمام أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطنى والبيهقى وابن الجوزى تلويحا وتصريحا، والله أعلم.

(٢) زيادة من م.

(٣) المسند (٥/ ١٠٤).

ارتداد ولا رجعة.

قال ابن جرير: والكاذبة: مصدر كالعاقبة والعافية.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أى: تخفض[١] أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا فى الدنيا أعزّاء. وترفع آخرين إلى أعلى علّيّين، إلى النعيم المقيم، وإن كانوا فى الدنيا وضعاء. وهكذا قال الحسن، وقتادة وغيرهما.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى، عن أبيه، عن سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: تخفض أناسًا وترفع آخرين.

وقال عبيد الله[٢] العتكى، عن عثمان بن سراقة، ابن خالة عمر بن الخطاب: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [قال[٣]]: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة.

وقال محمد بن كعب: تخفض رجالا كانوا فى الدنيا مرتفعين، وترفع رجالا كانوا فى الدنيا مخفوضين.

وقال السُّدِّى: خفضت المتكبرين، ورفعت المتواضعين.

وقال العَوْفىّ، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: أسمعت القريب والبعيد. وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى. وكذا قال الضحاك، وقتادة.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ أى: حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغير واحد فى قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ أى: زلزلت زلزالا [شديدا][٤].

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه.

وهذه كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أى: فُتِّتت فَتًّا[٥]. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم.

وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال [الله][٦] تعالى: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا﴾: قال أبو إسحاق، عن الحارث، عن على، رضى الله عنه: ﴿هَبَاءً

(١) فى م: «تخفض». (٢) فى أ: «عبد الله». (٣) زيادة من م.
(٤) زيادة من: م. (٥) فى م: «تفتيتا». (٦) زيادة من أ.

مُنْبَثًّا﴾ كرهَج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقى منه شيء.

وقال العَوْفى، عن ابن عباس فى قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾: الهباء الذى يطير من النار، إذا اضطرمت[(١)] يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئا.

وقال عكرمة: المنبث: الذى ذرته الريح وبثته. وقال قتادة: ﴿هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾: كيبيس الشجر الذى تذروه[(٢)] الرياح.

وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها وتسييرها ونسفها ـ أى قلعها ـ وصيرورتها كالعهن المنفوش.

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ أى: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السُّدِّى: وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار ـ عياذاً بالله من صنيعهم ـ وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددا من أصحاب اليمين؛ ولهذا قال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة فى آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، وذلك على أحد القولين فى الظالم لنفسه كما تقدم بيانه.

قال سفيان الثورى، عن جابر الجُعْفِى، عن مجاهد، عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ قال: هى التى في سورة الملائكة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.

وقال ابن جُرَيْج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون فى آخر السورة وفى سورة الملائكة.

وقال يزيد الرقاشى: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ قال: أصنافا ثلاثة.

وقال[(٣)] مجاهد: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ [قال][(٤)]: يعنى: فرقا ثلاثة. وقال ميمون بن مِهْرَان: أفواجا ثلاثة. وقال عُبَيد الله[(٥)] العتكى، عن عثمان بن سراقة، ابن خالة عمر بن الخطاب: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾: اثنان فى الجنة، وواحد فى النار.

---

(١) فى م: «اضطربت». (٢) فى م: «تذراه».
(٣) فى أ: «عن». (٤) زيادة من م. (٥) فى أ: «عبد الله».

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبى ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال: الضرباء، كل رجل من قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قال: هم الضرباء[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله المثنى، حدثنا البراء الغنوى، حدثنا الحسن، عن معاذ بن جبل؛ أن رسول الله ﷺ تلا[٢] هذه الآية: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[٣]، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾[٤] فقبض بيده قبضتين فقال: «هذه للجنة[٥] ولا أبالى، وهذه للنار[٦] ولا أبالى»[٧].

وقال أحمد أيضا: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنا خالد بن أبى عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق، قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»[٨].

وقال محمد بن كعب وأبو حَزْرَةَ يعقوب بن مجاهد: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: هم الأنبياء، عليهم السلام. وقال السُّدِّى: هم أهل عليين. وقال ابن أبى نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، قال: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل «يس»، سبق إلى عيسى، وعلى بن أبى طالب، سبق إلى محمد رسول الله ﷺ. رواه ابن أبى حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبد الله بن إسماعيل المدائنى البزاز، عن شُعَيب بن الضحاك المدائنى، عن سفيان ابن عُيينة، عن ابن أبى نَجيح، به.

وقال ابن أبى حاتم: وذكر محمد[٩] بن أبى حماد، حدثنا مِهْران، عن خارجة، عن قُرَّة، عن ابن سيرين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: الذين صلوا للقبلتين.

ورواه ابن جرير[١٠] من حديث خارجة، به.

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أى: من كل أمة.

وقال الأوزاعى، عن عثمان بن أبى سودة أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، ثم قال: أولهم رواحا إلى المسجد، وأولهم خروجا فى سبيل الله.

---

(١) سيأتى تخريج الحديث عند الآية: ٧ من سورة التكوير.
(٢) فى أ: «قرأ».
(٣) فى م، أ: «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين».
(٤) فى م، أ: «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال».
(٥) فى م، أ: «هذه فى الجنة».
(٦) فى م، أ: «وهذه فى النار».
(٧) المسند (٥/٢٣٩) والحسن لم يسمع من معاذ.
(٨) المسند (٦/٦٧).
(٩) فى أ: «وذكر عن محمد».
(١٠) فى أ: «ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير».

وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢]، فمن سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان فى الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا يحيى بن زكريا القزاز[1] الرازى، حدثنا خارجة بن مُصعَب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو، قال: قالت الملائكة: يا رب، جعلت لبنى آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون، فاجعل لنا الآخرة. فقال: لا أفعل. فراجعوا ثلاثا، فقال: لا أجعل من خلقت بيدى كمن قلت له: كن، فكان. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان[2] بن سعيد الدارمى فى كتابه: «الرد على الجهمية»، ولفظه: فقال الله عز وجل: «لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى، كمن قلت له: كن، فكان»[3].

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا (٢٦)﴾.

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ﴿ثُلَّةٌ﴾ أى: جماعة ﴿مِّنَ الأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾. وقد اختلفوا فى المراد بقوله: ﴿الأَوَّلِينَ﴾، و﴿الآخِرِينَ﴾. فقيل: المراد بالأولين: الأمم الماضية، والآخرين: هذه الأمة. هذا رواية عن مجاهد، والحسن البصرى، رواها عنهما ابن أبى حاتم. وهو اختيار ابن جرير، واستأنس بقوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»[4]. ولم يحك غيره، ولا عزاه إلى أحد.

---

(١) فى أ: «الفزارى». (٢) فى أ: «عمر».

(٣) وقد رواه عثمان بن سعيد الدارمى فرفعه كما فى البداية والنهاية (١/ ٥٥) للمؤلف وقال: «وهو أصح» وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، رواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/ ٤٨) وقال: «هذا حديث لا يصح».

(٤) لم أجد الحديث فى تفسير الطبرى، والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه برقم (٨٩٦) ومسلم فى صحيحه برقم (٨٨٥) من حديث أبى هريرة ،رضى الله عنه.

ومما يستأنس به لهذا القول، ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا شريك، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة، قال: لما نزلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾، شق ذلك على أصحاب النبى ﷺ، فنزلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ فقال النبى ﷺ: «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة ـ أو: شطر أهل الجنة ـ وتقاسمونهم النصف الثانى».

ورواه الإمام أحمد، عن أسود بن عامر، عن شريك، عن محمد، بياع الملاء، عن أبيه، عن أبى هريرة فذكره[١]. وقد روى من حديث جابر نحو هذا، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار: حدثنا عبد ربه بن صالح، عن عروة بن رويم، عن جابر بن عبد الله، عن النبى ﷺ: لما نزلت: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾، ذكر فيها ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، قال عمر: يا رسول الله، ثلة من الأولين وقليل منا؟ قال: فأمسك آخر السورة سنة، ثم نزل: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، تعال فاسمع ما قد أنزل الله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾، ألا وإن من آدم إلىَّ ثلة، وأمتى ثلة، ولن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل، ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

هكذا أورده فى ترجمة «عروة بن رويم»[٢]، إسنادا ومتنا، ولكن فى إسناده نظر. وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ: «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» الحديث بتمامه[٣]، وهو مفرد فى «صفة الجنة» ولله الحمد والمنة. وهذا الذى اختاره ابن جرير هاهنا، فيه نظر، بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هى خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون فى غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم. فالقول الثانى فى هذا المقام ،هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أى: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أى: من هذه الأمة.

قال ابن أبى حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان، حدثنا عبد الله بن بكر[٤] المزنى، سمعت الحسن: أتى على هذه الآية: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾، فقال: أما السابقون، فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أهل اليمين.

ثم قال: حدثنا أبى، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السُّرِّى بن يحيى قال: قرأ الحسن: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ثلة ممن مضى من هذه الأمة.

---

(١) المسند (٢/ ٣٩١).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ق ٢٧٩) «مصورة معهد المخطوطات».

(٣) منها حديث عمران بن حصين، أخرجه الترمذى فى السنن برقم (٣١٦٨) وحديث عبد الله بن مسعود، أخرجه أحمد فى المسند (١/ ٤٢٠).

(٤) فى أ: «بكير»، وفى م: «أبى بكر».

وحدثنا أبى، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المِنْقَرى، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين، أنه قال فى هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ قال: كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة. فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن يعم الأمر[١] جميع الأمم كل أمة بحسبها؛ ولهذا ثبت فى الصحاح وغيرها، من غير وجه، أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٢] الحديث بتمامه.

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا زياد أبو عمر، عن الحسن، عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل أمتى مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره»[٣]، فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة فى إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به فى أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع الذى يحتاج[٤] إلى المطر الأول وإلى المطر الثانى، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت فى الأرض، ولا تعلق أساسه فيها؛ ولهذا قال، عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى قيام الساعة». وفى لفظ: «حتى يأتى أمر الله وهم كذلك». والغرض: أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة؛ لشرف دينها، وعظم نبيها. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن فى هذه الأمة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. وفى لفظ: «مع كل ألف سبعون ألفا». وفى آخر[٥]: «مع كل واحد سبعون ألفا».

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا هشام[٦] بن مرثد[٧] الطبرانى، حدثنا محمد ـ هو ابن إسماعيل بن عياش ـ حدثنى أبى، حدثنى ضَمْضَم ـ يعنى ابن زُرْعَة ـ عن شريح ـ هو ابن عبيد ـ عن أبى مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذى نفسى بيده، ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء، عليهم السلام»[٨].

وحسن أن يذكر هاهنا [عند قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾][٩] الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى «دلائل النبوة» حيث قال: أخبرنا أبو نصر ابن قتادة، أخبرنا أبو عمرو ابن مطر، حدثنا جعفر ـ [هو][١٠] ابن محمد بن المستفاض الفريابى ـ حدثنى أبو وهب الوليد بن عبد

---

(١) فى م: «الأمة».
(٢) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٦٥١) من حديث عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه.
(٣) المسند (٤/٣١٩).
(٤) فى م: «هو محتاج». (٥) فى أ: «آخره». (٦) فى أ: «هاشم».
(٧) فى هـ وبقية النسخ: «يزيد» والتصويب من المعجم الكبير.
(٨) المعجم الكبير (٣/٢٩٧) وفى إسناده محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف لم يسمع من أبيه.
(٩) زيادة من أ. (١٠) زيادة من م.

الملك بن عبيد الله[١] بن مُسَرَّح الحرَّانى، حدثنا سليمان بن عطاء القرشى الحرانى، عن مسلمة[٢] ابن عبد الله الجهنى، عن عمه أبى مَشْجعة بن رِبْعِى، عن ابن زَمْل الجهنى، رضى الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح قال، وهو ثان رجله: «سبحان الله وبحمده. أستغفر الله، إن الله كان توابا» سبعين مرة، ثم يقول: «سبعين بسبعمائة، لا خير لمن كانت ذنوبه فى يوم واحد أكثر من سبعمائة». ثم يقول ذلك مرتين، ثم يستقبل الناس بوجهه، وكان يعجبه الرؤيا، ثم يقول: «هل رأى أحد منكم شيئا؟» قال ابن زمل: فقلت: أنا يا رسول الله. فقال: «خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين. اقصص رؤياك». فقلت: رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لا حب، والناس على الجادة منطلقين، فبينما هم كذلك، إذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم تر عينى مثله، يرف رفيفا، يقطر ماؤه، فيه من أنواع الكلأ، قال: وكأنى بالرعلة[٣] الأولى حين أشفوا على المرج كبروا، ثم أكبوا رواحلهم فى الطريق، فلم يظلموه يمينا ولا شمالا. قال: فكأنى أنظر إليهم منطلقين. ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافا، فلما أشفوا على المرج كبروا، ثم أكبوا رواحلهم فى الطريق، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث. ومضوا على ذلك. قال: ثم قدم عظم الناس، فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا: (هذا خير المنزل). كأنى أنظر إليهم يميلون يمينا وشمالا، فلما رأيت ذلك، لزمت الطريق حتى آتى أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت فى أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل أقنى، إذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولا، وإذا عن يسارك رجل ربعة باذ[٤] كثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعره بالماء، إذا هو تكلم، أصغيتم إكراما له. وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها، كلكم تؤمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها. قال: فامتقع لون رسول الله ﷺ ساعة ثم سرى عنه، وقال رسول الله ﷺ: «أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللا حب، فذاك ما حملتم[٥] عليه من الهدى وأنتم عليه. وأما المرج الذى رأيت، فالدنيا[٦] مضيت أنا وأصحابى لم نتعلق منها بشىء، ولم تتعلق منا، ولم نردها ولم تردنا. ثم جاءت[٧] الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافا، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث، ونجوا[٨] على ذلك. ثم جاء عظم الناس، فمالوا فى المرج يمينا وشمالا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأما أنت، فمضيت على طريقة صالحة، فلن تزال عليها حتى تلقانى. وأما المنبر الذى رأيت فيه سبع درجات وأنا فى أعلاها درجة، فالدنيا سبعة آلاف سنة، أنا فى آخرها ألفا. وأما الرجل الذى رأيت على يمينى الآدم الشثل، فذاك موسى، عليه السلام، إذا تكلم، يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه. والذى رأيت عن يسارى الباز الربعة الكثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعرة بالماء، فذاك عيسى ابن مريم، نكرمه لإكرام الله إياه. وأما الشيخ الذى رأيت أشبه الناس بى خلقا ووجها فذاك أبونا إبراهيم، كلنا نؤمه

---

(١) فى م، أ: «عبد الله». (٢) فى م، أ: «مسلم». (٣) فى أ: «وكانوا بالرعلة».
(٤) فى م: «بار». (٥) فى أ: «حملتكم». (٦) فى م، أ: «فالدنيا ونضارة عيشها».
(٧) فى م: «ثم كانت». (٨) فى م: «ثم نجوا».

ونقتدى به. وأما الناقة التى رأيت ورأيتنى أبعثها، فهى الساعة، علينا تقوم، لا نبى بعدى، ولا أمة بعد أمتى». قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل، فيحدثه بها متبرعا[(١)].

وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: قال ابن عباس: أى مرمولة بالذهب، يعنى: منسوجة به. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، وغيره.

وقال السدى: مرمولة بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت. وقال ابن جرير: ومنه سمى وضين الناقة الذى تحت بطنها، وهو فعيل بمعنى مفعول؛ لأنه مضفور، وكذلك السرر فى الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ.

وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ أى: وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أى: مخلدون على صفة واحدة، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾، أما الأكواب، فهى: الكيزان التى لا خراطيم لها ولا آذان. والأباريق: التى جمعت الوصفين. والكؤوس: الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيون سارحة.

وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أى: لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة.

وروى الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: فى الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء والبول. فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال.

وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطية، وقتادة، والسدى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ يقول: ليس لهم فيها صداع رأس.

وقالوا فى قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أى: لا تذهب بعقولهم.

وقوله: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أى: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار.

وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها، ويدل على ذلك حديث «عِكْراش ابن ذؤيب» الذى رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى، رحمه الله، فى مسنده: حدثنا العباس بن الوليد النَرْسِى، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى سوية، حدثنا عبيد الله بن عِكْراش، عن أبيه عِكْراش بن ذؤيب، قال: بعثنى بنو مرة فى صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار، وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطى، قال: «من الرجل؟»

(١) دلائل النبوة (٧/ ٣٦) وفى إسناده سليمان بن عطاء بن قيس، قال ابن حبان فى المجروحين (١/ ٣٢٩): «شيخ يروى عن مسلمة ابن عبد الله الجهنى، عن عمه أبى مشجعة بن ربعى بأشياء موضوعة لا تشبه حديث الثقات، فلست أدرى التخليط فيها منه أو من مسلمة بن عبد الله».

قلت: عِكْراش بن ذؤيب. قال: «ارفع فى النسب»، فانتسبت له إلى «مرة بن عبيد»، وهذه صدقة «مرة بن عبيد». فتبسم رسول الله ﷺ. قال: هذه إبل قومى، هذه صدقات قومى. ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم إليها. ثم أخذ بيدى فانطلقنا إلى منزل أم سلمة، فقال: «هل من طعام؟» فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر، فجعل يأكل منها، فأقبلت أخبط بيدى فى جوانبها، فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدى اليمنى، فقال: «يا عِكْراش، كل من موضع واحد، فإنه طعام واحد». ثم أتينا بطبق فيه تمر، أو رطب ـ شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا ـ فجعلت آكل من بين يدى، وجالت يد رسول الله ﷺ فى الطبق، وقال: «يا عكراش، كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد». ثم أتينا بماء، فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح بِبَلَلِ كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا، ثم قال: «يا عِكْراش، هذا الوضوء مما غيرت النار».

وهكذا رواه الترمذى مطولا وابن ماجه جميعا، عن محمد بن بشار، عن أبى الهذيل العلاء بن الفضل، به[1]. وقال الترمذى: غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد وعفان ـ وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا شيبان ـ قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت، قال: قال أنس: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنى عليه معروف، كان أعجب لرؤياه إليه. فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة، فأدخلت الجنة فسمعت وَجبَة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسَمَّتْ اثنى عشر رجلا، كان النبى ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ ـ أو: البيذخ ـ قال: فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر فأكلوا من بسره ما شاؤوا، فما يقبلونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم. فجاء البشير من تلك السرية، فقال: كان[2] من أمرنا[3] كذا وكذا، وأصيب[4] فلان وفلان. حتى عد اثنى عشر رجلا، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: «قصى رؤياك». فقصتها، وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال.

هذا لفظ أبى يعلى، قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط مسلم[5].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا على بن المدينى، حدثنا ريحان ابن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبى قِلابة، عن أبى أسماء، عن ثوبان، قال: قال

---

(١) سنن الترمذى برقم (١٨٤٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣٢٧٤) وعبيد الله بن عكراش تكلم فيه، وتكلم فى حديثه هذا. قال البخارى: «لا يثبت حديثه» ونقل العقيلى عنه أنه قال: «فى إسناده نظر».

(٢) فى م، أ: «فقال: ما كان». (٣) فى م، أ: «رؤيا».

(٤) فى م، أ: «فأصيب».

(٥) المسند للإمام أحمد (٣/ ١٣٥) ومسند أبى يعلى برقم (٣٢٨٩) (٦/ ٤٤) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٧٥): «رجاله رجال الصحيح».

رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا نزع ثمرة فى الجنة، عادت مكانها أخرى»[١].

وقوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، قال الإمام أحمد:

حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى، حدثنا ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البخت، يرعى[٢] فى شجر الجنة». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال: «أكلتها[٣] أنعم منها ـ قالها ثلاثا ـ وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها». تفرد به أحمد من هذا الوجه[٤].

وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسى فى كتابه «صفة الجنة» من حديث إسماعيل بن على الخُطَبىّ، عن أحمد بن على الخُيُوطى، عن عبد الجبار بن عاصم، عن عبد الله بن زياد، عن زُرْعَة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ذكرت عند النبى ﷺ طوبى، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، هل بلغك ما طوبى؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «طوبى شجرة فى الجنة، ما يعلم طولها إلا الله، يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا، ورقها الحلل، يقع عليها الطير كأمثال البخت». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هناك لطيرا ناعما؟ قال: «أنعم منه من يأكله، وأنت منهم إن شاء الله»[٥].

وقال قتادة فى قوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله، إنى أرى طيرها ناعمة كما أهلها ناعمون. قال: «من يأكلها ـ والله يا أبا بكر[٦]ـ أنعم منها، وإنها لأمثال البخت، وإنى لأحتسب على الله أن تأكل منها[٧] يا أبا بكر»[٨].

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا: حدثنى مجاهد بن موسى، حدثنا مَعْنُ بن عيسى، حدثنى ابن أخى ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال: «نهر أعطانيه ربى، عز وجل، فى الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعنى كأعناق الجزر». فقال عمر: إنها لناعمة. قال رسول الله ﷺ: «آكلها أنعم منها».

وكذا رواه الترمذى عن عبد[٩] بن حميد، عن القَعْنَبى، عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أبيه، عن أنس وقال: حسن[١٠].

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا على بن محمد الطَّنَافِسى، حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله[١١] بن الوليد الوَصَّافى، عن عطية العوفى، عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) المعجم الكبير (٢/ ١٠٢) وفى إسناده عباد متكلم فيه.

(٢) فى م: «ترعى». (٣) فى م، أ: «أكلها».

(٤) المسند (٣/ ٢٢١).

(٥) ورواه ابن مردويه فى تفسيره كما فى الدر المنثور (٤/ ٦٤٩).

(٦) فى م: «يا أبا بكر والله». (٧) فى م: «أن آكل منها».

(٨) وهذا مرسل، وقد روى من طريق الحسن مرسلا أيضا، أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٢/ ١٣).

(٩) فى م: «عبيد» وهو خطأ.

(١٠) سنن الترمذى برقم (٢٥٤٢) وقال فيه: «حسن غريب».

(١١) فى أ: «عبد الله».

«إن فى الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض، فيخرج من كل ريشة ـ يعنى: لونا ـ أبيض من اللبن، وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس منها لون يشبه صاحبه[(١)] ثم يطير»[(٢)].

هذا حديث غريب جدا، والوَصَّافى وشيخه ضعيفان. ثم قال ابن أبى حاتم:

حدثنا أبى، حدثنا عبد الله بن صالح ـ كاتب الليث ـ حدثنى الليث، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن أبى حازم، عن عطاء، عن كعب، قال: إن طائر الجنة أمثال البخت، يأكل[(٣)] مما خلق من ثمرات الجنة، ويشرب[(٤)] من أنهار الجنة، فيصطففن له، فإذا اشتهى منها شيئا أتاه حتى يقع بين يديه، فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شىء. صحيح إلى كعب.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لى رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا»[(٥)].

وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾: قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حور عين. وقراءة الجر تحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون الإعراب على الاتباع بما قبله؛ لقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ. لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ﴾، كما قال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكما قال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. والاحتمال الثانى: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك فى القصور، لا بين بعضهم بعضا، بل فى الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم.

وقوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أى: كأنهن اللؤلؤ الرطب فى بياضه وصفائه، كما تقدم فى «سورة الصافات» ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] وقد تقدم فى سورة «الرحمن» وصفهن أيضا؛ ولهذا قال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أى: هذا الذى أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل.

ثم قال: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا. إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾ أى: لا يسمعون فى الجنة كلاما لاغيا، أى: غثا[(٦)] خاليا عن المعنى، أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف، كما قال: ﴿لا تَسْمَعُ

---

(١) فى أ: «الآخر».
(٢) ورواه هناد فى الزهد برقم (١١٩) حدثنا أبو معاوية به.
(٣) فى م: «يأكلن».
(٤) فى م: «يشربن».
(٥) جزء الحسن بن عرفة برقم (٢٢) وحميد الأعرج منكر الحديث.
(٦) فى م: «عبثا».

فيها لاغية ﴾ [الغاشية:١١] أى : كلمة لاغية ﴿ ولا تأثيما ﴾ أى : ولا كلاماً فيه قبح [(١)] ، ﴿ إلا قيلاً سلامًا سلامًا ﴾ أى : إلا التسليم منهم بعضهم على بعض ، كما قال : ﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ [إبراهيم:٢٣] وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والإثم .

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ (٤٠) ﴾ .

لما ذكر تعالى مآل السابقين ـ وهم المقربون ـ عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين ـ وهم الأبرار ـ كما قال ميمون بن مِهْرَان : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين ، فقال : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ أى : أى شيء أصحاب اليمين ؟ وما حالهم ؟ وكيف مآلهم[(٢)] ؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ . قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وأبو الأحوص ، وقَسَامة بن زُهَير ، والسَّفر بن نُسَير ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن كثير ، والسُّدِّى ، وأبو حَرْزَة ، وغيرهم: هو الذى لا شوك فيه . وعن ابن عباس : هو الموَقَر بالثمر . وهو رواية عن عكرمة ، ومجاهد . وكذا قال قتادة أيضا : كنا نُحَدَّث أنه المُوقَر الذى لا شوك فيه .

والظاهر أن المراد هذا وهذا ؛ فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفى الآخرة على عكس من هذا ، لا شوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذى قد أثقل أصله ، كما قال الحافظ أبو بكر بن سلمان النجّاد .

حدثنا محمد [(٣)] بن محمد هو البغوى ، حدثنى حمزة بن عباس [(٤)] ، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ؛ قال : أقبل أعرابى يوماً فقال : يا رسول الله، ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ؟ فقال رسول الله ﷺ:« وما هى ؟ » . قال :السِّدر ، فإن له شوكاً موذياً ، فقال رسول الله ﷺ : « أليس الله يقول : ﴿ فى سدر مَّخْضُودٍ ﴾ ، خَضَد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبت ثمراً تَفَتَّق الثمرةُ منها عن اثنين [(٥)] وسبعين لوناً من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر » [(٦)] .

طريق أخرى : قال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا محمد بن المصفى ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى ثور بن يزيد ، حدثنى حبيب بن عبيد ، عن عُتْبة بن عبد السلمى

(١) فى م : « قبيحاً » . (٢) فى أ : « وكيف حالهم » . (٣) فى أ : « وحدثنا عبد الله » .
(٤) فى م ، أ :« بن العباس » . (٥) فى أ : « عن مائتى » .
(٦) ورواه الحاكم فى المستدرك (٢ / ٤٧٦) من طريق الربيع ، عن بشر بن بكر ، عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر ، عن أبى أمامة قال : كان أصحاب رسول الله ، فذكر مثله ،وقال الحاكم: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابى فقال : يا رسول الله ، أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها ؟ يعنى : الطلح ، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصْوَة التيس الملبود ، فيها سبعون لوناً من الطعام ،لا يشبه لون آخر» [(١)] .

وقوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ : الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العضَاه ، واحدته طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة [(٢)] :

بَشَّرَها دَليلها وقالا : غَداً تَرينَ الطَّلحَ والجبَالا

قال مجاهد : ﴿ مَنضُودٍ ﴾ أى : متراكم الثمر ، يذكر بذلك قريشاً ؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجّ، وظلاله من طلح وسدر .

وقال السدى: ﴿مَنضُودٍ﴾ : مصفوف . قال ابن عباس : يشبه طلح الدنيا ، ولكن له ثمر أحلى من العسل .

قال الجوهرى : والطلح لغة فى الطلع .

قلت : وقد روى ابن أبى حاتم من حديث الحسن بن سعد ، عن شيخ من همدان قال : سمعت علياً يقول : هذا الحرف فى ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ قال : طلع منضود ، فعلى هذا يكون هذا من صفة السدر ، فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذى لا شوك له ، وأن طلعه منضود ، وهو كثرة ثمره ، والله أعلم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن إدريس ، عن جعفر بن إياس،عن أبى نضرة ،عن أبى سعيد :﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال :الموز .قال:وروى عن ابن عباس،وأبى هريرة،والحسن ، وعكرمة ، وقسامة بن زهير ،وقتادة ، وأبى حَزْرَة ، مثل ذلك ، وبه قال مجاهد، وابن زيد ـ وزاد فقال : أهل اليمن يسمون الموز الطلح .ولم يحك ابن جرير غير هذا القول [(٣)] .

وقوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ : قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ـ يبلُغُ به النبى ﷺ ـ قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ » .

ورواه مسلم من حديث الأعرج ، به [(٤)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيج ، حدثنا فُلَيح ، عن هلال بن على ، عن عبد الرحمن بن أبى عَمْرة ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ » .

---

(١) البعث لابن أبى داود برقم (٦٩) ورواه الطبرانى فى مسند الشاميين برقم (٤٩٢) وعنه أبو نعيم فى الحلية (٦ / ١٠٣) عن أبى زرعة ، عن أبى مسهر ، عن يحيى بن حمزة به ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٤١٤) : « رجاله رجال الصحيح ».

(٢ ، ٣) تفسير الطبرى (٢٧ / ١٠٤) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٨٨١) وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٦) .

وكذا رواه البخارى ، عن محمد بن سِنَان [(١)] ، عن فليح ، به [(٢)] ، وكذا رواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن هَمَّام ، عن أبى هريرة [(٣)] . وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة [(٤)] ، والليث بن سعد ، عن سعيد المَقْبُرِىّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرة [(٥)] ، وعوف ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة [به] [(٦)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبى هُرَيرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين ، أو مائة سنة ، هى شجرة الخلد » [(٧)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سِنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله قال : « فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ » .

إسناد جيد، ولم يخرجوه [(٨)] . وهكذا رواه ابن جرير ، عن أبى كُرَيْب ، عن عبدة وعبد الرحيم، عن محمد بن عمرو ، به . وقد رواه الترمذى، من حديث عبد الرحيم بن سليمان، به [(٩)] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْرَان ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن زياد ـ مولى بنى مخزوم ـ عن أبى هريرة قال : إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ . فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق ، والذى أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد ، لو أن رجلا ركب حِقَّة أو جَذَعة ، ثم دار حول [(١٠)] تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هَرَماً ، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة ، وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة [(١١)] .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا محمد بن مِنْهَال الضرير ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ،عن أنس، عن النبى ﷺ فى قول الله عز وجل: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾، قال : « فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » .

وكذا رواه البخارى ، عن روح بن عبد المؤمن ، عن يزيد بن زُرَيع [(١٢)] ، وهكذا رواه أبو داود

(١) فى هـ : « محمد بن شيبان » والمثبت من م ، أ ، وصحيح البخارى .
(٢) المسند (٢/ ٤٨٢) وصحيح البخارى برقم (٣٢٥٢) .
(٣) المصنف لعبد الرزاق برقم (٢٠٨٧٧) .
(٤) رواه أحمد فى المسند (٢/ ٤٦٩) .
(٥) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٨٢٦) .
(٦) زيادة من م .
(٧) المسند (٢/ ٤٤٥) .
(٨) رواه ابن ماجة فى السنن برقم (٤٣٣٥) من طريق عبد الرحمن بن عثمان ، عن محمد بن عمرو ، به مثله .
(٩) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٠٥) وسنن الترمذى برقم (٣٢٩٢) .
(١٠) فى م : « بأعلى » ، وفى أ : « بأصل » .
(١١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٠٥) .
(١٢) صحيح البخارى برقم (٣٢٥١) .

الطيالسى ، عن عمران بن داوَر القطان ، عن قتادة ، به . وكذا رواه مَعْمَر ، وأبو هلال ، عن قتادة، به . وقد أخرج البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد وسهل بن سعد ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المُضَمَّر السريع مائة عام ما يقطعها »[١] .

فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيده ، وثقة رجاله .

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو حُصَين قال : كنا على باب فى موضع ، ومعنا أبو صالح وشقيق ـ يعنى: الضبى ـ فحدث أبو صالح قال : حدثنى أبو هُرَيرة قال : إن فى الجنة شجرةً يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما . قال أبو صالح : أتكَذّب أبا هريرة ؟ قال : ما أكذّب أبا هريرة ، ولكنى أكذّبك أنت . فشق ذلك على القراء يومئذ[٢] .

قلت : فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفعه إلى رسول الله ﷺ .

وقال الترمذى : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا زياد بن الحسن بن الفُرَات القَزّاز ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبى حازم ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فى الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » . ثم قال : حسن غريب[٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن أبى الربيع ، حدثنا أبو عامر العَقَدى ، عن زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وَهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق ظلها ، قدر ما يسير الراكب فى نواحيها مائة عام . قال : فيخرج إليها أهل الجنة ؛ أهل الغرف وغيرهم ، فيتحدثون فى ظلها . قال : فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا .

هذا أثر غريب ، وإسناده جيد قَوىّ حسن .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن[٤] يمان ، حدثنا سفيان ، حدثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون فى قوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ قال : سبعون ألف سنة . وكذا رواه ابن جرير عن بُنْدَار ، عن ابن مهدى ، عن سفيان ، مثله . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ قال : خمسمائة ألف سنة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ،حدثنا أبو الوليد الطيالسى ، حدثنا حُصَيْن بن نافع ، عن الحسن فى قول الله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ قال : فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٦٥٥٢ ، ٦٥٥٣) وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٧ ، ٢٨٢٨).

(٢) تفسير الطبرى (٢٧/١٠٦) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٢٥٢٥) .

(٤) فى أ : « حدثنا أبو » .

وقال عوف ، عن الحسن : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » . رواه ابن جرير (١) .

وقال شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : فى الجنة شَجَر لا يحمل ، يُستظَلُّ به . رواه ابن أبى حاتم .

وقال الضحاك ، والسدى ، وأبو حَزْرَةَ فى قوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ : لا ينقطع ، ليس فيها شمس ولا حر ، مثل قبل طلوع الفجر .

وقال ابن مسعود : الجنة سَجْسَج ، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وقد تقدمت الآيات كقوله : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ [النساء:٥٧] ، وقوله : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد :٣٥] ،وقوله :﴿ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات:٤١] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ قال الثورى : [يعنى] (٢) يجرى فى غير أخدود .

وقد تقدم الكلام عند (٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ الآية [محمد:١٥] ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أى : وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة فى الألوان ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة:٢٥] أى : يشبه الشكلُ الشكلَ ، ولكن الطعم غيرُ الطعم . وفى الصحيحين فى ذكر سدرة المنتهى قال : « فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلالَ هجر » (٤).

وفيهما أيضاً ،من حديث مالك ، عن زيد ، عن عطاء بن يَسَار ، عن ابن عباس قال : خُسفَت الشمس ،فصلى رسولُ الله ﷺ والناس معه ، فذكر الصلاة . وفيه : قالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك هذا ، ثم رأيناك تكعكعت (٥) . قال : « إنى رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا » (٦) .

وقال الحافظ أبو يعلى :حدثنا أبو خَيْثَمة ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا ابن(٧) عقيل ، عن جابر قال : بينا نحن فى صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبىّ بن كعب : يا رسول الله ، صنعتَ اليومَ

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٠٥) .

(٢) زيادة من م،أ .

(٣) فى م ،أ : « على » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٣٢٠٧) وصحيح مسلم برقم (١٦٢) من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٥) فى أ :« تكفكفت » .

(٦) صحيح البخارى برقم (١٠٥٢) وصحيح مسلم برقم (٩٠٧) .

(٧) فى م ، أ : «حدثنا أبو » .

فى الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه ؟ قال : « إنه عُرِضَتْ علَىَّ الجنة ، وما فيها من الزَّهْرَة والنُّضْرَة ، فتناولت منها قِطْفاً من عنب لآتيكم به ، فحِيلَ بينى وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه »[(١)] .

وروى مسلم ، من حديث أبى الزبير ، عن جابر ، نحوه[(٢)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا على بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا مَعْمَر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن عامر بن زيد البِكَالى : أنه سمع عُتبةَ بن عَبْد السلمى يقول : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال[(٣)] الأعرابى : فيها فاكهة ؟ قال : «نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى » ، فذكر شيئاً لا أدرى ما هو ، قال : أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : « ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك » . فقال النبى ﷺ : « أتيتَ الشام ؟ » قال : لا . قال : « تشبه شجرة بالشام تدعى الجَوزة ، تنبت على ساق واحد ، وينفرش أعلاها » . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : «لو ارتحلت جَذعَة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً » . قال : فيها عنب ؟ قال: « نعم » . قال : فما عظم العنقود ؟ قال : « مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا يفتر » . قال : فما عظَم الحَبَّة ؟ قال : « هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً ؟ » قال : نعم . قال : « فسلخ إهابه فأعطاه أمك ، فقال : اتخذى لنا منه دلواً ؟ » . قال : نعم . قال الأعرابى : فإن تلك الحبة لتشبعنى وأهل بيتى ؟ قال : « نعم وعامَّة عشيرتك »[(٤)] .

وقوله : ﴿ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أى : لا تنقطع شتاء ولا صيفاً ، بل أكلها دائم مستمر أبدا ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شىء .

قال قتادة : لا يمنعهم من تناولها عودٌ ولا شوكٌ ولا بُعدٌ . وقد تقدم فى الحديث : « إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى » .

وقوله : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ أى: عالية وطيئة ناعمة .

قال النسائى وأبو عيسى الترمذى : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا رِشْدِين بن سعد ، عن عَمرو بن الحارث ، عن دَرَّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : « ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام »[(٥)] .

ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه ، إلا من حديث رشدين بن سعد . قال : وقال بعض أهل العلم : معنى هذا الحديث : ارتفاع الفرش فى الدرجات ، وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض .

---

(١) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية :٣٥ من سورة الرعد.

(٢) تقدم الحديث فى الموضع السابق .

(٣) فى م : « فقال » .

(٤) المسند (٤/ ١٨٤) .

(٥) سنن الترمذى برقم (٢٥٤٠) ووقع فيه :« هذا حديث غريب لا نعرفه »ليس فيه : « حسن » وكذا وقع فى تحفة الأشراف .

هكذا قال : إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد ، وهو المصرى ، وهو ضعيف . وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير ، عن أبى كُرَيْب ، عن رشدين [١] . ثم رواه هو وابن أبى حاتم ، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، فذكره . وكذا رواه ابن أبى حاتم أيضاً عن نُعَيم بن حماد ، عن ابن وهب . وأخرجه الضياء فى صفة الجنة من حديث حرملة، عن ابن وهب ، به مثله . ورواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى ، عن ابن لَهِيعة ، حدثنا دراج ، فذكره [٢] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية، عن جُوَيبر ، عن أبى سهل ـ يعنى : كثير بن زياد ـ عن الحسن : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا . لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ : جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دل السياق ، وهو ذكر الفرش ، على النساء اللاتى يضاجعن فيها ، اكتفى بذلك عن ذكرهن ، وعاد الضمير عليهن ، كما فى قوله : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص:٣١ ، ٣٢] يعنى : الشمس ، على المشهور من قول المفسرين .

قال الأخفش فى قوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ : أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك . وقال أبو عبيدة : ذكرن فى قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ٢٢ ، ٢٣] .

فقوله : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ أى : أعدناهن فى النشأة الآخرة بعدما كُنّ عجائز[٣] رُمْصاً ، صرن أبكاراً عرباً ، أى : بعد الثّيوبة عدن أبكاراً عُرُباً ، أى : متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة .

وقال بعضهم : ﴿ عُرُبًا﴾ أى : غَنِجات .

قال موسى بن عُبَيدة الرّبَذىّ ، عن يزيد الرّقاشى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ ، قال : « نساء عجائز كُنّ فى الدنيا عُمْشاً رُمْصاً » . رواه الترمذى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم . ثم قال الترمذى : غريب ، وموسى ويزيد ضعيفا [٤] [٥] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصى ، حدثنا آدم ـ يعنى : ابن أبى إياس ـ حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن يزيد بن مُرّة ، عن سلمة بن يزيد قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول فى قوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ يعنى : « الثيب والأبكار اللاتى كُنّ فى الدنيا » [٦] .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٠٦) .
(٢) المسند (٣/ ٧٥) .
(٣) فى أ : « ماكن عجاف ». (٤) فى أ : « ضعيفان » .
(٥) سنن الترمذى برقم (٣٢٩٦) وتفسير الطبرى (٢٧/ ١٠٧) .
(٦) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٧/ ٤٠) وأبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٣٨٩) من طريق شيبان به ، وجابر بن يزيد ضعيف .

وقال عبد بن حُمَيد : حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : أتت عجوز فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يدخلنى الجنة . فقال : « يا أم فلان ، إن الجنة لا تدخلها عجوز » . قال : فَوَلَّتْ تبكى ، قال : « أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ » .

وهكذا رواه الترمذى فى الشمائل ، عن عبد بن حميد [(١)] .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا بكر بن سهل الدمياطى ، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتى ، حدثنا سليمان بن أبى كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن قول الله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة:٢٢]، قال : «حور :بيض، عين : ضخام العيون ، شُفْر الحوراء بمنزلة جناح النسر » . قلت : أخبرنى عن قوله ﴿ كَأَمْثَالِ [(٢)] اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٣] ،قال:« صفاؤهن صفاءُ الدر الذى فى الأصداف ، الذى لم تَمَسّه الأيدى ». قلت : أخبرنى عن قوله : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠] . قال : « خَيّرات الأخلاق ، حسان الوجوه » . قلت : أخبرنى عن قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات: ٤٩] ، قال : «رقتهن كرقة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلى القشر ، وهو : الغِرْقِىءُ » . قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن قوله :﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾. قال:«هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رُمْصاً شُمطاً ، خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى عُرُباً متعشقات متحببات ، أترابا على ميلاد واحد». قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظّهارة على البطانة » . قلت : يا رسول الله ، وبم ذاك ؟ قال : « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ، عز وجل ، ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان، خضر الثياب ، صفر الحلى ، مَجَامِرُهن الدُّرّ ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً ، طوبى لمن كُنَّا له وكان لنا » . قلت : يا رسول الله ، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال : « يا أم سلمة ، إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقاً ، فتقول : يا رب ، إن هذا كان أحسن خلقاً معى فزوجنيه، يا أم سلمة[(٣)] ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » [(٤)] .

وفى حديث الصور الطويل المشهور [(٥)] : أن رسول الله ﷺ يشفع للمؤمنين كلهم فى دخول الجنة فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم فى دخولها . فكان رسول الله ﷺ يقول : « والذى بعثنى بالحق ، ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ،

---

(١) الشمائل المحمدية للترمذى برقم (٢٣٠) .

(٢) فى أ : « كأنهن» وهو خطأ .

(٣) فى أ :« يا أم سليم» .

(٤) المعجم الكبير (٢٣/٣٦٨) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١١٩) : « فيه إسماعيل بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدى » .

(٥) حديث الصور مضى عند تفسير الآية :٧٣ من سورة الأنعام .

فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة ، سبعين مما ينشئ الله ، وثنتين من ولد [1] آدم ، لهما فضل على من أنشأ الله ، بعبادتهما الله فى الدنيا ، يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوتة ، على سرير من ذهب مُكَلَّل باللؤلؤ ، عليه سبعون زوجاً من سُنْدُس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة ـ يعنى : وكبدها له مرآة ـ فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذَكَره ولا تشتكى قُبُلها إلا أنه لا منى ولا مَنِيَّة ، فبينما هو كذلك إذ نودى : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أن لك أزواجاً غيرها ، فيخرج ، فيأتيهن واحدة واحدة [2] ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما فى الجنة شيء أحسن منك ، وما فى الجنة شيء أحب إلىّ منك » .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، عن ابن حُجَيرة [3] ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال له : أَنَطأ فى الجنة ؟ قال : « نعم والذى نفسى بيده ، دَحْماً، دحماً ، فإذا قام عنها رَجَعت مُطهَّرة بكراً » [4] .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادى ، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيق الواسطى ، حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطى ، حدثنا شريك ، عن عاصم الأحول ، عن أبى المتوكل،عن أبى سعيد قال:قال رسول الله ﷺ:« إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً» [5] .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى النساء » . قلت : يا رسول الله ، ويُطيق ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة » .

ورواه الترمذى من حديث أبى داود وقال : صحيح غريب [6] .

وروى أبو القاسم الطبرانى من حديث حُسين بن على الجعفى ، عن زائدة ، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل إلى نسائنا فى الجنة ؟ قال : « إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء » [7] .

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى : هذا الحديث عندى على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ عُرُبًا﴾ : قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعنى متحببات إلى أزواجهن ، ألم تر إلى الناقة الضبعة ، هى كذلك .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : العُرُب : العواشق لأزواجهن ، وأزواجهن لهن عاشقون . وكذا قال عبد الله بن سَرْجس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو العالية ، ويحيى بن أبى كثير ، وعطية ،

---

(١) فى م : «من ابن» . (٢) فى م : « واحدة بعد واحدة » . (٣) فى أ : « عن ابن حجرة » .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه برقم (٢٦٣٣) « موارد » وأبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٣٩٣) من طريق ابن وهب به ، ودراج متكلم فيه.

(٥) المعجم الصغير (١/ ٩١) وفيه معلى بن عبد الرحمن وهو كذاب .

(٦) مسند الطيالسى برقم (٢٠١٢) وسنن الترمذى برقم (٢٥٣٦) .

(٧) المعجم الصغير (٢/ ١٢، ١٣) .

والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقال ثور بن زيد ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ عُرُبًا ﴾ قال : هى الملِقَةُ لزوجها .

وقال شعبة ، عن سِمَاك ، عن عكرمة : هى الغَنِجة .

وقال الأجلح بن عبد الله ، عن عكرمة : هى الشَّكِلة .

وقال صالح [١] بن حيَّان ، عن عبد الله بن بريدة فى قوله : ﴿ عُرُبًا ﴾ قال : الشكلة بلغة أهل مكة ، والغنجة [٢] بلغة أهل المدينة .

وقال تميم بن حذلم : هى حسن التَّبعل .

وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : العُرُب : حسنات الكلام .

وقال ابن أبى حاتم : ذكر عن سهل بن عثمان العسكرى : حدثنا أبو على ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ عُرُبًا ﴾ قال : « كلامهن عربى » .

وقوله : ﴿ أَتْرَابًا ﴾ : قال الضحاك ، عن ابن عباس يعنى: فى سن واحدة ،ثلاث وثلاثين سنة .

وقال مجاهد : الأتراب : المستويات . وفى رواية عنه : الأمثال . وقال عطية : الأقران . وقال السدى : ﴿أَتْرَابًا﴾ أى : فى الأخلاق المتواخيات بينهن ، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد ، يعنى : لا كما كن ضرائر [فى الدنيا] [٣] ضرائر متعاديات .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن الكهف ، عن الحسن ومحمد : ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قالا : المستويات الأسنان ، يأتلفن جميعاً ، ويلعبن جميعاً .

وقد روى أبو عيسى الترمذى ، عن أحمد بن منيع ، عن أبى معاوية ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن على ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لمجتمعاً للحور العين ، يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن [٤] : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكُنَّا له » . ثم قال : هذا حديث غريب [٥] .

وقال الحافظ أبو[٦] يعلى : حدثنا أبو خَيْثَمة ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن فلان بن عبد الله بن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الحور العين ليغنين [٧] فى الجنة ، يقلن : نحن خيِّرات حسان ، خبئنا لأزواج كرام » [٨] .

---

(١) فى أ : « أبو صالح » . (٢) فى م : « والمفتوجة » . (٣) زيادة من م . (٤) فى م ، أ : « قال : قلن » .
(٥) سنن الترمذى برقم (٢٥٦٤) .
(٦) فى هـ : « ابن » ، والصواب ما أثبتناه من م، أ . (٧) فى م : « ليتغنين » .
(٨) ذكره الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية (٤٠٢/٤) وعزاه لأبى يعلى ، ونقل المحقق قول البصيرى : « رواه أبو يعلى وفيه راوٍ لم يسم » . ورواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة برقم (٢٥٤): حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن ابن عبد الله بن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس بن مالك به .

قلت : إسماعيل بن عُمَر هذا هو أبو المنذر الواسطى أحد الثقات الأثبات . وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحَيْم ، عن ابن أبى فُدَيْك ، عن ابن أبى ذئب ، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع ، عن ابن لأنس ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الحور العين يغنين فى الجنة : نحن الجوار الحسان ، خلقنا لأزواج كرام »[١] .

وقوله : ﴿ **لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ أى: خلقنا لأصحاب اليمين ، أو : ادخرن لأصحاب اليمين ، أو: زوجن لأصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : ﴿ **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ ، فتقديره : أنشأناهن لأصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير[٢] .

رُوى عن سليمان الدّارانى ـ رحمه الله ـ قال : صليتُ ليلة ، ثم جلست أدعو ، وكان البردُ شديداً ، فجعلت أدعو بيد واحدة ، فأخذتنى عينى فنمت ، فرأيت حوراء لم ير مثلها وهى تقول : يا أبا سليمان ، أتدعو بيد واحدة وأنا أغذّى لك فى النعيم من خمسمائة سنة !

قلت : ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ **لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ متعلقاً بما قبله ، وهو قوله : ﴿ **أَتْرَابًا . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ أى : فى أسنانهم . كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم ، من حديث جرير ، عن عُمَارة بن القعقاع ، عن أبى زُرْعَةَ ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دُرّىّ فى السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألُوّة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خَلْقِ رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة ـ وروى الطبرانى، واللفظ له ، من حديث حماد بن سلمة ـ عن على بن زيد بن جُدْعَان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرداً مُرداً بيضاً جِعَاداً مُكَحّلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع »[٤] .

وروى الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى ، عن عمران القطان ، عن قتادة ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ، عن مُعَاذ بن جَبَل ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « يدخل أهل الجنةِ الجنةَ جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين ، أو ثلاث وثلاثين سنة » . ثم قال : حسن غريب[٥] .

---

(١) ورواه أبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٤٣٢) من طريق دحيم به ، ورواه البيهقى فى البعث برقم (٤٢٠) من طريق ابن عبد الحكم ، وابن أبى داود فى البعث برقم (٧٥) عن كثير بن عبيد كلاهما عن ابن أبى فديك به نحوه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط برقم (٤٨٨٧) « مجمع البحرين» من طريق الحسن بن داود عن ابن أبى فديك ، عن ابن أبى ذئب ، عن عون بن الخطاب ، عن أنس به نحوه. قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤/٢٢٦) : « رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وإسناده مقارب ، ورواه البيهقى عن ابن لأنس لم يسمه عن أنس » وأشار البخارى إلى اختلاف فيه فى التاريخ الكبير (٧/١٦) .

(٢) تفسير الطبرى (٢٧/١٠٩) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٣٣٢٧) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣٤) .

(٤) المسند (٢/ ٢٩٥) والمعجم الأوسط برقم (٤٨٩٤) « مجمع البحرين » .

(٥) سنن الترمذى برقم (٢٥٤٥) .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو بن الحارث أنّ درّاجاً أبا السمح حَدّثه عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يُرَدون بنى ثلاث وثلاثين فى الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » .

ورواه الترمذى عن سُوَيد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، به [١] .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنى روّاد ابن الجراح العسقلانى ، حدثنا الأوزاعى ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: « يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ على طول آدم ، ستين ذراعاً بذراع الملك ! على حُسْن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَلون » [٢] .

وقال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا : حدثنا عمر ، عن الأوزاعى ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يبعث [٣] أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثَلاثٍ وثَلاثينَ ، جُرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » [٤] .

وقوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ أى: جماعة من الأولين،وجماعة من الآخرين .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد بن بَشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حُصَين ، عن عبد الله بن مسعود ـ قال : وكان بعضهم يأخذ عن بعض ـ قال : أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه ، فقال : « عُرضت علىّ الأنبياء وأتباعها بأممها ، فيمر علىّ النبى ، والنبى فى العصابة ، والنبى فى الثلاثة ، والنبى ليس معه أحد ـ وتلا قتادة هذه الآية : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود:٧٨] ـ قال : حتى مَرّ علىَّ موسى ابن عمران فى كَبْكَبَة من بنى إسرائيل ، قال : « قلتُ : ربى ، من هذا ؟ . قال : هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه [٥] من بنى إسرائيل » . قال : « قلت : رب ، فأين أمتى ؟ قال : انظر عن يمينك فى الظراب[٦] » . قال : « فإذا وجوه الرجال » . قال : « قال : أرضيت ؟ » . قال : قلت :« قد رضيت ، رب » . قال : انظر إلى الأفق عن يسارك . فإذا وجوه الرجال . قال : أرضيت؟ قلت : « رضيت ، رب ». قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفا ،يدخلون الجنة بغير حساب ». قال : وأنشأ عُكَّاشة بن محْصَن من بنى أسد ـ قال سعيد : وكان بَدْرياً ـ قال : يا نبى الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : فقال : « اللهم اجعله منهم ».قال : أنشأ [٧] رجل آخر، قال : يا نبى الله، ادع الله

---

(١) سنن الترمذى برقم (٢٥٦٢) ورواه من طريق ابن وهب، وأبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٢٥٩) .

(٢) صفة الجنة لابن أبى الدنيا برقم (٢١٥) .

(٣) فى أ : « يدخل » .

(٤) البعث لابن أبى داود برقم (٦٤) وانظر كلام المحقق الفاضل فى سماع هارون بن رئاب عن أنس .

(٥) فى م : « ومن تبعه » . (٦) فى م ،أ : « الضراب» . (٧) فى م : « ثم أنشأ » .

أن يجعلنى منهم . فقال : « سبقك بها عكاشة » . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فإن استطعتم ـ فداكم أبى وأمى ـ أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا ، وإلا فكونوا [١] من أصحاب الظراب[٢]، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق ، فإنى قد رأيت ناساً كثيراً قد تأشَّبوا حوله » [٣] . ثم قال : « إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » . فكبرنا ، ثم قال : « إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » . قال : فكبرنا ، قال : « إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » . قال : فكبرنا . ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾. قال : فقلنا بيننا : من هؤلاء السبعون ألفاً ؟ فقلنا :هم الذين ولدوا فى الإسلام ، ولم يشركوا . قال : فبلغه ذلك ، فقال: « بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » .

وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين ، عن قتادة ، به نحوه [٤] . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه فى الصحاح وغيرها .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهْرَان ، حدثنا سفيان ، عن أبان بن أبى عياش ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ قال : قال رسول الله ﷺ « هُمَا جميعاً من أمتى » [٥] .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) ﴾ .

لما [٦] ذكر تعالى حال أصحاب اليمين ، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال،فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ أى : أى شىء هم أصحاب الشمال ؟ ثم فَسَّر ذلك فقال : ﴿فِى سَمُومٍ﴾ وهو : الهواء الحار ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ وهو : الماء الحار ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ : قال ابن عباس : ظل الدخان . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسُّدِّى ، وغيرهم . وهذه كقوله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ . انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلاثِ شُعَبٍ . لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ .

---

(١) فى م :« ولا تكونوا ». (٢) فى أ : « الضراب » . (٣) فى م : « حوالهم » .

(٤) تفسير الطبرى (٢٧/١٠٩) .

(٥) تفسير الطبرى (٢٧/ ١١٠) ورواه ابن عدى فى الكامل (١/ ٣٨٧) من طريق محمد بن كثير ، عن سفيان الثورى ، عن أبان بن أبى عياش به ،وقال ابن عدى :« أبان بن أبى عياش له روايات غير ما ذكرت ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه » .

(٦) فى م : « ولما » .

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات:٢٩ـ٣٤] ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ** ﴾ وهو الدخان الأسود ﴿ **لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ** ﴾ أى : ليس طيب الهبوب ولا حَسَن المنظر ، كما قال الحسن وقتادة : ﴿ **وَلا كَرِيمٍ** ﴾ أى : ولا كريم المنظر . وقال الضحاك : كل شراب ليس بعذب فليس بكريم .

وقال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة فى النفى ، فيقولون : « هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم ، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم ، وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة » .

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ** ﴾ أى : كانوا فى الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم ، لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل .

﴿ **وَكَانُوا يُصِرُّونَ** ﴾ أى : يُصَمّمون ولا ينوون توبة ﴿ **عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ** ﴾ وهو الكفر بالله ، وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله .

قال ابن عباس : ﴿ **الْحِنثِ الْعَظِيمِ** ﴾ : الشرك . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدى ، وغيرهم .

وقال الشعبى : هو اليمين الغموس .

وكانوا يقولون : ﴿ **أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ** ﴾ ؟ يعنى : أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه ، قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ أى : أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بنى آدم سيجمعون إلى عَرَصات القيامة ، لا نغادر منهم أحداً ، كما قال : ﴿ **ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** ﴾ [هود:١٠٣ـ ١٠٥] . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ أى : هو موقت بوقت مُحَدد ، لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا يزيد ولا ينقص .

﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ** ﴾ : وذلك أنهم يقبضون ويُسجَرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم ، حتى يملؤوا منها بطونهم ، ﴿ **فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ** ﴾ وهى الإبل العطاش ، واحدها أهيم ، والأنثى هيماء ، ويقال : هائم وهائمة .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة : الهيم : الإبل العطاش الظماء .

وعن عكرمة أنه قال : الهيم : الإبل المراض ، تمص الماء مصاً ولا تَرْوَى .

وقال السدى : الهيم : داء يأخذ الإبل فلا تَرْوى أبداً حتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً .

وعن خالد بن معدان : أنه كان يكره أن يشرب شُرْبَ الهيم عَبَّة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثاً .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أى : هذا الذى وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال فى حق المؤمنين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف:١٠٧] أى : ضيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ .

يقول تعالى مُقرراً للمعاد [1] ، ورداً على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد ، من الذين قالوا : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات:١٦] ، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أى: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذى قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى ؛ فلهذا قال : ﴿ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ﴾ أى : فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ أى : أنتم تقرونه فى الأرحام وتخلقونه فيها ، أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ أى : صرفناه بينكم .

وقال الضحاك : ساوى فيه بين أهل السماء والأرض .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أى : وما نحن بعاجزين ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ﴾ أى : نغير خلقكم يوم القيامة ، ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ أى : من الصفات والأحوال .

ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾ أى : قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة ـ وهى البَداءة ـ قادر على النشأة الأخرى ، وهى الإعادة بطريق الأولى والأحرى ، وكما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧] ،وقال: ﴿ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم:٦٧] ، وقال: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٧ـ ٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ .أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ [القيامة:٣٦ـ ٤٠] .

---

(١) فى أ : « للعباد » .

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) ﴾ .

يقول : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُون** ﴾ ؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ، ﴿ **أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ** ﴾ ؟ أى : تنبتونه فى الأرض ﴿ **أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾ أى : بل نحن الذين نقره قراره وننبته فى الأرض .

قال ابن جرير : وقد حدثنى أحمد بن الوليد القرشى ، حدثنا مسلم بن أبى مسلم الجَرْمى ، حدثنا مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقولن : زرعتُ ، ولكن قل : حرثتُ » ، قال أبو هريرة : ألم تسمع إلى قوله : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾ .

ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم ، عن مسلم الجميع ، به [(١)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن : لا تقولوا : زرعنا ، ولكن قولوا : حرثنا .

وروى عن حُجْر المدَرِىّ أنه كان إذا قرأ : ﴿ **أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾ وأمثالها ، يقول : بل أنت يا رب .

وقوله : ﴿ **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا** ﴾ أى : نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا ، وأبقيناه لكم رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطاماً ، أى : لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده ، ﴿ **فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ** ﴾ . ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ **إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ** ﴾ أى : لو جعلناه حطاماً لظَلْتُم تفكهون فى المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : ﴿ **إِنَّا لَمُغْرَمُونَ** ﴾ أى : لَمُلْقَون .

وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لمولع بنا . وقال قتادة : معذبون . وتارة تقولون : بل نحن محرومون .

وقال مجاهد أيضاً : ﴿ **إِنَّا لَمُغْرَمُونَ** ﴾ ملقون للشر ، أى : بل نحن مُحَارَفون ، قاله قتادة ، أى: لا يثبت لنا مال ، ولا ينتج لنا ربح .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١١٤) ورواه ابن حبان فى صحيحه برقم (١١٣٥) والبيهقى فى السنن الكبرى (٦/ ١٣٨) من طريق مسلم بن أبى مسلم الجرمى ، عن مخلد بن الحسين به نحوه ، وضعفه السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٢٣) وأشار البيهقى إلى ضعفه فقال بعد أن ذكره من قول مجاهد : « وقد روى فيه حديث مرفوع غير قوى » .

وقال مجاهد : ﴿ **بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ** ﴾ أى : محدودون ، يعنى : لا حظ لنا .

قال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ **فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ** ﴾ : تعجبون . وقال مجاهد أيضاً : ﴿ **فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ** ﴾ : تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم .

وهذا يرجع إلى الأول ، وهو التعجب من السبب الذى من أجله أصيبوا فى مالهم . وهذا اختيار ابن جرير [١] .

وقال عكرمة : ﴿ **فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ** ﴾ : تلاومون . وقال الحسن ، وقتادة ، والسدى : ﴿ **فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ** ﴾ : تندمون . ومعناه إما على ما أنفقتم ، أو على ما أسلفتم من الذنوب .

قال الكسائى [٢] : تفكه من الأضداد ، تقول العرب : تفكهت بمعنى تنعمت ، وتفكهت بمعنى حزنت .

ثم قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ** ﴾ يعنى: السحاب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد. ﴿ **أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُون** ﴾ يقول : بل نحن المنزلون. ﴿ **لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا** ﴾ أى : زُعاقاً مُرّا لا يصلح لشرب ولا زرع ، ﴿ **فَلَوْلا تَشْكُرُونَ** ﴾ أى : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً ! ﴿ **لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل: ١٠، ١١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة ، حدثنا فُضَيل بن مرزوق ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، عن النبى ﷺ : أنه إذا شرب الماء قال : « الحمد لله الذى سقاناه عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا » [٣] .

ثم قال : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ** ﴾ أى : تقدحون من الزناد ، وتستخرجونها [٤] من أصلها ، ﴿ **أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ** ﴾ أى : بل نحن الذين جعلناها مودعة فى موضعها ، وللعرب شجرتان ، إحداهما : المرخ ، والأخرى : العَفَار ، إذا أخذ منهما غصنان أخضران ، فحُك أحدهما بالآخر ، تناثر من بينهما شرر النار .

وقوله : ﴿ **نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً** ﴾ : قال مجاهد ، وقتادة : أى تُذَكِّر النارَ الكبرى .

قال قتادة : ذكر لنا رسول الله ﷺ قال : « يا قوم ، ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » . قالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية ! قال : « قد ضُربت بالماء ضربتين ـ أو : مرتين ـ حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها » [٥] .

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١١٥) .

(٢) فى أ : « قال السدى » .

(٣) وهذا مرسل ، وعزاه الهندى فى كنز العمال (٧/ ١١١) إلى أبى نعيم فى الحلية .

(٤) فى م: « وتستخرجون » .

(٥) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٧/ ١١٧) .

وهذا الذى أرسله قتادة رواه الإمام أحمد فى مسنده ، فقال :

حدثنا سفيان ، عن أبى الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » [(١)] .

وقال الإمام مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ». فقالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية. فقال : « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » .

رواه البخارى من حديث مالك ، ومسلم من حديث أبى الزناد [(٢)] ، ورواه مسلم ، من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر عن همام ، عن أبى هريرة ، به [(٣)] . وفى لفظ : « والذى نفسى بيده ، لقد فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حرها » .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا مَعْن بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عمه أبى السهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد سواداً من [دخان] [(٤)] ناركم هذه بسبعين ضعفاً » [(٥)] .

قال الضياء المقدسى : وقد رواه ابن [(٦)] مصعب ، عن مالك ولم يرفعه ، وهو عندى على شرط الصحيح .

وقوله : ﴿ وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر بن عربى : معنى ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : المسافرين ، واختاره ابن جرير ، وقال : ومنه قولهم : « أقوت الدار إذا رحل أهلها » .

وقال غيره : القِىّ والقَوَاء : القفر الخالى البعيد من العمران .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقوى هنا الجائع .

وقال ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد : ﴿ وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : للحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار . وكذا روى سفيان ، عن جابر الجعفى ، عن مجاهد .

وقال ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : المستمتعين ، الناس أجمعين . وكذا ذكر عن عكرمة .

---

(١) المسند (٢/ ٢٤٤) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٣٢٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .

(٤) زيادة من المعجم الأوسط للطبرانى .

(٥) المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٣) «مجمع البحرين » .

(٦) فى م ، أ : « وقد رواه أبو » .

وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادى من غنى وفقير الكل[١] محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع . ثم من لطف الله تعالى أن أودعها فى الأحجار ، وخالص الحديد ، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك فى متاعه وبين ثيابه ، فإذا احتاج إلى ذلك فى منزله أخرج زنده وأورى ، وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستأنس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات . فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاماً فى حق الناس كلهم . وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبى خِداش حَبَّان بن زَيد الشَّرعَبى الشَّامى ، عن رجل من المهاجرين من قَرَن ، أن رسول الله ﷺ قال : « المسلمون شركاء فى ثلاثة : النار والكلأ والماء » [٢] .

وروى ابن ماجة بإسناد جيد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يُمنعن : الماء والكلأ والنار » [٣] .

وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة: «وثمنه حرام» [٤]،ولكن فى إسناده «عبد الله ابن خِراشَ بن حَوْشب » وهو ضعيف ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أى : الذى بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة : الماء العذب الزلال البارد ، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المغرقة . وخلق النار المحرقة ، وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم فى معاش دنياهم ، وزاجراً لهم فى المعاد .

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) ﴾ .

قال جُوَيبر ، عن الضحاك: إن الله لا يقسم بشىء من خلقه ،ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه .

وهذا القول ضعيف . والذى عليه الجمهور أنه قسم من الله عز وجل ، يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته. ثم قال بعض المفسرين: « لا » هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم. ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير . ويكون جوابه : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وقال آخرون : ليست « لا » زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها فى أول القسم إذا كان مقسماً به على منفى ، كقول عائشة ، رضى الله عنها : « لا ، والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط» وهكذا هاهنا تقدير الكلام : « لا ، أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم فى القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم » .

---

(١) فى م ،أ :« الجميع » .

(٢) المسند (٥/ ٣٦٤) وسنن أبى داود برقم (٣٤٧٧) .

(٣) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٧٣) .

(٤) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٧٢) .

وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ ﴾ : فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم .

واختلفوا فى معنى قوله : ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ، فقال حكيم بن جُبَير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، يعنى : نجوم القرآن ؛ فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مُفَرقا [١] فى السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : نزل القرآنُ جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السَّفَرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا ، فنجَّمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة ، فهو قوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ : نجوم القرآن .

وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والسدى ، وأبو حَزْرَة .

وقال مجاهد أيضا : ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ فى السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن ، وقتادة ، وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواقعها : منازلها . وعن الحسن أيضاً : أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة . وقال الضحاك : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ يعنى بذلك : الأنواء التى كان أهل الجاهلية إذا مُطِروا قالوا : مطرنا بنوء كذا وكذا .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ أى : وإن هذا القسم الذى أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون[٢] عظمته لعظمتم المقسم به عليه ، ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ أى : إن هذا القرآن الذى نَزَل على محمد لكتاب عظيم . ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ أى : معظم فى كتاب معظم محفوظ موقر .

قال ابن جرير : حدثنى إسماعيل بن موسى [٣] ، أخبرنا شريك ، عن حكيم ـ هو ابن جبير ـ عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال : الكتاب الذى فى السماء .

وقال العَوفى ، عن ابن عباس : ﴿ [لا يَمَسُّهُ] [٤] إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعنى : الملائكة . وكذا قال أنس، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، والضحاك ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو نَهِيك، والسدى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، حدثنا مَعْمَر ، عن قتادة : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما فى الدنيا فإنه يمسه المجوسى النجس، والمنافق الرجس . وقال : وهى فى قراءة ابن مسعود : ﴿ ما يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ .

وقال أبو العالية : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ : ليس أنتم أصحاب الذنوب .

وقال ابن زيد: زَعَمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين،فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال : ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ

(١) فى أ : « متفرقاً » .
(٢) فى أ : « لو علمتم » .
(٣) فى م ، أ : « موسى بن إسماعيل » .
(٤) زيادة من م .

لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢] .

وهذا القول قول جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التى قبله .

وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

وقال آخرون : **﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾** أى : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب ، قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روى مسلم عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو[1] . واحتجوا فى ذلك بما رواه الإمام مالك فى موطئه ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم : أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم : ألا يمس القرآن إلا طاهر[2] . وروى أبو داود فى المراسيل ، من حديث الزهرى قال : قرأت فى صحيفة عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن رسول الله ﷺ قال : « ولا يمس القرآن إلا طاهر » [3] .

وهذه وِجَادةٌ جيدة . قد قرأها الزهرى وغيره ، ومثل هذا ينبغى[4] الأخذ به . وقد أسنده الدارقطنى عن عمرو بن حزم ، وعبد الله بن عمر ، وعثمان بن أبى العاصى ، وفى إسناد كل منها نظر[5] ، والله أعلم .

وقوله : **﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾** أى : هذا القرآن منزل من [الله] [6] رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذى لا مِرْية فيه ، وليس وراءه حق نافع .

وقوله : **﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾** : قال العَوفى ، عن ابن عباس : أى مكذبون غير مصدقين . وكذا قال الضحاك ، وأبو حَزْرة ، والسُّدِّى .

وقال مجاهد : **﴿ مُّدْهِنُونَ ﴾** أى : تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم .

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ : قال بعضهم : يعنى : وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون ، أى : تكذبون بدل الشكر .

وقد روى عن على وابن عباس أنهما قرآها : «وتجعلون شكركم [7] أنكم تكذبون» كما سيأتى .

وقال ابن جرير : وقد ذكر عن الهيثم بن عدى : أن من لغة أزد شَنوءَةَ : ما رزق فلان بمعنى : ما شكر فلان .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن أبى

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٦٩) وهو أيضاً فى صحيح البخارى برقم (٢٩٩٠) .

(٢) الموطأ (١/ ١٩٩) .

(٣) المراسيل برقم (٢٥٧) .

(٤) فى أ : « لا ينبغى » .

(٥) سنن الدارقطنى (١/ ١٢١، ١٢٢) .

(٦) زيادة من أ .

(٧) فى أ : « بشكركم » .

عبد الرحمن، عن علي ، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿وَتجعَلون رِزْقَكُمْ﴾ ، يقول: « شكركم ﴿ أَنَكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، تقولون: مطرنا بِنَوء كذا وكذا ،بنجم كذا وكذا» [١] .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن مُخَوَّل [٢] بن إبراهيم النهدى ـ وابن جرير ، عن محمد بن المثنى ، عن عبيد الله بن موسى ، وعن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن أبي بُكَيْر ، ثلاثتهم عن إسرائيل ، به مرفوعاً [٣]. وكذا رواه الترمذى عن أحمد بن مَنِيع، عن حسين بن محمد ـ وهو المروزى ـ به ، وقال: « حسن غريب ». وقد رواه سفيان عن عبد الأعلى ، ولم يرفعه [٤] .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : ما مُطِر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً ، يقولون : مُطِرْنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس : « وتجعلون شكركم أنكم تكذبون » .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

وقال مالك في الموطأ ، عن صالح بن كَيْسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن زيد بن خالد الجُهَنّى أنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . « قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » .

أخرجاه في الصحيحين ، وأبو داود ، والنسائى ، كلهم من حديث مالك ، به [٥] .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن سلمة المرادى وعَمْرو بن سَوّاد ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، أن أبا يونس حَدّثه عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزلُ الغيث ، فيقولون : بكوكب كذا وكذا » .

تَفرّدَ به مسلم من هذا الوجه [٦] .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله لَيُصْبحُ القومَ بالنعمة أو يُمسيهم بها ، فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مُطِرنا بنوء كذا وكذا » .

---

(١) المسند (١/١٠٨) .

(٢) فى أ : « عن محمد ».

(٣) تفسير الطبرى (٢٧/١١٩) .

(٤) سنن الترمذى برقم (٣٢٩٥) .

(٥) الموطأ (١/ ١٩٢) وصحيح البخارى برقم (٨٤٦) وصحيح مسلم برقم (٧١) وسنن أبى داود برقم (٣٩٠٦) وسنن النسائى (٣/ ١٦٤).

(٦) صحيح مسلم برقم (٧٢) .

قال محمد ـ هو ابن إبراهيم ـ : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبى هُرَيرة ، وقد أخبرنى من شهد عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وهو يستسقى ، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال : يا عباس ، يا عم رسول الله ، كم بقى من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء يزعمون أنها تعترض فى الأفق بعد سقوطها سبعاً . قال : فما مضت سابعة حتى مُطِروا (١) .

وهذا مَحمول على السؤال عن الوقت الذى أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر ، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه فى نزول المطر ؛ فإن هذا هو المنهى عن اعتقاده . وقد تقدم شىء من هذه الأحاديث عند قوله : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس ، أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ـ أحسبه أو غيره ـ أن رسول الله ﷺ سمع رجلا ـ ومطروا ـ يقول : مطرنا ببعض عَثَانين الأسد . فقال : « كذبت ! بل هو رزق الله » (٢) .

ثم قال ابن جرير: حدثنى أبو صالح الصرارى ،حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدى (٣)، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، عن النبى ﷺ قال : « ما مُطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين » (٤) . ثم قال :« ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ، يقول قائل : مطرنا بنجم كذا وكذا » (٥) .

وفى حديث عن أبى سعيد مرفوعاً : « لو قُحِط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا : مطرنا بنوء المِجْدَح » (٦) .

وقال مجاهد : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ : قال : قولهم فى الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ، يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه . وهكذا قال الضحاك وغير واحد .

وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بئس ما أخذ قوم لأنفسهم ، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب . فمعنى قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ؛ ولهذا قال قبله : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ ﴾ أى : الروح ﴿ الْحُلْقُومَ﴾ أى:الحلق ، وذلك حين الاحتضار،

(١، ٢) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٢٠) .

(٣) فى أ : « الأودى » . (٤) فى أ : « كافرون » وهو خطأ .

(٥) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٢٠) .

(٦) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/ ٧) وابن حبان فى صحيحه برقم (٦٠٦) « موارد » من طريق عمرو بن دينار ، عن عتاب بن حنين، عن أبى سعيد بلفظ :« لو أمسك الله القطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة بها كافرين يقولون : مطرنا بنوء المِجْدح».

كما قال : ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ . وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة:٢٦ ـ ٣٠] ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ أى : إلى المحتضر وما يُكابده من سكرات الموت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ أى : بملائكتنا ﴿ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾ أى : ولكن لا ترونهم . كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ . ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦١، ٦٢] .

وقوله : ﴿ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا ﴾ : معناه : فهلا تَرجعُون هذه النفس التى قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول [1] ، ومقرها فى الجسد إن كنتم غير مدينين .

قال ابن عباس : يعنى محاسبين . ورُوى عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والسدى ، وأبى حَزْرَة ، مثله .

وقال سعيد بن جُبَير ، والحسن البَصْرىّ : ﴿ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : غير مصدقين أنكم تُدانون وتبعثون وتجزون ، فردوا هذه النفس .

وعن مجاهد : ﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : غيرموقنين .

وقال ميمون بن مِهْرَان : غير معذبين مقهورين .

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) ﴾ .

هذه الأحوال الثلاثة هى أحوال الناس عند احتضارهم : إما أن يكون من المقربين [2] ، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين . وإما يكون من المكذبين الضالين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ ﴾ أى : المحتضر ﴿ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات و المكروهات وبعض المباحات ، ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ أى : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، كما تقدم فى حديث البراء : أن ملائكة الرحمة تقول : « أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجى إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان » .

قال على بن طلحة[3] ، عن ابن عباس : ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ يقول : راحة وريحان ، يقول : مستراحة.

---

(١) فى م : «الأولى» . (٢) فى أ : « المقربين العلية » . (٣) فى م ، أ : « على بن أبى طلحة » .

وكذا قال مجاهد : إن الروح : الاستراحة .

وقال أبو حَزْرَة : الراحة من الدنيا . وقال سعيد بن جبير ، والسدى : الروح : الفرح . وعن مجاهد : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ : جنة ورخاء . وقال قتادة : فروح ورحمة[1]. وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير : ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ : ورزق .

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة ، فإن من مات مقرباً حصل له جميعُ ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور والرزق الحسن ، ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ .

وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يُؤتَى بغصن من ريحان الجنة ، فيقبض روحه فيه .

وقال محمد بن كعب : لا يموت أحدٌ من الناس حتى يعلم : أمن أهل الجنة هو أم [من] [2] أهل النار ؟

وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ [فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ] [3] ﴾ [إبراهيم :٢٧] ،ولو كتبت هاهنا لكان حسناً ! ومن جملتها حديث تميم الدارى ، عن النبى ﷺ ، يقول : « يقول الله لملك الموت : انطلق إلى فلان [4] فائتنى به ، فإنه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، ائتنى به فلأريحنه . قال : فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحَنُوط من الجنة ، ومعهم ضَبَائر الريحان، أصل الريحانة واحد وفى رأسها عشرون لوناً ، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك » .

وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم [5] ، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية : قال [6] الإمام أحمد :

حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا هارون ، عن بُدَيل بن ميسرة [7] ، عن عبد الله بن شَقِيق ، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : ﴿ فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ برفع الراء .

وكـذا رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، من حـديث هـارون ـ وهو ابن موسى الأعور ـ به [8] ، وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من حديثه .

وهذه القراءة هى قراءة يعقوب وحده ، وخالفه الباقون فقرؤوا [9] : ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ بفتح الراء .

---

(١) فى أ : « فروح وريحان ». (٢) زيادة من أ . (٣) زيادة من م .
(٤) فى م، أ : « إلى وليى » .
(٥) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية : ٢٧ .
(٦) فى م : « فقال » . (٧) فى أ : « بن قيس » .
(٨) المسند (٦/ ٦٤) وسنن أبى داود برقم (٣٩٩١) وسنن الترمذى برقم (٢٩٣٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٦٦) .
(٩) فى م : « فقرأ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل : أنه سمع درّة بنت معاذ تحدث ، عن أم هانئ : أنها سألت رسول الله ﷺ : أنتزاور إذا متنا، ويرى بعضنا بعضاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تكون النَسمُ [(١)] طيراً يعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها » [(٢)] .

هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ، ومعنى « يعلق » : يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضا ما رواه الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنما نَسَمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » [(٣)] . وهذا إسناد عظيم ، ومتن قويم .

وفى الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر ، تسرح فى الجنة [(٤)] حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش » [(٥)] الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء بن السائب قال : كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبى ليلى : رأيت شيخاً [(٦)] أبيض الرأس واللحية على حمار ، وهو يتبع جنازة ، فسمعته يقول : حدثنى فلان بن فلان ، سمع رسول الله ﷺ يقول : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » . قال : فأكب القوم يبكون ، فقال : « ما يُبكيكم ؟ » فقالوا : إنا نكره الموت . قال : « ليس ذاك ، ولكنه إذا حُضِر ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾ ، فإذا بُشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل، والله ، عز وجل، للقائه أحب ﴿ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ [وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ]** [(٧)] ﴾ فإذا بشر بذلك كره لقاء الله ، والله للقائه أكره .

هكذا رواه الإمام أحمد [(٨)] ، وفى الصحيح عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ شاهد لمعناه [(٩)] .

وقوله : ﴿ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ أى : وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ، ﴿ **فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ أى : تبشرهم الملائكة بذلك ، تقول لأحدهم : سلام لك ، أى : لا بأس عليك ، أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين .

وقال قتادة ، وابن زيد : سَلِم من عذاب الله ، وسَلَّمت عليه ملائكة الله . كما قال عكرمة : تسلم عليه الملائكة ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين .

---

(١) فى م ، أ : « النسمة » .
(٢) المسند (٦/ ٤٢٤) .
(٣) المسند (٣/ ٤٥٥) .
(٤) فى م : « فى رياض الجنة » .
(٥) تقدم الحديث عند تفسير الآية : ١٦٩من سورة آل عمران ، وانظر تخريجه هناك .
(٦) فى أ : « شخصاً » .
(٧) زيادة من م .
(٨) المسند (٤/ ٢٥٩) .
(٩) صحيح مسلم برقم (٢٦٨٤) .

وهذا معنى حسن ، ويكون ذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠-٣٢] .

وقال البخارى : ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ ﴾ أى : مُسلم لك ، إنك من أصحاب اليمين . وألغيت « إن» [(١)] وهو : معناها ، كما تقول : أنت مُصَدق مسافر عن قليل . إذا كان قد قال : إنى مسافر عن قليل . وقد يكون كالدعاء له ، كقولك : سقياً لك من الرجال ، إن رفعت « السلام » فهو من الدعاء [(٢)] .

وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ، ومال إليه ، والله أعلم [(٣)] .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أى : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق ، الضالين عن الهدى ، ﴿ فَنُزُلٌ ﴾ أى : فضيافة ﴿ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ وهو المذاب الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أى : وتقرير له فى النار التى تغمره من جميع جهاته .

ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أى : إن هذا الخبر لهو الحق اليقين الذى لا مرية فيه ، ولا محيد لأحد عنه .

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ : قال أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن أيوب الغافقى ، حدثنى عَمّى إياس بن عامر ، عن عقبة بن عامر الجهنى قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ قال : «اجعلوها فى ركوعكم » ، ولما نزلت : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١] ، قال رسول الله ﷺ: « اجعلوها فى سجودكم » .

وكذا رواه أبو داود وابن ماجة ،من حديث عبد الله بن المبارك ، عن موسى بن أيوب،به [(٤)] .

وقال روح بن عبادة : حدثنا حَجَّاجُ الصَّوافُ ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غُرِسَت له نخلة فى الجنة » .

هكذا رواه الترمذى من حديث روح [(٥)] ، ورواه هو والنسائى أيضاً من حديث حماد بن سلمة ، من حديث أبى الزبير عن جابر ، عن النبى ﷺ [(٦)] ، وقال الترمذى : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير .

---

(١) فى م : « من » .

(٢) صحيح البخارى (٨/ ٦٢٥) « فتح » .

(٣) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٢٣) .

(٤) المسند (٤/ ١٥٥) وسنن أبى داود برقم (٢٨٦٩) وسنن ابن ماجه برقم (٨٨٧) .

(٥) سنن الترمذى برقم (٣٤٦٤) .

(٦) سنن الترمذى برقم (٣٤٦٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٦٦٣) لكن النسائى رواه من طريق حماد بن سلمة ، عن حجاج الصواف ، عن أبى الزبير خلافاً للترمذى ، فإنه لم يذكر فى هذه الرواية حجاج الصواف فليتنبه .

وقال البخارى فى آخر كتابه : حدثنا أحمد بن إشكاب ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عُمارة ابن القعقاع ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هُريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود ، من حديث محمد بن فضيل ، بإسناده ، مثله [1] .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٧٥٦٣) وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤) وسنن الترمذى برقم (٣٤٦٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٦٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٠٦) .

٥٦ ــ سورة الواقعة

(مكية وهى ست وتسعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) ٥٦ الواقعة

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) ٥٦ الواقعة

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) ٥٦ الواقعة

إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤) ٥٦ الواقعة

وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) ٥٦ الواقعة

﴿ سورة الواقعة مكية إلا آية ٨١ ، ٨٢ فمدنيتان وآياتها ست وتسعون آية ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا وقعت الواقعة) أى إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للإيذان بتحقق وقوعها لامحالة كأنها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب إذا بمضمر ينبىء عن الهول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأهوال مالا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله

٢ تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لأجل وقعتها وفى حقها كذب أصلا بل كل

٣ ماورد فى شأنها من الأخبار حق صادق لاريب فيه وقوله تعالى (خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لأقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الأشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن زلزلة الأشياء وإزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وإسقاط السماء كسفاً وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرىء خافضة رافعة بالنصب على الحال

٤ من الواقعة وقوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت زلزالا شديداً بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الأرض إذ عند ذلك ينخفض ما هو

٥ مرتفع ويرتفع ماهو منخفض أو بدل من إذا وقعت (وبست الجبال بسا) أى فتتت حتى صارت

فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ٥٦ الواقعة

وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ٥٦ الواقعة

فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ ٥٦ الواقعة

وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ٥٦ الواقعة

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ٥٦ الواقعة

مثل السويق الملتوت من بس السويق إذالته أو سيقت وسيرت من أما كنها من بس الغنم إذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرىء رجت وبست أى ارتجت وذهبت (فكانت) أى فصارت بسبب ذلك ٦ (هباء) غباراً (منبثاً) منتشراً (وكنتم) إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليباً أو للحاضرة ٧ (أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أو فى الذكر فهو زوج * وقوله تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) تقسيم وتنويع ٨،٩ للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل ماهم أى أى شىء هم فى حالهم وصفتهم فإن ما وإن شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول مازيد فيقال عالم أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقيل أصحاب اليمين وأصحاب الشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى (والسابقون السابقون) هو القسم الثالث من الأزواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم ١٠ مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقاً معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضاً فقيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الأولين من المهاجرين والأنصار وقيل هم السابقون إلى صلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات وأياً ما كان فالجملة مبتدأ وخبر

أُولَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ٥٦ الواقعة

فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ٥٦ الواقعة

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ٥٦ الواقعة

وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ٥٦ الواقعة

والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم [أنا أبو النجم وشعرى شعرى] وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل مالا يخفى وقيل والسابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمته أو السابقون إلى الخير والسابقون إلى الجنة

١١ وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل (المقربون) أى الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ماذكر فى إعراب هذه الجمل وأشهره والذى تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فإن المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامى أحوالهما فى الخير والشر إنباء إجمالياً مشعراً بأن لأحوال كل منهما تفصيلا مترقباً لكن لاعلى أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على مارآه سيبويه فى أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيده كون ماخبر إلا بيان أن أمراً بديعاً أصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال فى ما أصحاب المشأمة وأما القسم الأخير فحيث قرن بيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه إلى تقديم إلا نموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والإظهار فى مقام الإضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول وما بعده خبر له أو الثانى

١٢ والجملة خبر للأول وقوله تعالى (فى جنات النعيم) متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أى كائنين فى جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الإشارة وفيه أن الأخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد

١٣ مزية وقرىء فى جنة النعيم وقوله تعالى (ثلة من الأولين) خبر مبتدأ محذوف أى هم أمة جمة من الأولين وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء

١٤ العظام (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام إن أمتى يكثرون

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ٥٦ الواقعة

مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ٥٦ الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ٥٦ الواقعة

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ٥٦ الواقعة

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ٥٦ الواقعة

وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ ٥٦ الواقعة

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ٥٦ الواقعة

سائر الأمم فإن أكثرية سابقي الأمم السالفة من سابقي هذه الأمة لا تمنع أكثرية تابعي هؤلاء من تابعي أولئك ولا يرده قوله تعالى فى أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لأن كثرة كل من الفريقين فى أنفسهما لا تنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلثين من هذه الأمة وقد روى مرفوعا أن الأولين والآخرين ههنا أيضاً متقدمو هذه الأمة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر

١٥ (على سرر موضونة) حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم فى الحال الأولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسج (متكئين

١٦ عليها متقابلين) حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب

١٧ (يطوف عليهم) حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون أبداً على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن

١٨ الحسن رحمه الله وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بأكواب) بآنية لا عرى لها ولا خراطيم (وأباريق) أى آنية ذات عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى خمر جارية من العيون قيل إنما *

١٩ أفرد الكأس لأنها لا تسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرىء لا يصدعون أى لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرىء لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضاً (ولا ينزفون) أى لا يسكرون من أنزف الشارب إذا نفد عقله *

٢٠، ٢١ أو شرابه (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارونه ويأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) أى يتمنون وقرىء ولحوم طير .

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾	٥٦ الواقعة
كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾	٥٦ الواقعة
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾	٥٦ الواقعة
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾	٥٦ الواقعة
إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾	٥٦ الواقعة
وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾	٥٦ الواقعة
فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾	٥٦ الواقعة
وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾	٥٦ الواقعة

٢٢ (وحور عين) بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أولهم حور وقرىء بالجر عطفاً على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى
٢٣ يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب و بالنصب أى ويؤتون حوراً (كأمثال اللؤلؤ
٢٤ المكنون) صفة لحور أو حال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له أى يفعل بهم ذلك جزاء بأعمالهم
٢٥ أو مصدر مؤكد أى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها لغواً) أى باطلا (ولا تأثيما) أى ولا نسبة إلى
٢٦ الإثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله [ولا ترى الضب بها ينجحر] (إلا قيلا) أى قولا
• (سلاماً سلاماً) بدل من قيلا كقوله تعالى لايسمعون فيها لغواً إلا سلاماً أو صفته أو مفعوله بمعنى لايسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أولا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الإسلام الآخر بدءاً أو رداً وقرىء سلام سلام على الحكاية وقوله
٢٧ تعالى (وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجمل عند تقسيم من شؤنهم الفاضلة إثر تفصيل شؤن
• السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى (ما أصحاب اليمين) جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها محلها إما الرفع على أنها خبر للمبتدأ أو معترضة لامحل لها والخبر قوله
٢٨ تعالى (فى سدر مخضود) وهو على الأول خبر ثان للمبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم فى قوله تعالى ما أصحاب اليمين من علو الشأن أى هم فى سدر غير ذى شوك لاكسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن
٢٩ إذا ثناه وهو رطب (وطلح منضود) قد نضد حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر

وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ٥٦ الواقعة

وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ٥٦ الواقعة

وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ ٥٦ الواقعة

لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ٥٦ الواقعة

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ٥٦ الواقعة

إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ ٥٦ الواقعة

فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ٥٦ الواقعة

عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ٥٦ الواقعة

الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل أو نحو لها قال آى القرآن لاتهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه (وظل ممدود) ممتد ٣٠ منبسط لا يتقلص ولا يتعاون كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) يسكب لهم ٣١ أينما شاؤا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجرى على الأرض فى غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وقال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البوادى إيذان بالتعاون بين الحالين (وفاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والأجناس (لا مقطوعة) فى وقت من الأوقات كفوا كه ٣٢،٣٣ الدنيا (ولا ممنوعة) عن متناوليها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرىء * فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين (وفرش مرفوعة) أى رفيعة القدر ٣٤ أو منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الأسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الأرائك قال تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) وعلى التفسير الأول أضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة ٣٥ بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً أو أبدعناهن من غير ولاد إبداء أو إعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً جعلهن الله تعالى بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً وقوله تعالى (فجعلناهن أبكاراً) وقوله تعالى (عرباً) ٣٦،٣٧

لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ٥٦ الواقعة

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ ٥٦ الواقعة

وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ٥٦ الواقعة

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ٥٦ الواقعة

فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ ٥٦ الواقعة

وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ٥٦ الواقعة

لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ٥٦ الواقعة

إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ٥٦ الواقعة

---

* جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل وقرىء عرباً بسكون الراء (أتراباً) مستويات
٣٨ فى السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام فى قوله تعالى (لأصحاب اليمين) متعلقة بأنشأنا أو جعلنا أو باتراباً كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له فى السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكار أى كائنات
٣٩ لأصحاب اليمين أو خبر مبتدأ محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الأولين)
٤٠ (وثلة من الآخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة من الأولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الأولين أى من سابقى هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعاً من
٤١ أمتى (وأصحاب الشمال) شروع فى تفصيل أحوالهم التى أشير عند التنويع إلى هولها وفظاعتها بعد
* تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام فى قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين ما فصل فى نظيره وكذا
٤٢ فى قوله تعالى (فى سموم وحميم) والسموم حر نار ينفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى الحرارة
٤٣،٤٤ (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لا بارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خير ما فى الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل
٤٥ وقرىء لا بارد ولا كريم بالرفع أى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب أى إنهم كانوا قبل ماذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا

وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ٥٦ الواقعة

وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ٥٦ الواقعة

أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ٥٦ الواقعة

قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ ٥٦ الواقعة

لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ٥٦ الواقعة

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ ٥٦ الواقعة

بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام ٤٦
الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب (وكانوا يقولون) لغاية عتوهم وعنادهم (أئذا متنا وكنا ترابا ٤٧
وعظاماً) أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاماً نخرة وتقديم التراب لعراقته
فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية وإذا متمحضة للظرفية والعامل فيها مادل عليه قوله تعالى
(أئنا لمبعوثون) لا نفسه لأن مابعد إن واللام والهمزة لايعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للإنكار *
وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فإنهم منكرون الإحياء بعد الموت وإن كان البدن
على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه فى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد
النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فإن تقديم
الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله أفلاتعقلون على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار
لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم
تراباً وعظاماً بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة وفيه
من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال مالا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى
(أو آباؤنا الأولون) لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك الفصل ٤٨
بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرىء أوآباؤنا (قل) رداً لإنكارهم وتحققاً ٤٩
للحق (إن الأولين والآخرين) من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفى تقديم الأولين مبالغة فى *
الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعة) ٥٠
بعد البعث وقرىء لمجمعون (إلى ميقات يوم معلوم) إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة *
بمعنى من كخاتم فضة (ثم إنكم أيها الضالون) عطف على أن الأولين داخل تحت القول وثم للتراخى ٥١
زماناً أو رتبة (المكذبون) أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم . *

لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ ٥٦ الواقعة

فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ٥٦ الواقعة

فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ٥٦ الواقعة

فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ٥٦ الواقعة

هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ٥٦ الواقعة

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ٥٦ الواقعة

---

٥٢ (لآكلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجرة من زقوم) من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو
٥٣،٥٤ وصف لشجر أى كائن من زقوم (فمالئون منها البطون) أى بطونكم من شدة الجوع (فشاربون * عليه) عقيب ذلك بلا ريث (من الحميم) أى الماء الحار فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولا وتذكيره ثانياً باعتبار المعنى واللفظ وقرىء من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للآكل وقوله تعالى
٥٥ (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهى الإبل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل التى لايتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم مايضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فإذا ملؤا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش مايضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربون شرب الهيم
٥٦ وقرىء شرب الهيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرىء بالكسر على أنه اسم المشروب (هذا) الذى ذكر * من أنواع العذاب (نزلهم يوم الدين) أى يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو مايعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد مااستقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم بهم مالا يخفى وقرىء نزلهم بسكون الزاى تخفيفاً والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام
٥٧ الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ماقبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فإن مالا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق فى شىء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتماً والأول هو الوجه كما ستحيط به خبراً .

أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ٥٦ الواقعة

ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ٥٦ الواقعة

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ٥٦ الواقعة

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ٥٦ الواقعة

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ٥٦ الواقعة

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ٥٦ الواقعة

ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ٥٦ الواقعة

---

٥٨ (أفرأيتم ماتمنون) أى تقذفون فى الأرحام من النطف وقرىء بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها
٥٩ (أأنتم تخلقونه) أى تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً (أم نحن الخالقون) له من غير دخل شىء فيه
وأم قيل منقطعة لأن مابعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة
٦٠ ومجىء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة (نحن قدرنا بينكم الموت) أى قسمناه
عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرىء قدرنا
٦١ مخففة (وما نحن بمسبوقين) أى إنا قادرون (على أن نبدل أمثالكم) لايغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى
* مكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لاتعلمون) من الخلق والأطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن
رحمه الله أى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا
شأنه كيف يعجز عن إعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن
٦٢ نبدل الخ إما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض (ولقد علمتم
النشأة الأولى) هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب
* (فلولا تذكرون) فهلا تتذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتما فإنه أقل صنعاً لحصول
المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرىء فلولا تذكرون من الثلاثى
وفى الخبر عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجباً للمصدق بالنشأة
٦٣،٦٤ الآخرة وهو يسعى لدار الغرور (أفرأيتم ماتحرثون) أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أأنتم
* تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتاً يرف (أم نحن الزارعون) أى المنبتون لا أنتم والكلام فى أم كما مر
٦٥ آنفاً (لونشاء لجعلناه حطاماً) هشيما متكسراً متفتتاً بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ٥٦ الواقعة

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ٥٦ الواقعة

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ٥٦ الواقعة

ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ٥٦ الواقعة

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ٥٦ الواقعة

ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ٥٦ الواقعة

---

* (فظلتم) بسبب ذلك (تفكهون) تتعجبون من سوء حاله إثر ماشاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ماتعبتم فيه وأنفقتم عليه أو على مااقترفتم لأجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرىء تفكنون أى تتندمون وقرىء فظلتم

٦٦ بالكسر وفظللتم على الأصل (إنا لمغرمون) أى لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرىء أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب

٦٧ على الحالية من فاعل تفكهون أى قائلين أو تقولون إنا لمغرمون (بل نحن محرومون) حرمنا رزقنا

٦٨ أو محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لا مجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذباً فراتاً

٦٩ وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأنتم أنزلتموه

* من المزن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون)

٧٠ له بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحاً زعاقا لايمكن شربه وحذف اللام ههنا مع إثباتها فى الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب فى الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة

٧١ الإنبات والإنزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى (فلولا تشكرون) تحضيض على شكر الكل (أفرأيتم

٧٢ النار التى تورون) أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى

* المرخ والعفار (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبىء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لاتخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما أن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر لذلك .

نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ٥٦ الواقعة

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ٥٦ الواقعة

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ٥٦ الواقعة

وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ٥٦ الواقعة

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ٥٦ الواقعة

---

٧٣ وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها أى جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجا من نار جهنم لما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم وقيل تبصرة فى أمر البعث فإنه ليس بأبدع من إخراج النار من الشىء الرطب (ومتاعا) * ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين * أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويسد خللهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ

٧٤ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروى والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى إما تنزيهاً له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها أو تعجباً من أمرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكراً على تلك النعم السابقة أى فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فإن إطلاق الاسم للشىء ذكر له والعظيم صفة للاسم أو

٧٥ الرب (فلا أقسم) أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلارد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ماقيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به (بمواقع النجوم) أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال * أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لايتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإن له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته مالايحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى

٧٦ (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية

٧٧ وتأكيده حيث اعترض بقوله وإنه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (إنه لقرآن كريم)

فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ٥٦ الواقعة

لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ٥٦ الواقعة

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ٥٦ الواقعة

أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ ٥٦ الواقعة

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ٥٦ الواقعة

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ٥٦ الواقعة

أى كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو إما متروك أريد به نفى علمهم
٧٨ أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمتموه أو لعملتم بموجبه (فى كتاب مكنون) أى مصون من غير
٧٩ المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الأوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفياً بمعنى النهى أى لا ينبغى أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرىء المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون
٨٠ من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره (تنزيل من رب العالمين)
٨١ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرىء تنزيلا (أفبهذا الحديث)
* الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم (أنتم مدهنون) أى
٨٢ متهاونون به كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به (وتجعلون رزقكم) أى
* شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرىء وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء
٨٣ والأول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل (فلولا إذا بلغت الحلقوم) الخ تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أى فهلا إذا بلغت النفس أى الروح وقيل

وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ٥٦ الواقعة

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ٥٦ الواقعة

فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ٥٦ الواقعة

تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ٥٦ الواقعة

فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ ٥٦ الواقعة

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ٥٦ الواقعة

وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ ٥٦ الواقعة

نفس الحلقوم وتداعت إلى الخروج (وأنتم حينئذ) أيها الحاضرون حول صاحبها (تنظرون) إلى ٨٤
ماهو من الغمرات (ونحن أقرب إليه) علماً وقدرة وتصرفا (منكم) حيث لاتعرفون من حاله إلا ٨٥
ماتشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع
أدنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت (ولكن لاتبصرون) *
لاتدركون ذلك لجهلكم بشؤننا وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين) أى غير مربوبين من دان ٨٦
السلطان رعيته إذا ساسهم واستعبدهم ناظر إلى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فإن التحضيض
يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى (ترجعونها) أى النفس إلى مقرها هو العامل فى إذا ٨٧
والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع مافى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى
إن كنتم غير مربوبين كما ينبىء عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها
الحلقوم (إن كنتم صادقين) فى اعتقادكم فإن عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم *
بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى (فأما إن كان من المقربين) الخ شروع فى بيان حال ٨٨
المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أى فأما إن كان الذى بين حاله من السابقين من الأزواج
الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم (فروح) أى فله استراحة وقرىء فروح بضم الراء وفسر بالرحمة ٨٩
لأنها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق (وجنت نعيم) أى ذات تنعم (وأما إن ٩٠
كان من أصحاب اليمين) عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبىء عن شأنهم
سواه كما ذكر للفريقين الآخرين .

فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ٥٦ الواقعة

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ ٥٦ الواقعة

فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ ٥٦ الواقعة

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ٥٦ الواقعة

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ٥٦ الواقعة

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ٥٦ الواقعة

---

٩١ وقوله تعالى (فسلام لك من أصحاب اليمين) إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية إنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا لقيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد

٩٢ منهم للتشريف (وأما إن كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ذماً لهم بذلك وإشعاراً بسبب

٩٣ ماابتلوا به من العذاب (فنزل) أى فله نزل كائن (من حميم) يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيماقبل

٩٤ (وتصلية جحيم) أى إدخال فى النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك مايجده فى القبر

٩٥ من سموم النار ودخانها (إن هذا) أى الذى ذكر فى السورة الكريمة (لهو حق اليقين) أى حق الخبر

٩٦ اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب التسبيح أو الأمر به على ماقبلها فإن حقية مافصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التى من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

سورة الواقعة

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

«مكية» كما أخرجه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عباس وابن مردويه عن ابن الزبير، واستثنى بعضهم قوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠] كما حكاه في الإتقان وكذا استثني قوله سبحانه: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ إلى ﴿تكذبون﴾ [الواقعة: ٧٥، ٨٢] لما أخرجه مسلم في سبب نزوله وسيأتي إن شاء الله تعالى، وفي مجمع البيان حكاية استثناء قوله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢] عن ابن عباس وقتادة وعدد آيها تسع وتسعون في الحجازي والشامي، وسبع وتسعون في البصري، وست وتسعون في الكوفي، وتفصيل ذلك فيما أعد لمثله، وهي وسورة الرحمن متواخية في أن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار، وقال في البحر: مناسبتها لما قبلها أنه تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين، وفاضل سبحانه بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض آخر منهم فانقسم المكلفون بذلك إلى كافر ومؤمن فاضل ومؤمن مفضول؛ وعلى هذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وسابقين، وقال بعض الأجلة انظر إلى اتصال قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ [الواقعة: ١٠] بقوله سبحانه: ﴿فإذا انشقت السماء﴾ [الرحمن: ٣٧] وأنه اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء، وفي الواقعة على ذكر رج الأرض فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة فذكر في كل شيء، وقد عكس الترتيب فذكر في أول هذه ما في آخر تلك وفي آخر هذه ما في أول تلك فافتتح في سورة الرحمن بذكر القرآن، ثم ذكر الشمس والقمر، ثم ذكر النبات، ثم خلق الإنسان والجان، ثم صفة يوم القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنة، وهذه ابتداؤها بذكر القيامة، ثم صفة الجنة، ثم صفة النار؛ ثم خلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النار، ثم ذكرت النجوم ولم تذكر في الرحمن كما لم يذكر هنا الشمس والقمر، ثم ذكر الميزان فكانت هذه كالمقابلة لتلك وكالمتضمنة لرد العجز على الصدر، وجاء في فضلها آثار.

أخرج أبو عبيد في فضائله وابن الضريس والحارث بن أبي أسامة وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال: «سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً». وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس نحوه مرفوعاً، وأخرج ابن مردويه عن أنس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤوها وعلموها أولادكم».

وأخرج الديلمي عنه مرفوعاً «علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى».

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾

﴿بسم ٱلله ٱلرَّحْمٰن ٱلرَّحيم إذا وَقَعَت ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي إذا حدثت القيامة على أن ﴿وقعت﴾ بمعنى حدثت و ﴿الواقعة﴾ علم بالغلبة أو منقول للقيامة، وصرح ابن عباس بأنها من أسمائها وسميت بذلك للإيذان بتحقيق وقوعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط فليس الإسناد كما في ـ جاءني جاء ـ فإنه لغو لدلالة كل فعل على فاعل له غير معين، وقال الضحاك: ﴿الواقعة﴾ الصيحة وهي النفخة في الصور، وقيل: ﴿الواقعة﴾ صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة وليس بشيء، و ﴿إذا﴾ ظرف متضمن معنى الشرط على ما هو الظاهر، والعامل فيها عند أبي حيان الفعل بعدها فهي عنده في موضع نصب ـ بوقعت ـ كسائر أسماء الشرط وليست مضافة إلى الجملة، والجمهور على إضافتها فقيل: هي هنا قد سلبت الظرفية ووقعت مفعولاً به لا ذكر محذوفاً، وقيل: لم تسلب ذلك وهي منصوبة بليس، وصنيع الزمخشري يشعر باختياره.

وقيل: بمحذوف وهو الجواب أي ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ كان كيت وكيت، قال في الكشف: هذا الوجه العربي الجزل فالنصب بإضمار اذكر إنما كثر في إذ، وبليس إنما يصح إذا جعلت لمجرد الظرفية وإلا لوجب الفاء في ليس، وأبو حيان تعقب النصب بليس بأنه لا يذهب إليه نحوي لأن ليس في النفي ك ﴿ما﴾ وهي لا تعمل. فكذا ليس فإنها مسلوبة الدلالة على الحدث والزمان، والقول: بأنها فعل على سبيل المجاز، والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث فحيث لا حدث فيها لا عمل لها فيه، ثم ذكر نحو ما ذكر صاحب الكشف من وجوب الفاء في ليس إذا لم تجرد عن الشرطية؛ واعترض دعواه أن ﴿ما﴾ لا تعمل بأنهم صرحوا بجواز تعلق الظرف بها لتأويلها بانتفى وأنه يكفي له رائحة الفعل، ويقاس عليها في ذلك ليس، وكذا دعوى وجوب الفاء في ليس إذا لم تجرد ﴿إذا﴾ عن الشرطية بأن لزوم الفاء مع الأفعال الجامدة إنما هو في جواب إن الشرطية لعملها كما صرحوا به. وأما ﴿إذا﴾ فدخول الفاء في جوابها على خلاف الأصل. وسيأتي إن شاء الله تعالى فيها قولان آخران، وبعد القيل والقال الأولى كون

العامل محذوفاً وهو الجواب كما سمعت وفي إبهامه تهويل وتفخيم لأمر الواقعة.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ إما اعتراض يؤكد تحقيق الوقوع أو حال من الواقعة كما قال ابن عطية، و ﴿كاذبة﴾ اسم فاعل وقع صفة لموصوف محذوف أي نفس، وقيل: مقالة والأول أولى لأن وصف الشخص بالكذب أكثر من وصف الخبر به. و ﴿الواقعة﴾ السقطة القوية وشاعت في وقوع الأمر العظيم وقد تخص بالحرب ولذا عبر بها هنا واللام للتوقيت مثلها في قولك: كتبته لخمس خلون أي لا يكون حين وقوعها نفس كاذبة على معنى تكذب على الله تعالى وتكذب في تكذيبه سبحانه وتعالى في خبره بها، وإيضاحه أن منكر الساعة الآن مكذب له تعالى في أنها تقع وهو كاذب في تكذيبه سبحانه لأنه خبر على خلاف الواقع وحين تقع لا يبقى كاذباً مكذباً، بل صادقاً مصدقاً، وقيل: على معنى ليس في وقت وقوعها نفس كاذبة في شيء من الأشياء، ولا يخفى أن صحته مبنية على القول بأنه لا يصدر من أحد كذب يوم القيامة؛ وأن قولهم: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] مجاب عنه بما هو مذكور في محله أو اللام على حقيقتها، و ﴿كاذبة﴾ صفة لذلك المحذوف أيضاً أي ﴿ليس لوقعتها﴾ نفس كاذبة بمعنى لا ينكر وقوعها أحد ولا يقول للساعة لم تكوني لأن الكون قد تحقق كما يقول لها في الدنيا بلسان القول أو الفعل لأن من اغتر بزخارف الدنيا فقد كذب الساعة في وقعتها بلسان الحال لن تكوني، وهذا كما تقول لمخاطبك ليس لنا ملك ولمعروفك كاذب أي لا يكذبك أحد فيقول: إنه غير واقع، وفيه استعارة تمثيلية لأن الساعة لا تصلح مخاطباً إلا على ذلك إما على سبيل التخييل من باب لو قيل للشحم أين تذهب، وهو الأظهر وإما على التحقيق، وجوز كون ﴿كاذبة﴾ من قولهم كذبت نفسي وكذبته إذا منته الأماني وقربت له الأمور البعيدة وشجعته على مباشرة الخطب العظيم، واللام قيل: على حقيقتها أيضاً أي ليس لها إذا وقعت نفس تحدث صاحبها بإطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها.

وفي الكشف أن اللام على هذا الوجه للتوقيت كما على الوجه الأول، وجوز أيضاً كون ﴿كاذبة﴾ مصدراً بمعنى التكذيب وهو التثبيط وأمر اللام ظاهر أي ليس لوقعتها ارتداد ورجعة كالحملة الصادقة من ذي سطوة قاهرة؛ وروي نحوه عن الحسن وقتادة، وذكر أن حقيقة التكذيب بهذا المعنى راجعة إلى تكذيب النفس في كذبها وإغرائها وتشجيعها وأنشد على ذلك لزهير:

ليث بعثَّر يصطاد الرجال إذا ... ما الليث **كذب عن أقرانه** صدقا

ويجوز جعل الكاذبة بمعنى الكذب على معنى ليس للوقعة كذب بل هي وقعة صادقة لا تطاق على نحو ـ حملة صادقة، وحملة لها صادق ـ أو على معنى ليس هي في وقت وقوعها كذب لأنه حق لا شبهة فيه، ولعل ما ذكر أظهر مما تقدم، وإن روي نحوه عمن سمعت، نعم قيل: عليهما إن مجيء المصدر على زنة الفاعل نادر، وقوله عز وجل: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة لأقوام رافعة لآخرين كما قال ابن عباس، وأخرجه عنه جماعة، والجملة تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها الخفض والرفع كما يشاهد في تبدل الدول وظهور الفتن من ذل الأعزة وعز الأذلة، وتقديم الخفض على الرفع لتشديد التهويل، أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى درجات الجنات، وعلى هذا قول عمر رضي الله تعالى عنه: خفضت أعداء الله تعالى إلى النار ورفعت أولياءه إلى الجنة، أو بيان لما يكون من ذلك ومن إزالة الأجرام عن مقارها ونثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو كالسحاب، والضحاك بعد

أن فسر الواقعة بالصيحة قال: خافضة تخفض قوتها لتسمع الأدنى ﴿**رافعة**﴾ ترفعها لتسمع الأقصى، وروي ذلك أيضاً عن ابن عباس وعكرمة، وقدر أبو علي المبتدأ مقروناً بالفاء أي فهي ﴿**خافضة**﴾ وجعل الجملة جواب إذا فكأنه قيل: ﴿**إذا وقعت الواقعة**﴾ خفضت قوماً ورفعت آخرين، وقرأ زيد ابن علي والحسن وعيسى وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن مقسم والزعفراني واليزيدي في اختياره «خَافِضَةً رَافِعَةً» بنصبهما، ووجهه أن يجعلا حالين عن الواقعة على أن ﴿**ليس لوقعتها كاذبة**﴾ اعتراض أو حالين عن وقعتها، وقوله سبحانه: ﴿**إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجّاً**﴾أي زلزلت وحركت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق ـ بخافضة ـ أو ـ برافعة ـ على أنه من باب الأعمال، أو بدل من ﴿**إذا وقعت**﴾ كما قال به غير واحد، وقال ابن جني وأبو الفضل الرازي: ﴿**إذا رجت**﴾ في موضع رفع على أنه خبر للمبتدأ الذي هو ﴿**إذا وقعت**﴾ وليست واحدة منهما شرطية بل هي بمعنى وقت أي وقت وقوعها وقت رج الأرض، وادعى ابن مالك أن ﴿**إذا**﴾ تكون مبتدأ، واستدل بهذه الآية، وقال أبو حيان: هو بدل من ﴿**إذا وقعت**﴾ وجواب الشرط عندي ملفوظ به وهو قوله تعالى: ﴿**فأصحاب الميمنة**﴾ والمعنى إذا كان كذا وكذا، فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم ما يجازون به أي إن سعادتهم وعظم رتبهم عند الله عز وجل تظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم، وفيه بعد ﴿**وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً**﴾ أي فتت كما قال ابن عباس ومجاهد حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لتّه، وقيل: سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم إذا ساقها فهو كقوله تعالى: ﴿**وسيرت الجبال**﴾ [النبأ: ٢٠].

وقرأ زيد بن علي «رَجَّتْ» و «بَسَّتْ» بالبناء للفاعل أي ارتجت وتفتتت، وفي كلام هند بنت الخس تصف ناقة بما يستدل به على حملها: ـ عينها هاج وصلاها راج، وهي تمشي وتفاج ـ ﴿**فَكَانَتْ**﴾ فصارت بسبب ذلك ﴿**هَبَاءً**﴾ غباراً ﴿**مُّنبَثّاً**﴾ متفرقاً، والمراد مطلق الغبار عند الاكثرين، وقال ابن عباس: هو ما يثور مع شعاع الشمس إذا دخلت من كوة، وفي رواية أخرى عنه أنه الذي يطير من النار إذا اضطرمت.

وقرأ النخعي ـ منبتاً ـ بالتاء المنطوقة بنقطتين من فوق من البت بمعنى القطع، والمراد به ما ذكر من الليث بالمثلثة ﴿**وَكُنتُمْ**﴾ خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليباً كما ذهب إليه الكثير، وقال بعضهم: خطاب للأمة الحاضرة فقط، والظاهر أن ـ كان ـ أيضاً بمعنى صار أي وصرتم ﴿**أَزْوَاجاً**﴾ أي أصنافاً ﴿**ثَلَاثَةً**﴾ وكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج، قال الراغب: الزوج يكون لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة ولكل قرينين فيها، وفي غيرها كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً، وقوله تعالى: ﴿**فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ**﴾ تفصيل للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها، والدائر على ألسنتهم أن أصحاب الميمنة مبتدأ، وقوله تعالى: ﴿**ما أصحاب الميمنة**﴾ ﴿**ما**﴾فيه استفهامية مبتدأ ثان و ﴿**أصحاب**﴾ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول والرابط الظاهر القائم مقام الضمير، وكذا يقال في قوله تعالى: ﴿**وأصحاب المشأمة**﴾ الخ، والأصل في الموضعين ما هم؟ أي أيّ شيء هم في حالهم وصفتهم فإن ﴿**ما**﴾ وإن شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد تطلب بها الصفة والحال كما تقول ما زيد؟ فيقال: عالم، أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في المقصود وهو التفخيم في الأول والتفظيع في الثاني، والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل: ﴿**فأصحاب الميمنة**﴾ في غاية حسن الحال ﴿**وأصحاب المشأمة**﴾ في نهاية سوء الحال، وقيل: جملة ﴿**ما أصحاب**﴾ خبر

بتقدير القول على ما عرف في الجملة الانشائية إذا وقعت خبراً أي مقول في حقهم ﴿**ما أصحاب**﴾ الخ فلا حاجة إلى جعله من إقامة الظاهر مقام الضمير وفيه نظر، و ﴿**الميمنة**﴾ ناحية اليمين، أو اليمن والبركة، ﴿**والمشأمة**﴾ ناحية الشمال من اليد الشؤمى وهي الشمال، أو هي من الشؤم مقاب اليمن، ورجح إرادة الناحية فيهما بأنها أوفق بما يأتي في التفصيل، واختلفوا في الفريقين فقيل: أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية، وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم بالميامن وتشؤمهم بالشمائل كما تسمع في السانح والبارح، وهو مجاز شائع، وجوز أن يكون كناية، وقيل: الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم، وقيل: الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وقيل: أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم، فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم على أنفسهم بمعاصيهم، وروي هذا عن الحسن والربيع، وقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُون ٱلسَّابِقُون**﴾ هو الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة، ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأصناف وأقدمهم في الفضل ليردف ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقاً معرض عن إحرازهم قصب السبق من جميع الوجوه.

واختلف في تعيينهم فقيل: هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوانٍ، وروي هذا عن عكرمة ومقاتل، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار الذي ذكر في يس وعليّ بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه وكل رجل منهم سابق أمته وعليّ أفضلهم، وقيل: هم الذين سبقوا في حيازة الكمالات من العلوم اليقينية ومراتب التقوى الواقعة بعد الإيمان، وقيل هم الانبياء عليهم السلام لأنهم مقدمو أهل الأديان، وقال ابن سيرين: هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ [التوبة: ١٠٠] وعن ابن عباس هم السابقون إلى الهجرة، وعن عليّ كرم الله تعالى وجهه هم السابقون إلى الصلوات الخمس، وأخرج أبو نعيم والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً أول من يهجر إلى المسجد وآخر من يخرج منه.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عبادة بن أبي سودة مولى عبادة بن الصامت قال: بلغنا أنهم السابقون إلى المساجد والخروج في سبيل الله عز وجل، وعن الضحاك هم السابقون إلى الجهاد، وعن ابن جبير هم السابقون إلى التوبة وأعمال البر، وقال كعب: هم أهل القرآن، وفي البحر في الحديث «سئل عن السابقين فقال: هم الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سألوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»، وقيل: الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم دام عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق، ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبته فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال، وعن ابن كيسان أنهم المسارعون إلى كل ما دعا الله تعالى إليه ورجحه بعضهم بالعموم، وجعل ما ذكر في أكثر الأقوال من باب التمثيل، وأياً مّا كان فالشائع أن الجملة مبتدأ وخبر والمعنى ﴿**والسابقون**﴾ هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت فخامتهم كقوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري

وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم ما لا يخفى، وقيل متعلق السبق مخالف لمتعلق السبق الثاني أي السابقون إلى طاعة الله تعالى «السابقون» إلى رحمته سبحانه، أو ﴿**السابقون**﴾ إلى الخير ﴿**السابقون** إلى الجنة، والتقدير الأول محكي عن صاحب المرشد.

وأنت تعلم أن الحمل مفيد بدون ذلك كما سمعت بل هو أبلغ وأنسب بالمقام وأياً مّا كان فقوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ**﴾ مبتدأ وخبر والجملة استئناف بياني، وقيل: ﴿**السابقون**﴾ السابق مبتدأ ﴿**والسابقون**﴾ اللاحق تأكيد له وما بعد خبر وليس بذاك أيضاً لفوات مقابلة ما ذكر لقوله تعالى: ﴿**فأصحاب**﴾ الخ ولأن القسمة لا تكون مستوفاة حينئذ، ولفوات المبالغة المفهومة من نحو هذا التركيب على ما سمعت مع أنهم أعني السابقين أحق بالمدح والتعجيب من حالهم من السابقين ولفوات ما في الاستئناف بأولئك المقربون من الفخامة وإنما لم يقل ـ السابقون ما السابقون ـ على منوال الأولين لأنه جعل أمراً مفروغاً مسلماً مستقلاً في المدح والتعجيب، والاشارة بأولئك إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل، و ﴿**المقربون**﴾ من القربة بمعنى الحظوة أي أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل الذين أنيلوا حظوة ومكانة عند الله تعالى، وقال غير واحد: المراد الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم.

هذا وفي الإرشاد الذي تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى: ﴿**فأصحاب الميمنة**﴾ خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله سبحانه: ﴿**وأصحاب المشأمة**﴾ وقوله جل شأنه: ﴿**والسابقون**﴾ فإن المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام.

وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها، والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة، والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كلا منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي أحوالهما في الخير والشر إنباءً إجمالياً مشعراً بأن لأحوال كل منهما تفصيلاً مترقباً لكن لا على أن ﴿**ما**﴾ الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيبويه في أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيده كون ﴿**ما**﴾ خبراً لا بيان أن أمراً بديعاً أصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال في ﴿**ما أصحاب المشأمة**﴾، وأما القسم الأخير فحيث قرن به بيان محاسن أحواله لم يحتج فيه إلى تقديم الأنموذج فقوله تعالى: ﴿**السابقون**﴾ مبتدأ والإظهار في مقام الإضمار للتفخيم و ﴿**أولئك**﴾ مبتدأ ثان، أو بدل من الاول وما بعده خبر له، أو للثاني، والجملة خبر للأول انتهى، وقيل عليه: إنه ليس في جعل جملتي الاستفهام وقوله سبحانه: ﴿**السابقون**﴾ إخباراً لما قبلها بيان لأوصاف الأقسام وأحوالها تفصيلاً حتى يقال: حقها أن تبين بعد أنفس الأقسام بل فيه بيان الأقسام مع إشارة إلى ترامي أحوالها في الخير والشر والتعجيب من ذلك.

وأيضا مقتضى ما ذكره أن لا يذكر ﴿**ما أصحاب اليمين**﴾ و ﴿**ما أصحاب الشمال**﴾ في التفصيل، وتعقب هذا بأن الذكر محتاج إلى بيان نكتة على الوجه الدائر على ألسنتهم كاحتياجه إليه على هذا الوجه، ولعلها عليه أنه لما عقب الأولين بما يشعر بأن لأحوال كل تفاصيل مترقبة أعيد ذلك للإعلام بأن الأحوال العجيبة هي هذه فلتسمع، والذي يتبادر للنظر الجليل ما في الارشاد من كون أصحاب الميمنة وكذا كل من الأخيرين خبر مبتدأ محذوف كما سمعت لأن المتبادر بعد بيان الانقسام ذكر نفس الأقسام على أن تكون هي المقصودة أولاً وبالذات دون الحكم عليها وبيان أحوالها مطلقاً وإن تضمن ذلك ذكرها لكن ما ذكروه أبعد مغزى ومع هذا لا يتعين على ما ذكر كون تينك الجملتين الاستفهاميتين معترضتين بل يجوز أن يكون كل منهما صفة لما قبلها بتقدير القول كأنه قيل: فأحدها أصحاب الميمنة المقول فيهم ﴿**ما أصحاب الميمنة**﴾ وكذا يقال في ﴿**وأصحاب المشأمة**﴾ الخ، ويجعل أيضاً ﴿**السابقون**﴾ صفة ـ للسابقون ـ قبله، والتأويل في الوصفية كالتأويل

في الخبرية ويكون الوصف بذلك قائماً مقام تينك الجملتين في المدح، والجملة بعد مستأنفة استئنافاً بيانياً كما في الوجه الشائع، وما يقال: إن في هذا الوجه حذف الموصول مع بعض أجزاء الصلة يجاب عنه بمنع كون ـ أل ـ في الوصف حيث لم يرد منه الحدوث موصولة فتأمل ولا تغفل، وقوله تعالى: ﴿**فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ**﴾ متعلق بالمقربون، أو بمضمر هو حال من ضميره أي كائنين في جنات النعيم، وعلى الوجهين فيه إشارة إلى أن قربهم محض لذة وراحة لا كقرب خواص الملك القائمين بأشغاله عنده بل كقرب جلسائه وندمائه الذين لا شغل لهم ولا يرد عليهم أمر أو نهي ولذا قيل: ﴿**في جنات النعيم**﴾ دون جنات الخلود ونحوه، وقيل: خبر ثان لاسم الإشارة وتعقب بأن الإخبار بكونهم فيها بعد الإخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية، وأجيب بأن الإخبار الأول للإشارة إلى اللذة الروحانية والإخبار الثاني للإشارة إلى اللذة الجسمانية.

وقرأ طلحة في جنة النعيم بالإفراد، وقوله تعالى: ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ**﴾ خبر مبتدأ مقدر أي هم ثلة الخ، وجوز كونه مبتدأ خبره محذوف أي منهم، أو خبراً أولاً أو ثانياً ـ لأولئك ـ وجوز أبو البقاء كونه مبتدأ والخبر ﴿**على سرر**﴾، والثلة في المشهور الجماعة كثرت أو قلّت، وقال الزمخشري: الأمة من الناس الكثيرة وأنشد قوله:

وجاءت إليهم ثلة خندفية ... بجيش كتيار من السيل مزبد

وقوله تعالى بعد: ﴿**وقليل**﴾ الخ كفى به دليلاً على الكثرة انتهى، والظاهر أنه أنشد البيت شاهداً لمعنى الكثرة في الثلة فإن كانت الباء تجريدية وهو الظاهر فنص وإلا فالاستدلال عليها من أن المقام مقام مبالغة ومدح، وأما استدلاله بما بعد فذلك لأن التقابل مطلوب لأن الثلة لم توضع للقليل بالإجماع حتى يحمل ما بعد على التقنن بل هي إما للكثرة والاشتقاق عليها أدل لأن الثل بمعنى الصب وبمعنى الهدم بالكلية، والثلة بالكسر الضأن الكثيرة وإما لمطلق الجماعة كالفرقة والقطعة من الثل بمعنى الكسر كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم إلا أن لاستعمال غلب على الكثير فيها فالمعنى جماعة كثيرة من الأولين وهم الناس المتقدمون من لدن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ**﴾ وهم الناس من لدن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم إلى قيام الساعة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أمتي يكثرون سائر الأمم» أي يغلبونهم في الكثرة لأن أكثرية سابقي المتقدمين من سابقي هذه الأمة لا تمنع أكثرية تابعي هؤلاء من تابعي أولئك.

وحاصل ذلك غلبة مجموع هذه الأمة كثرة على من سواها كقرية فيها عشرة من العلماء ومائة من العوام وأخرى فيها خمسة من العلماء وألف من العوام فخواص الأولى أكثر من خواص الثانية وعوام الثانية ومجموع أهلها أضعاف أولئك، لا يقال يأبى أكثرية تابعي هؤلاء قوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠] فإنه في حق أصحاب اليمين وهم التابعون، وقد عبر في كل بالثلة أي الجماعة الكثيرة لأنا نقول لا دلالة في الآية على أكثر من وصف كل من الفريقين بالكثرة وذلك لا ينافي أكثرية أحدهما فتحصل أن سابقي الأمم السوالف أكثر من سابقي أمتنا. وتابعي أمتنا أكثر من تابعي الأمم، والمراد بالأمم ما يدخل فيه الانبياء وحينئذ لا يبعد أن يقال: إن كثرة سابقي الأولين ليس إلا بأنبيائهم فما على سابقي هذه الأمة بأس إذ اكثرهم سابقو الأمم بضم لأنبياء عليهم السلام، وأخرج الإمام أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال: «لما نزلت ﴿**ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت ﴿**ثلة من الأولين وثلة من الآخرين**﴾ فقال النبي صلى الله تعال عليه وسلم: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة ـ أو شطر أهل الجنة ـ وتقاسمونهم النصف الثاني» وظاهره أنه شق عليهم قلة من وصف بها وأن الآية الثانية أزالت ذلك ورفعته وأبدلته

بالكثرة، ويدل على ذلك ما أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿**ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**﴾ حزن أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا إذاً لا يكون من أمة محمد ﷺ إلا قليل فنزلت نصف النهار ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ فنسخت ﴿**وقليل من الآخرين**﴾ وأبى ذلك الزمخشري فقال: إن الرواية غير صحيحة لأمرين: أحدهما أن الآية الأولى واردة في السابقين، الثانية في أصحاب اليمين، والثاني أن النسخ في الأخبار غير جائز فإذا أخبر تعالى عنهم بالقلة لم يجز أن يخبر عنهم بالكثرة من ذلك الوجه وما ذكر من عدم جواز النسخ في الأخبار أي في مدلولها مطلقاً هو المختار.

وقيل: يجوز النسخ في المتغير إن كان عن مستقبل لجواز المحو لله تعالى فيما يقدره والإخبار يتبعه، وعلى هذا البيضاوي، وقيل: يجوز عن الماضي أيضاً وعليه الإمام الرازي والآمدي، وأما نسخ مدلول الخبر إذا كان مما لا يتغير كوجود الصانع وحدوث العالم فلا يجوز اتفاقاً فإن كان ما نحن فيه مما يتغير فنسخه جائز عند البيضاوي ويوافقه ظهر خبر أبي هريرة الثاني، ولا يجوز على المختار الذي عليه الشافعي وغيره فقول صاحب الكشف: لا خلاف في عدم جواز النسخ في مثل ما ذكر من الخبر إذ لا يتضمن حكماً شرعياً لا يخلو عن شيء.

وأقول: قد يتعقب ما ذكره الزمخشري بأن الحديث قد صح وورود الآية الأولى في السابقين والثانية في أصحاب اليمين لا يرد مقتضاه فإنه يجوز أن يقال: إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لما سمعوا الآية الاولى حسبوا أن الأمر في هذه الأمة يذهب على هذا النهج فيكون أصحاب اليمين ثلة من الأولين وقليلاً منهم فيكثرهم الفائزون بالجنة من الأمم السوالف فخزنوا لذلك فنزل قوله تعالى في أصحاب اليمين: ﴿**ثلة من الأولين وثلة من الآخرين**﴾ وقال لهم النبي صلى الله تعال عليه وسلم ما قال مما أذهب به حزنهم وليس في هذا نسخ للخبر كما لا يخفى.

وقول أبي هريرة فنسخت ﴿**وقليل من الآخرين**﴾ إن صح عنه ينبغي تأويله بأن يقال أراد به فأزالت حسبان أن يذكر نحوه في الفائزين بالجنة من هذه الأمة غير السابقين فتدبر، وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: الفرقتان أي في قوله تعالى: ﴿**ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**﴾ في أمة كل نبي في صدرها ثلة وفي آخرها قليل، وقيل: هما من الأنبياء عليهم السلام كانوا في صدر الدنيا كثيرين وفي آخرها قليلين.

وقال أبو حيان: جاء في الحديث ـ الفرقتان في أمتي فسابق أول الأمة ثلة وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل ـ انتهى، وجاء في فرقتي أصحاب اليمين نحو ذلك، أخرج مسدد في مسنده وابن المنذر والطبراني وابن مردويه بسند حسن عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله سبحانه: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ قال: هما جميعاً من هذه الأمة، وأخرج جماعة بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً ما لفظه هما جميعاً من أمتي؛ وعلى هذا يكون الخطاب في قوله عز وجل: ﴿**وكنتم أزواجاً ثلاثة**﴾ لهذه الأمة فقط ﴿**عَلَى سُرُرٍ مَّوضُونَة**﴾ حال من المقربين أو من ضميرهم في قوله تعالى: ﴿**في جنات النعيم**﴾ بناءً على أنه في موضع الحال كما تقدم، وقيل: هو خبر آخر للضمير المحذوف المخبر عنه أولاً ـ بثلة ـ وفيه وجه آخر أشرنا إليه فيما مر، و﴿**موضونة**﴾ من الوضن وهو نسج الدرع قال الاعشى:

ومن نسج **داود** موضونة ... تسير مع الحي عيراً فعيرا

واستعير لمطلق النسج أو لنسج محكم مخصوص، ومن ذلك وضين الناقة وهو حزامها لأنه موضون أي مفتول؛ والمراد هنا على ما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس مرمولة أي منسوجة بالذهب، وفي رواية عنه بقضبان الفضة، وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت، وقيل: ﴿**موضونة**﴾ متصل بعضها ببعض كحلق الدرع، والمراد متقاربة، وقرأ

زيد بن علي وأبو السمال «سُرَرٍ» بفتح الراء وهي لغة لبعض تميم، وكلب يفتحون عين فعل جمع فعيل المضعف نحو سرير ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا﴾ حال من الضمير المستقر في الجار والمجرور أعني على سرر، وقوله تعالى: ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ حال منه أيضاً ولك أن تعتبر الحالين متداخلين.

والمراد كما قال مجاهد: لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق ورعاية الآداب وصفاء البواطن، وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِم﴾ حال أخرى أو استئناف أي يدور حولهم للخدمة ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي مبقون أبداً على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عن ذلك، وإلا فكل أهل الجنة مخلد لا يموت، وقال الفراء وابن جبير: مقرطون بخلدة وهي ضرب من الأقراط قيل: هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها، وروى هذا أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه، وعن الحسن البصري ـ واشتهر أنه عليه الصلاة والسلام ـ قال: أولاد الكفار خدم أهل الجنة ـ وذكر الطيبي أنه لم يصح بل صح ما يدفعه: أخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن عائشة قالت: توفي صبي فقلت: طوبى له عصفور في الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: أو لا تدرين أن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً، وفي رواية خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم.

وأخرج أبو داود عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله ذراري المؤمنين فقال من آبائهم فقلت: يا رسول الله بلا عمل قال: الله أعلم بما كانوا عاملين قلت: يا رسول الله فذراري المشركين قال: من آبائهم فقلت: بلا عمل قال: الله أعلم بما كانوا عاملين، وقيل: إنهم يمتحنون يوم القيامة فتخرج لهم نار ويؤمرون بالدخول فيها فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً وأدخل الجنة، ومن أبى أدخل النار مع سائر الكفار ويروون في ذلك أثراً.

ومن الغريب ما قيل: إنهم بعد الإعادة يكونون تراباً كالبهائم، وفي الكشف الأحاديث متعارضة في المسألة وكذلك المذاهب، والمسألة ظنية والعلم عند الله تعالى وهو عز وجل أعلم انتهى؛ والأكثر على دخولهم الجنة بفضل الله تعالى ومزيد رحمته تبارك وتعالى، وسيأتي إن شاء الله تعالى تمام الكلام في ذلك ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ بآنية لا عرا لها ولا خراطيم، والظاهر أنها الاقداح وبذلك فسرها عكرمة وهي جمع كوب ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمع إبريق وهو إناء له خرطوم قيل: وعروة، وفي البحر أنه من أواني الخمر، وأنشد قول عدي بن زيد:

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت ... قينة في يمينها إبريق

وفيه أيضاً أنه إفعيل من البريق، وذكر غير واحد أنه معرب ـ آب ريزاي ـ صاب الماء وهو أنسب مما في بعض نسخ القاموس أنه معرب ـ آب ري ـ بلا زاي، وأياً مّا كان فهو ليس مأخوذاً من البريق، نعم الإبريق بمعنى المرأة الحسنة والبراقة والسيف البراق والقوس فيها تلاميع مأخوذ من ذلك، ولعله يقول بأنه عربي لا معرب، وأن البريق مما فيه من الخمر والشعراء يصفونها بذلك كقوله:

مشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا

أو لأنه غالباً يتخذ مما له نوع بريق كالبلور والفضة ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أي خمر جارية من العيون كما قال ابن عباس وقتادة أي لم يعصر كخمر الدنيا، وقيل: خمر ظاهرة للعيون مرئية بها لأنها كذلك أهنأ، وأفرد الكأس على ما قيل لأنها لا تسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها، والمراد أنهم لا يلحق رؤوسهم صداع لأجل خمار يحصل منها كما في خمور الدنيا، وقيل: لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الأسباب كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع التفريق.

وقرأ مجاهد «لا يَصَّدَعُونَ» بفتح الياء وشد الصاد على أن أصله يتصدعون فأدغم التاء في الصاد أي لا يتفرقون كقوله تعالى: ﴿يومئذ يصدعون﴾ [الروم: ٤٣]، وقرىء «لا يَصْدَعُونَ» بفتح الياء والتخفيف أي لا يصدع بعضهم بعضاً ولا يفرقونهم أي لا يجلس داخل منهم بين اثنين فيفرق بين المتقاربين فإنه سوء الأدب وليس من حسن العشرة ﴿وَلا يُنزفُونَ﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك: لا تذهب عقولهم بسكرها من نزف الشارب كعنى إذا ذهب عقله، ويقال للسكران نزيف ومنزوف، وقيل: وهو من نزف الماء نزحه من البئر شيئاً فشيئاً فكان الكلام على تقدير مضاف.

وقرأ ابن أبي إسحاق وعبد الله والسلمي والجحدري والأعمش وطلحة وعيسى وعاصم كما أخرج عنه عبد بن حميد «ولا يُنْزِفُونَ» بضم الياء وكسر الزاي من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه، ومعناه صار ذا نزف؛ ونظيره أقشع السراب وقشعته الريح وحقيقته دخل في القشع، وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً «ولا يَنْزِفُونَ» بفتح الياء وكسر الزاي قال: في المجمع وهو محمول على أنه لا يفنى خمرهم، والتناسب بين الجملتين على ما سمعت فيهما أولاً على قراءة الجمهور أن الأولى لبيان نفي الضرر عن الأجسام، والثانية لبيان نفي الضرر عن العقول وتأمل لتعرفه إن شاء الله تعالى على ما عدا ذلك ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخيَّرُونَ﴾ أي يأخذون خيره وأفضله والمراد مما يرضونه ﴿وَلَحم طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ مما تميل نفوسهم إليه وترغب فيه، والظاهر أن فاكهة ولحم معطوفان على أكواب فتفيد الآية أن الولدان يطوفون بهما عليهم، واستشكل بأنه قد جاء في الآثار أن فاكهة الجنة وثمارها ينالها القائم والقاعد والنائم، وعن مجاهد أنها دانية من أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين، وأن الرجل من أهل الجنة يشتهي الطير من طيور الجنة فيقع في يده مقلياً نضجاً، وقد أخرج هذا ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة.

وأخرج عن ميمونة مرفوعاً أن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير إلى غير ذلك، وإذا كان الأمر كما ذكر استغنى عن طوافهم بالفاكهة واللحم، وأجيب بأن ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ حالة الاجتماع والشرب، ويفعلون ذلك الإكرام ومزيد المحبة والتعظيم والاحترام، وهذا كما يناول أحد الجلساء على خوان الآخر بعض ما عليه من الفواكه ونحوها وإن كان ذلك قريباً منه اعتناءً بشأنه وإظهاراً لمحبته والاحتفال به، وجوز أن يكون العطف على جنات النعيم وهو من باب ـ متقلداً سيفاً ورمحاً ـ أو من بابه المعروف، وتقديم الفاكهة على اللحم للإشارة إلى أنهم ليسوا بحالة تقتضي تقديم اللحم كما في الجائع فإن حاجته إلى اللحم أشد من حاجته إلى الفاكهة بل هم بحالة تقتضي تقديم الفاكهة واختيارها كما في الشبعان فإنه إلى الفاكهة أميل منه إلى اللحم، وجوز أن يكون ذلك لأن عادة أهل الدنيا لا سيما أهل الشرب منهم تقديم الفاكهة في الأكل وهو طباً مستحسن لأنها ألطف وأسرع انحداراً وأقل احتياجاً إلى المكث في المعدة للهضم، وقد ذكروا أن أحد أسباب الهيضة إدخال اللطيف من الطعام على الكثيف منه ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل واللحم يدفعها غالباً.

ويعلم من الوجه الأول وجه تخصيص التخير بالفاكهة والاشتهاء باللحم، وفيه إشارة إلى أن الفاكهة لم تزل حاضرة عندهم وبمرأى منهم دون اللحم ووجه ذلك أنها مما تلذه الأعين دونه، وقيل: وجه التخصيص كثرة أنواع الفاكهة واختلاف طعومها وألوانها وأشكالها وعدم كون اللحم كذلك، وفي التعبير بيتخيرون دون يختارون وإن تقاربا معنى إشارة لمكان صيغة التفعل إلى أنهم يأخذون ما يكون منها في نهاية الكمال وأنهم في غاية الغنى عنها، والله تعالى أعلم بأسرار كلامه ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ عطف على ﴿ولدان﴾ أو على الضمير المستكن في ﴿متكئين﴾ أو على مبتدأ حذف هو وخبره أي لهم هذا كل ﴿وحور﴾ أو مبتدأ حذف خبره أي لهم، أو فيها حور، وتعقب الوجه الأول بأن

الطواف لا يناسب حالهن، وأجيب بأنه لا يبعد أن يكون من الحور ما ليس بمقصورات في الخيام ولا مخدرات هن كالخدم لهن لا يبالي بطوافهن ولا ينكر ذلك عليهن، وأن الطواف في الخيام أنفسها وهو لا ينافي كونهم مقصورات فيها، أو أن العطف على معنى لهم ﴿**ولدان**﴾ و ﴿**حور**﴾ والثاني بأنه خلاف الظاهر جداً، والثالث بكثرة الحذف، و ﴿**عين**﴾ جمع عيناء وأصله عين على فعل كما تقول حمراء وحمر فكسرت العين لئلا تنقلب الياء واواً، وليس في كلام العرب ياءاً ساكنة قبلها ضمة كما أنه ليس فيه واو ساكنة قبلها كسرة.

وقرأ السلمي والحسن وعمرو بن عبيد وأبو جعفر وشيبة والأعمش وطلحة والمفضل وأبان وعصمة عن عاصم وحمزة والكسائي «وحور عين» بالجر، وقرأ النخعي كذلك إلا أنه قلب الواو ياءاً والضمة قبلها كسرة في «حور» فقال: وحير على الاتباع ـ لعين ـ وخرج على العطف على ﴿**جنات النعيم**﴾ وفيه مضاف محذوف كأنه قيل: هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور على تشبيه مصاحبة الحور بالظرف على نهج الاستعارة المكنية، وقرينتها التخييلية إثبات معنى الظرفية بكلمة ﴿**في**﴾ فهي باقية على معناها الحقيقي ولا جمع بين الحقيقة والمجاز، وذهب إلى العطف المذكور الزمخشري، وتعقبه أبو حيان فقال: فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض، وهو فهم أعجمي ـ وليس كما قال كما لا يخفى ـ أو على ﴿**أكواب**﴾ ويجعل من باب ـ متقلداً سيفاً ورمحاً ـ كما سمعت آنفاً فكأنه قيل: ينعمون بأكواب وبحور، وجوز أن يبقى على ظاهره المعروف، وأن الولدان يطوفون عليهم بالحور أيضاً لعرض أنواع اللذات عليهم من المأكول والمشروب والمنكوح كما تأتي الخدام بالسراري للملوك ويعرضوهن عليهم، وإلى هذا ذهب أبو عمر وقطرب، وأبى ذلك صاحب الكشف فقال: أما العطف على الولدان على الظاهر فلا لأن الولدان لا يطوفون بهن طوافهم بالأكواب، والقلب إلى هذا أميل إلا أن يكون هناك أثر يدل على خلافه، وكون الجر للجوار يأباه الفصل أو يضعفه. وقرأ أبيّ وعبد الله ـ وحوراً عيناً ـ بالنصب، وخرج على العطف على محل ﴿**بأكواب**﴾ لأن المعنى يعطون أكواباً وحوراً على أنه مفعول به لمحذوف أي ويعطون حوراً أو على العطف على محذوف وقع مفعولاً به لمحذوف أيضاً أي يعطون هذا كله وحوراً، وقرأ قتادة «وحورٌ» بالرفع مضافاً إلى «عين»، وابن مقسم «وحورَ» بالنصب مضافاً، وعكرمة ـ وحوراء عيناء ـ على التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما فاحتمل الجر والنصب ﴿**كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ**﴾ أي في الصفاء، وقيد بالمكنون أي المستور بما يحفظه لأنه أصفى وأبعد من التغير، وفي الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذي لا تمسه الأيدي، ووصف الحسنات بذلك شائع في العرب، ومنه قوله:

قامت تراءى بين سجفي كلة	كالشمس يوم طلوعها بالأسعد
أو درة صدفية غواصها	بهج متى يرها يهل ويسجد

والجار والمجرور في موضع الصفة لحور، أو الحال، والإتيان بالكاف للمبالغة في التشبيه، ولعل الأمر عليه نحو زيد قمر ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ مفعول له لفعل محذوف أي يفعل بهم ذلك كله جزاءاً بأعمالهم أو بالذي استمروا على عمله أو هو مصدر مؤكد أي يجزون جزاء ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً**﴾ ما لا يعتد به من الكلام وهو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا ـ وهو صوت العصافير ونحوها من الطير ـ وقد يسمى كل كلام قبيح لغواً ﴿**وَلا تَأْثِيماً**﴾ أي ولا نسبة إلى الإثم أي لا يقال لهم أثمتم، وعن ابن عباس كما أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم تفسيره بالكذب، وأخرجه هناد عن الضحاك ـ وهو من المجاز كما لا يخفى ـ والكلام من باب.

ولا ترى الضب بها ينجحر

﴿إلا قيلاً﴾ أي قولاً فهو مصدر مثله ﴿سَلاماً سَلاماً﴾ بدل من ﴿قيلاً﴾ كقوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً﴾ [مريم: ٦٢] وقال الزجاج: هو صفة له بتأويله بالمشتق أي سالماً من هذه العيوب أو مفعوله، والمراد لفظه فلذا جاز وقوعه مفعولاً للقول مع إفراده، والمعنى إلا أن يقول بعضهم لبعض ﴿سلاماً﴾، وقيل: هو مصدر لفعل مقدر من لفظه وهو مقول القول ومفعوله حينئذ أي نسلم سلاماً، والتكرير للدلالة على فشو السلام وكثرته فيما بينهم لأن المراد سلاماً بعد سلام، والاستثناء منقطع وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم محتمل لأن يكون من الضرب الأول منه، وهو أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح له بتقدير دخولها فيها بأن يقدر السلام هنا داخلاً فيما قيل فيفيد التأكيد من وجهين، وأن يكون من الضرب الثاني منه وهو أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى بأن لا يقدر ذلك، ويجعل الاستثناء من أصله منقطعاً فيفيد التأكيد من وجه، ولولا ذكر التأثيم ـ على ما قاله السعد ـ جاز جعل الاستثناء متصلاً حقيقة لأن معنى السلام الدعاء بالسلامة وأهل الجنة أغنياء عن ذلك فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الإكرام، وإنما منع التأثيم الذي هو النسبة إلى الإثم لأنه لا يمكن جعل السلام من قبيله وليس لك في الكلام أن تذكر متعددين ثم تأتي بالإستثناء المتصل من الأول مثل أن تقول: ما جاء من رجل ولا امرأة إلا زيداً ولو قصدت ذلك كان الواجب أن تؤخر ذكر لرجل، وقرىء ـ سلام سلام ـ بالرفع على الحكاية، وقوله تعالى: ﴿وَأَصحابُ ٱليَمين﴾ الخ شروع في بيان تفاصيل شؤونهم بعد بيان تفاصيل شؤون السابقين «وأصحاب» مبتدأ وقوله: ﴿ما أَصْحَابُ ٱليَمين﴾ جملة استفهامية مشعرة بتفخيمهم والتعجيب من حالهم وهي على ما قالوا: إما خبر للمبتدأ، وقوله سبحانه: ﴿في سدْر مَخْضُود﴾ خبر ثان له، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم في سدر، والجملة استئناف لبيان ما أبهم في قوله عز وجل: ﴿ما أصحاب اليمين﴾ من علو الشأن، وإما معترضة والخبر هو قوله تعالى شأنه: ﴿في سدر﴾ وجوز أن تكون تلك الجملة في موضع الصفة والخبر هو هذا الجار والمجرور، والجملة عطف على قوله تبارك وتعالى في شرح أحوال السابقين: ﴿أولئك المقربون في جنات النعيم﴾ [الواقعة: ١١، ١٢] أي ﴿وأصحاب اليمين﴾ المقول فيهم ﴿ما أصحاب اليمين﴾ كائنون ﴿في سدر﴾ الخ، والظاهر أن التعبير بالميمنة فيما مر، وباليمين هنا للتفنن، وكذا يقال في المشأمة والشمال فيما بعد، وقال الإمام: الحكمة في ذلك أن في الميمنة وكذا المشأمة دلالة على الموضع والمكان والأزواج الثلاثة في أول الأمر يتميز بعضهم عن بعض ويتفرقون بالمكان فلذا جيء أولاً بلفظ يدل على المكان وفيما بعد يكون التميز والتفرق بأمر فيهم فلذا لم يؤت بذلك اللفظ ثانياً، والسدر شجر النبق، والمخضود الذي خضد أي قطع شوكه، أخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن أبي أمامه قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله تعالى ينفعنا بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجر مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال: وما هي؟ قال: السدر فإن له شوكاً فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أليس الله يقول: ﴿في سدر مخضود﴾ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة وأن الثمرة من ثمره تفتق عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر».

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك أنه الموقر حملاً على أنه في خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب فمخضود مثنى الأغصان كني به عن كثير الحمل.

وقد أخرج ابن المنذر عن يزيد الرقاشي أن النبقة اعظم من القلال والظرفية مجازية للمبالغة في تمكنهم من التنعم والانتفاع بما ذكر ﴿وَطَلْح مَّنضُود﴾ قد نضد حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز

كما أخرج ذلك عبد الرزاق وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه، وأخرجه جماعة من طرق عن ابن عباس ورواه ابن المنذر عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري وعبد بن حميد عن الحسن، ومجاهد وقتادة، وعن الحسن أنه قال: ليس بالموز ولكنه شجر ظله بارد رطب، وقال السدي: شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل، وقيل: هو شجر من عظام العضاه، وقيل: شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة **﴿وَظِلٍّ مَّمدود ﴾** ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وظاهر الآثار يقتضي أنه ظل الأشجار.

أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤوا إن شئتم **﴿وظل ممدود ﴾**».

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي سعيد قال: «قال رسول الله ﷺ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وذلك الظل الممدود».

وأخرج ابن أبي حاتم ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام يخرج إليها أهل الجنة وأهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله تعالى ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا؛ وعن مجاهد أنه قال: هذا الظل من سدرها وطلحها، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمرو بن ميمون أنه قال: الظل الممدود مسيرة سبعين ألف سنة **﴿وَمَاء مَّسْكُوب ﴾** قال سفيان وغيره: جار من غير أخاديد، وقيل: منساب حيث شاؤوا لا يحتاجون فيه إلى سانية ولا رشاء وذكر هذه الأشياء لما أن كثيراً من المؤمنين لبداوتهم تمنوها، أخرج عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بوج وظلاله من طلحه وسدره فأنزل الله تعالى: **﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود ﴾** الخ، وفي رواية عن الضحاك «نظر المسلمون إلى وج فأعجبهم سدره وقالوا: يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية».

وقيل: كأنه لما شبه حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن من كونهم على سرر تطوف عليهم خدامهم بأنواع الملاذ شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البوادي من نزولهم في أماكن مخصبة فيها مياه وأشجار وظلال إيذاناً بأن التفاوت بين الفريقين كالتفاوت بين أهل المدن والبوادي، وذكر الإمام مدعياً أنه مما وفق له أن قوله تعالى: **﴿في سدر مخضود وطلح منضود ﴾**من باب قوله سبحانه: **﴿رب المشرق والمغرب ﴾** [الشعراء: ٢٨، المزمل: ٩] لأن السدر أوراقه في غاية الصغر والطلح يعني الموز أوراقه في غاية الكبر فوقعت الإشارة إلى الطرفين فيراد جميع الأشجار لأنها نظراً إلى أوراقها محصورة بينهما وهو مما لا بأس به، وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه، وجعفر بن محمد وعبد الله رضي الله تعالى عنهم «وطلع» بالعين بدل **﴿وطلح ﴾** بالحاء، وأخرج ابن الأنباري في المصاحف وابن جرير عن قيس بن عباد قال: قرأت على علي كرم الله تعالى وجهه **﴿وطلح منضود ﴾**فقال: ما بال الطلح؟ أما تقرأ وطلع، ثم قرأ قوله تعالى: **﴿لها طلع نضيد ﴾** [ق: ١٠] فقيل له: يا أمير المؤمنين أنحكها من المصحف؟ فقال: لا يهاج القرآن اليوم وهي رواية غير صحيحة كما نبه على ذلك الطيبي، وكيف يقر أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه تحريفاً في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس، أو كيف يظنّ بأن نقلة القرآن ورواته وكتابه من قبل تعمدوا ذلك أو غفلوا عنه؟ هذا والله تعالى قد تكفل بحفظه سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثم إن الذي يقتضيه النظم الجليل كما قال الطيبي: حمل **﴿في سدر مخضود ﴾** الخ على معنى التظليل،

وتكاثف الأشجار على سبيل الترقي لأن الفواكه مستغنى عنها بما بعد وليقابل قوله تعالى: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٣] قوله سبحانه: ﴿وأصحاب اليمين﴾ الخ فإذن لا مدخل لحديث الطلع في معنى الظل وما يتصل به لكن قال صاحب الكشف: إن وصف الطلح بكونه منضوداً لا يظهر له كثير ملاءمة لكون المقصود منفعة التظليل وينبغي أن يحمل الطلح على أنه من عظام العضاه على ما ذكره في الصحاح فشجر أم غيلان والموز لا ظل لهما يعتد به، ثم قال ولو حمل الطلح على المشموم لكان وجهاً انتهى، وقد قدمنا لك خبر سبب النزول فلا تغفل ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أي بحسب الأنواع والأجناس على ما يقتضيه المقام.

﴿لا مَقْطُوعَةٍ﴾ في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ﴿وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾عمن يريد تناولها بوجه من الوجوه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا، وقرىء ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾بالرفع في الجميع على تقدير وهناك ﴿فاكهة﴾ الخ ﴿وَفُرُشٍ﴾ جمع فراش كسراج وسرج، وقرأ أبو حيوة بسكون الراء ﴿مرفُوعَةٍ﴾ منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الأسرة فالرفع حسي كما هو الظاهر، وقد أخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وجماعة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ولا تستبعد ذلك من حيث العروج والنزول ونحوهما فالعالم عالم آخر وراء طور عقلك.

وأخرج هناد عن الحسن أن ارتفاعها مسيرة ثمانين سنة وليس بمثابة الخبر السابق، وقال بعضهم: أي رفيعة القدر على أن رفعها معنوي بمعنى شرفها وأياً مّا كان فالمراد بالفرش ما يفرش للجلوس عليه. وقال أبو عبيدة المراد بها النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش كما يكنى عنها باللباس ورفعهن في الأقدار والمنازل.

وقيل: على الأرائك وأيد إرادة النساء بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْناهنَّ إنشاء﴾لأن الضمير في الأغلب يعود على مذكور متقدم وليس إلا الفرش ولا يناسب العود إليه إلا بهذا المعنى والاستخدام بعيد هنا، وعلى القول في الفرش الضمير للنساء وإن لم يجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها فهو تتميم بياناً لمقدر يدل عليه السياق كأنه قيل: وفرش مرفوعة ونساء أو وحور عين، ثم استؤنف وصفهن بقوله سبحانه: ﴿إنا أنشأناهن﴾ تتميماً للبيان زيادة للترغيب لا لتعليل الرفع، وقيل: إن المرجع مضمر وتقدير المنزل وفرش مرفوعة لأزواجهم أو لنسائهم فإنا الخ استئناف علة للرفع أي وفرش مرفوعة لأزواجهم لأنا أنشأناهن، والأول أوفق لبلاغة القرآن العظيم، والمراد بأنشأناهن أعدنا إنشاءهن من غير ولادة لأن المخبر عنهن بذلك نساءكن في الدنيا.

فقد أخرج ابن جرير وعبد بن حميد والترمذي وآخرون عن أنس قال: «قال رسول الله ﷺ: في الآية إن المنشئات اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً» وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم وجماعة عن سلمة بن مرثد الجعفي قال: «سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا» وأخرج الترمذي في الشمائل وابن المنذر وغيرهما عن الحسن قال: «أتت عجوز فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكي قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ الخ، وقال أبو حيان: الظاهر أن الإنشاء هو الاختراع الذي لم يسبق بخلق ويكون ذلك مخصوصاً بالحور العين فالمعنى إنا ابتدأناهن ابتداءاً جديداً من غير ولادة ولا خلق أول ﴿فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكَاراً﴾تفسير لما تقدم، والجعل إما بمعنى التصيير، و ﴿أبكاراً﴾ مفعول ثان، أو بمعنى الخلق و «أبكاراً» حال أو مفعول ثان، والكلام من قبيل ضيق فم الركية، وفي الحديث «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن

أبكاراً» أخرجه الطبراني في الصغير والبزار عن أبي سعيد مرفوعاً ﴿عُرُباً﴾ متحببات إلى أزواجهن جمع عروب كصبور وصبر، وروي هذا عن جماعة من السلف وفسرها جماعة أخرى بغنجات، ولا يخفى أن الغنج ألطف أسباب التحبب، وعن زيد بن أسلم العروب الحسنة الكلام، وفي رواية عن ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد هن العواشق لأزواجهن، ومنه على ما قيل قول لبيد:

وفي الخدور **عروب غير فاحشة** ... ريا الروادف يعشى دونها البصر

وفي رواية أخرى عن مجاهد أنهن الغلمات اللاتي يشتهين أزواجهم، وأخرج ابن عدي بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً ـ خير نسائكم العفيفة الغلمة ـ وقال إسحاق بن عبد الله بن الحارث النوفلي: العروب الخفرة المتبذلة لزوجها، وأنشد:

يعرين عند بعولهن إذا خلوا ... وإذا **هم خرجوا فهن خفار**

ويرجع هذا إلى التحبب، وأخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿عرباً﴾ كلامهن عربي، ولا أظن لهذا صحة؛ والتفسير بالمتحببات هو الذي عليه الأكثر.

وقرأ حمزة وجماعة ـ منها عباس والأصمعي ـ عن أبي عمرو، وأخرى ـ منها خارجة وكردم ـ عن نافع، وأخرى منها حماد وأبو بكر وأبان ـ عن عاصم «عُرباً» بسكون الراء وهي لغة تميم، وقال غير واحد: هي للتخفيف كما في عنق وعنق ﴿أتراباً﴾ مستويات في سن واحد كما قال أنس وابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم كأنهن شبهن في التساوي بالترائب التي هي ضلوع الصدر أو كأنهن وقعن معاً على التراب أي الأرض وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن.

وأخرج الترمذي عن معاذ مرفوعاً «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين» والمراد بذلك كمال الشباب، وقوله تعالى: ﴿لأصحاب اليمين﴾ متعلق ـ بأنشانا ـ أو بجعلنا، وقيل: متعلق ـ بأتراباً ـ كقولك فلان ترب لفلان أي مساوٍ له فهو محتاج إلى التأويل، وتعقب بأنه مع هذا ليس فيه كثير فائدة وفيه نظر، وقيل: بمحذوف هو صفة ـ لأبكاراً ـ أي كائنات لأصحاب اليمين، وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير لطول العهد أو للتأكيد والتحقيق [الواقعة: ٣٩ ـ ٨٠] وقوله تعالى:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ

حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلآخرينَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلة، أو خبر ثان لهم المقدر مبتدأ مع **﴿في سدر﴾** أو **﴿لأصحاب اليمين﴾** في قوله تعالى: **﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾** أو مبتدأ خبره محذوف أي منهم، أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله احتمالات اعترض الأخير منها بأن المعنى عليه غير ظاهر ولا طلاوة فيه، وجعل اللام بمعنى من كما في قوله:

ونحن لكم يوم القيامة أفضل

لا يخفى حاله ـ والأولون والآخرون ـ المتقدمون والمتأخرون إما من الأمم وهذه الأمة، أو من هذه الأمة فقط على ما سمعت فيما تقدم، هذا ولم يقل سبحانه في حق أصحاب اليمين ـ جزاء بما كانوا يعملون ـ كما قاله عز وجل في حق السابقين رمزاً إلى أن الفضل في حقهم متمحض كأن عملهم لقصوره عن عمل السابقين لم يعتبر اعتباره. ثم الظاهر أن ما ذكر من حال أصحاب اليمين هو حالهم الذي ينتهون إليه فلا ينافي أن يكون منهم من يعذب لمعاص فعلها ومات غير تائب عنها ثم يدخل الجنة. ولا يمكن أن يقال: إن المؤمن العاصي من أصحاب الشمال لأن صريح أوصافهم الآتية يقتضي أنهم كانوا كافرين ويلزم من جعل هذا قسماً على حدة كون القسمة غير مستوفاة فليتأمل، والله تعالى أعلم.

والكلام في قوله تعالى: **﴿وَأَصْحابُ ٱلشِّمَال مَا أَصْحابُ ٱلشِّمَال * فِي سَمُوم﴾** على نمط ما سلف في نظيره، والسموم قال الراغب: الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم، وفي الكشاف حرّ نار ينفذ في المسام والتنوين للتعظيم وكذا في قوله تعالى: **﴿وَحَميم﴾** وهو الماء الشديد الحرارة **﴿وَظلّ مِّن يَحْمُوم﴾** أي دخان أسود كما قال ابن عباس وأبو مالك وابن زيد والجمهور وهي على وزن يفعول، وله نظائر قليلة من الحممة القطعة من الفحم وتسميته ظلاً على التشبيه التهكمي، وعن ابن عباس أيضاً أنه سرادق النار المحيط بأهلها يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم، وقال ابن كيسان: هو من أسماء جهنم فإنها سوداء وكذا كل ما فيها أسود بهيم نعوذ بالله تعالى منها. وقال ابن بريدة وابن زيد أيضاً: هو جبل من النار أسود يفزع أهل النار إلى ذراه فيجدونه أشد شيء، والجار والمجرور في موضع الصفة ـ لظل ـ وكذا قوله سبحانه: **﴿لا بَارد وَلا كَريم﴾** صفتان له، وتقديم الصفة الجار والمجرور على الصفة المفردة جائز كما صرح به الرضي وغيره أي لا بارد كسائر الظلال، ولا نافع لمن يأوي إليه من أذى الحر ـ وذلك كرمه ـ فهناك استعارة، ونفى ذلك ليمحق توهم ما في الظل من الاسترواح إليه وإن وصف أولاً بقوله تعالى: **﴿من يحموم﴾** والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي شأناً ليس للإثبات. ومن ذلك جاء التهكم والتعريض بأن الذي يستأهل الظل الذي فيه برد وإكرام غير هؤلاء فيكون أشجى لحلوقهم وأشد لتحسرهم، وقيل: الكرم باعتبار أنه مرضي في بابه، فالظل الكريم هو المرضي في برده وروحه، وفيه أنه لا يلائم ما هنا لقوله تعالى: **﴿لا بارد﴾** وجوز أن يكون ذلك نفياً لكرامة من يستروح

إليه ونسب إلى الظل مجازاً، والمراد أنهم يستظلون به وهم مهانون، وقد يحتمل المجلس الرديء لنيل الكرامة، وفي البحر يجوز أن يكونا صفتين ـ ليحموم ـ ويلزم منه وصف الظل بهما، وتعقب بأن وصف اليحموم وهو الدخان بذلك ليس فيه كبير فائدة! وقرأ ابن أبي عبلة «لا بَاردٌ ولا كَريمٌ» برفعهما أي لا هو بارد ولا كريم على حدّ قوله:

فأبيت لا حرج ولا محروم

أي لا أنا حرج ولا محروم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب، وسلك هذا المسلك في تعليل الابتداء بالعذاب اهتماماً بدفع توهم الظلم في التعذيب، ولما كان إيصال الثواب مما ليس فيه توهم نقص أصلاً لم يسلك فيه نحو هذا، والمترف هنا بقرينة المقام هو المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع، والمعنى أنهم عذبوا لأنهم كانوا قبل ما ذكر من العذاب في الدنيا متبعين هوى أنفسهم وليس لهم رادع منها يردعهم عن مخالفة أوامره عز وجل وارتكاب نواهيه سبحانه كذا قيل، وقيل: هو العاتي المستكبر عن قبول الحق والإذعان له، والمعنى أنهم عذبوا لأنهم كانوا في الدنيا مستكبرين عن قبول ما جاءتهم به رسلهم من الإيمان بالله عز وجل وما جاء منه سبحانه، وقيل: هو الذي أترفته النعمة أي أبطرته وأطغته، وقريب منه ما قيل: هو المنعم المنهمك في الشهوات، وعليه قول أبي السعود أي إنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها، وتعقب بأن كثيراً من أهل الشمال ليسوا مترفين بالمعنى الذي اعتبره فكيف يصح تعليل عذاب الكل بذلك ولا يرد هذا على ما قدمناه من القولين كما لا يخفى.

ومن الناس من فسر المترف بما ذكر وتفصى عن الاعتراض بأن تعليل عذاب الكل بما ذكر في حيز العلة لا يستدعي أن يكون كل من المذكورات موجوداً في كل من أصحاب الشمال بل وجود المجموع في المجموع وهذا لا يضر فيه اختصاص البعض بالبعض فتأمله، وقيل: المترف المجعول ذا ترفة أي نعمة واسعة والكل مترفون بالنسبة إلى الحالة التي يكونون عليها يوم القيامة، وهو على ما فيه لا يظهر أمر التعليل عليه ﴿وَكَانُوا يُصِرُّون﴾ يتشددون ويمتنعون من الاقلاع ويداومون ﴿عَلَى الحنث﴾ أي الذنب ﴿ٱلعَظِيم﴾ وفسر بعضهم الحنث بالذنب العظيم لا بمطلق الذنب وأيد بأنه في الأصل العدل العظيم فوصفه بالعظيم للمبالغة في وصفه بالعظم كما وصف الطود وهو الجبل العظيم به أيضاً، والمراد به كما روي عن قتادة والضحاك وابن زيد الشرك وهو الظاهر.

وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي أن المراد به الكبائر وكأنه جعل المعنى ـ وكانوا يصرون على كل حنث عظيم ـ وفي رواية أخرى عنه أنه اليمين الغموس وظاهره الإطلاق، وقال التاج السبكي في طبقاته: سألت الشيخ، يعني والده تقي الدين ـ ما الحنث العظيم؟ ـ فقال: هو القسم على إنكار البعث المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ [النحل: ٣٨] وهو تفسير حسن لأن الحنث وإن فسر بالذنب مطلقاً أو العظيم فالمشهور استعماله في عدم البر في القسم، وتعقب بأنه يأباه قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أئذَا متنا وَكُنَّا تُراباً وَعظاماً﴾ إلى آخره للزوم التكرار، وأجيب بأن المراد بالأول وصفهم بالثبات على القسم الكاذب وبالثاني وصفهم بالاستمرار على الإنكار والرمز إلى استدلال ظاهر الفساد مع أنه لا محذور في تكرار ما يدل على الإنكار وهو توطئة وتمهيد لبيان فساده، والمراد بقولهم: ـ كنا تراباً وعظاماً ـ كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ونحوهما تراباً وبعضها عظاماً نخرة، وتقديم التراب لأنه أبعد عن الحياة التي يقتضيها ما هم بصدد إنكاره من البعث، ـ وإذا ـ متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى: ﴿أئِنا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لا مبعوثون نفسه لتعدد ما يمنع من عمل ما بعده فيما قبله ـ وهو

نبعث ـ وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له بالكلية وهذا كالاستدلال على ما يزعمونه، وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد، وقوله سبحانه: ﴿أَوَ آباؤُنا ٱلأَوَّلُونَ﴾ عطف على محل ـ إن ـ واسمها أو على الضمير المستتر في مبعوثون وحسن للفصل بالهمزة وإن كانت حرفاً واحداً ـ كما قال الزمخشري ـ ولا يضر عمل ما قبل هذه الهمزة في المعطوف بعدها لأنها مكررة للتأكيد وقد زحلقت عن مكانها، وقولهم: الحرف إذا كرر للتأكيد فلا بد أن يعاد معه ما اتصل به أولاً أو ضمير لا يسلم اطراده لورود:

«ولا ـ للما ـ بهم أبداً دواء» وأمثاله، وجوز أن يكون ﴿آباؤنا﴾ مبتدأ وخبره محذوف دل عليه ما قبل أي مبعوثون، والجملة عطف على الجملة السابقة وهو تكلف يغني عنه العطف المذكور والمعنى ـ أيبعث أيضاً آباؤنا ـ على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل، وقرأ قالون وابن عامر «أَوْ آبَاؤُنَا» بإسكان الواو وعلى هذه القراءة لا يعطف على الضمير إذ لا فاصل.

﴿قُلْ﴾ رداً لإنكارهم وتحقيقاً للحق ﴿إِنَّ ٱلأَوَّلِينَ وَٱلآخرِينَ﴾ من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم، وتقديم الأولين للمبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ بعد البعث، وقرىء «لمجمعون» ﴿إِلَىٰ ميقات يَوم مَّعلُوم﴾ وهو يوم القيامة ومعنى كونه معلوماً كونه معيناً عند الله عز وجل، والميقات ما وقت به الشيء أي حد، ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً، وإضافته ﴿إلى يوم﴾ بيانية كما في خاتم فضة، وكون يوم القيامة ميقاتاً لأنه وقتت به الدنيا، و ﴿إلى﴾ للغاية والانتهاء، وقيل: والمعنى ﴿لمجموعون﴾ منتهين إلى ذلك اليوم، وقيل: ضمن معنى السوق فلذا تعدى بها ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّالُّونَ﴾ عطف على ﴿إن الأولين﴾ داخل في حيز القول، و﴿ثم﴾ للتراخي الزماني أو الرتبي ﴿ٱلمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث، أو بما يعمه وغيره ويدخل هو دخولاً أولياً للسياق على ما قيل، والخطاب لأهل مكة وأضرابهم ﴿لآكِلُونَ﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿من شَجَر مِّن زَقُّوم﴾ ﴿من﴾ الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون للأكل من شجر هو زقوم، وجوز كون الأولى تبعيضية و﴿من﴾ الثانية على حالها، وجوز كون ﴿من زقوم﴾ بدلاً من قوله تعالى: ﴿من شجر﴾ فمن تحتمل الوجهين، وقيل: الأولى زائدة، وقرأ عبد الله من شجرة فوجه التأنيث ظاهر في قوله تعالى: ﴿فَمَالِئُونَ منهَا ٱلبُطُونَ﴾ أي بطونكم من شدة الجوع فإنه الذي اضطرهم وقسرهم على أكل مثلها مما لا يؤكل، وأما على قراءة الجمهور فوجهه الحمل على المعنى لأنه بمعنى الشجرة، أو الأشجار إذا نظر لصدقه على المتعدد، وأما التذكير على هذه القراءة في قوله سبحانه: ﴿فَشارِبُونَ عَلَيه﴾ أي عقيب ذلك بلا ريث ﴿مِنَ ٱلحَمِيم﴾ أي الماء الحار في الغاية لغلبة العطش فظاهر لا يحتاج إلى تأويل، وقال بعضهم: التأنيث أولاً باعتبار المعنى والتذكير ثانياً باعتبار اللفظ، فقيل عليه: إن فيه اعتبار اللفظ بعد اعتبار المعنى على خلاف المتعارف فلو أعيد الضمير المذكور على الشجر باعتبار كونه مأكولاً ليكون التذكير والتأنيث باعتبار المعنى كان أولى وفيه بحث، ووجهه على القراءة الثانية أن الضمير عائد على الزقوم أو على الشجر باعتبار أنها زقوم أو باعتبار أنها مأكول، وقيل: هو مطلقاً عائد على الأكل، وتعقب بأنه بعيد لأن الشرب عليه لا على تناوله مع ما فيه من تفكيك الضمائر وكونه مجازاً شائعاً وغير ملبس لا يدفع البعد فتأمل.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك جمع أهيم وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء وهو داء يشبه الاستسقاء يصيب الإبل فتشرب حتى تموت، أو تسقم سقماً شديداً، ويقال إبل هيماء وناقة هيماء كما يقال: جمل أهيم قال الشاعر:

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها

وجعل بعضهم ﴿الهيم﴾ هنا جمع الهيماء، وقيل: هو جمع هائم أو هائمة، وجمع فاعل على فعل كبازل وبزل شاذ، وعن ابن عباس أيضاً وسفيان ﴿الهيم﴾ الرمال التي لا تروى من الماء لتخلخلها ومفرده هيام بفتح الهاء على المشهور كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض من قلب الضمة كسرة لتسلم بالياء ويخف اللفظ فكسرت الهاء لأجل الياء وهو قياس مطرد في بابه، وقال ثعلب: هو بالضم كقراد وقرد ثم خفف وفعل به ما فعل مما سمعت والعطف بالفاء قيل: لأن الإفراط بعد الأصلي، وقيل: لأن كلاً من المتعاطفين أخص من الآخر فإن شارب الحميم قد لا يكون به داء الهيام ومن به داء الهيام قد يشرب غير الحميم، والشرب الذي لا يحصل الري ناشىء عن شرب الحميم لأنه لا يبل الغليل، والذي اختاره ما قاله مفتي الديار الرومية: إن ذلك كالتفسير لما قبله أي لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم، والشرب بالضم مصدر، وقيل: اسم لما يشرب، وقرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ـ كما روى جماعة منهم الحاكم وصححه ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما «شرب» بفتح الشين وهو مصدر شرب المقيس، وبذلك قرأ جمع من السبعة والأعرج وابن المسيب وشعيب ومالك بن دينار وابن جريج، وقرأ مجاهد وأبو عثمان النهدي بكسر الشين وهو اسم بمعنى المشروب لا مصدر كالطحن والرعي ﴿هَٰذَا﴾ الذي ذكر من ألوان العذاب ﴿نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما يقدم للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت لهم الدار في النار، وفي جعله نزلاً مع أنه مما يكرم به النازل من التهكم ما لا يخفى، ونظير ذلك قوله:

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرأ ابن محيصن وخارجة عن نافع ونعيم ومحبوب وأبو زيد وهارون وعصمة وعباس كلهم عن أبي عمرو نزلهم بتسكين الزاي المضمومة للتخفيف كما في البيت، والجملة مسوقة من جهته سبحانه وتعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أي فهلا تصدقون بالخلق بقرينة ﴿نحن خلقناكم﴾ ولما لم يحقق تصديقهم المشعر به قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨] عملهم حيث لم يقترن بالطاعة والأعمال الصالحة بل اقترن بما ينبىء عن خلافه من الشرك والعصيان نزل منزلة العدم والإنكار فحضوا على التصديق بذلك، وقيل: المراد فهلا تصدقون بالبعث لتقدمه وتقدم إنكاره في قولهم ﴿أئنا لمبعوثون﴾ [الإسراء: ٤٩، ٩٨، المؤمنون: ٨٢، الصافات: ١٦، الواقعة: ٤٧] فيكون الكلام إشارة إلى الاستدلال بالإبداء على الاعادة فإن من قدر عليه قدر عليها حتماً، والأول هو الوجه كما يظهر مما بعد إن شاء الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف، وقرأ ابن عباس وأبو السمال «تَمْنُون» بفتح التاء من مني النطفة بمعنى أمناها أي أزالها بدفع الطبيعة ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ أي تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً تام الخلقة، فالمراد خلق ما يحصل منه على أن في الكلام تقديراً أو

تجوزاً، وجوز إبقاء ذلك على ظاهره أي ﴿أأنتم تخلقونه﴾ وتنشئون نفس ذات ما تمنونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخالِقُونَ﴾ له من غير دخل شيء فيه ـ وأرأيتم ـ قد مر الكلام غير مرة فيه، ويقال هنا: إن اسم الموصول مفعوله الأول والجملة الاستفهامية مفعوله الثاني، وكذا يقال فيم بعد من نظائره وما يعتبر فيه الرؤية بصرية تكون الجملة الاستفهامية فيه مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وجوز في ـ أنتم ـ أن يكون مبتدأ، والجملة بعده خبره، وأن يكون فاعلاً لفعل محذوف والاصل أتخلقون فلما حذف الفعل انفصل الضمير، واختاره أبو حيان. و ﴿أم﴾ قيل: منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى ـ بل أنحن الخالقون ـ على أن الاستفهام للتقرير، وقال قوم من النحاة: متصلة معادلة للهمزة كأنه قيل: ﴿أأنتم تخلقونه أم نحن﴾ ثم جيء ـ بالخالقون ـ بعد بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة، وقرأ ابن كثير «قَدَرْنَا» بالتخفيف ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي لا يغلبنا أحد ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ أي على أن نذهبكم ونأتي مكانكم أشباهكم من الخلق فالسبق مجاز عن الغلبة استعارة تصريحية أو مجاز مرسل عن لازمه، وظاهر كلام بعض الأجلة أنه حقيقة في ذلك إذا تعدى بعلى، والجملة في موضع الحال من ضمير ﴿قدرنا﴾ وكأن المراد ﴿قدرنا﴾ ذلك ونحن قادرون على أن نميتكم دفعة واحدة ونخلق أشباهكم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الخلق والأطوار التي لا تعهدونها، وقال الحسن: من كونكم قردة وخنازير، ولعل اختيار ذلك لأن الآية تنحو إلى الوعيد، والمراد ونحن قادرون على هذا أيضاً وجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل بفتحتين بمعنى الصفة لا جمع مثل بالسكون بمعنى الشبه كما في الوجه الأول أي ونحن نقدر على أن نغير صفاتكم التي أنتم عليه خَلقاً وَخُلُقاً وننشئكم في صفات لا تعلمونها، وقيل: المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، وقيل: المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته الذي وقتناه، على أن المراد تمثيل حال من سلم من الموت أو تأخر أجله عن الوقت المعين له بحال من طلبه طالب فلم يلحقه وسبقه، وقوله تعالى: ﴿على أن نبدل﴾ الخ في موضع الحال من الضمير المستتر في مسبوقين أي حال كوننا قادرين أو عازمين على تبديل أمثالكم، والجملة السابقة على حالها، وقال الطبري: ﴿على أن نبدل﴾ متعلق ـ بقدّرنا ـ وعلة له وجملة ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ اعتراض، والمعنى نحن قدرنا بينكم الموت لأن نبدل أمثالكم أي نميت طائفة ونبدلها بطائفة هكذا قرناً بعد قرن ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ من خلقكم من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة؛ وقال قتادة: هي فطرة آدم عليه السلام من التراب ولا ينكرها أحد من ولده ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فهلا تتذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر وأقدر فإنها أقل صنعاً لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال، وهذا ـ على ما قالوا ـ دليل على صحة القياس لكن قيل: لا يدل إلا على قياس الأولى لأنه الذي في الآية، وفي الخبر عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى، وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور.

وقرأ طلحة تذكرون بالتخفيف وضم الكاف ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ما تبذرون حبه وتعملون في أرضه ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تنبتونه وتردونه نباتاً يرف وينمى إلى أن يبلغ الغاية ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أي المنبتون لا انتم والكلام في ـ أنتم ـ و ﴿أم﴾ كما مر آنفاً، وأخرج البزار وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في شعب الايمان ـ وضعفه ـ وابن حبان ـ كما قال الخفاجي ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت، ثم قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ألم تسمعوا الله تعالى يقول: ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أن نحن الزارعون﴾» يشير رضي الله تعالى عنه إلى أنه عليه الصلاة السلام أخذ النهي من

هذه الآية فإنه أسند الحرث إلى المخاطبين دون الزرع، وقال القرطبي: إنه يستحب للزارع أن يقول بعد الاستعاذة وتلاوة هذه الآية الله تعالى الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، وقيل: وقد جرب هذا الدعاء لدفع آفات الزرع كلها وإنتاجه ﴿لَو نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطاماً﴾ هشيماً متكسراً متفتتاً لشدة يبسه بعدما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله ﴿فَظَلْتُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال على ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، وقال الحسن: تندمون أي على ما تعبتم فيه، وأنفقتم عليه من غير حصول نفع، أو على ما اقترفتم لأجله من المعاصي، وقال عكرمة: تلاومون على ما فعلتم، وأصل التفكه التنقل بصنوف الفاكهة واستعير للتنقل بالحديث وهو هنا ما يكون بعد هلاك الزرع وقد كني به في الآية عن التعجب، أو الندم أو التلاوم على اختلاف التفاسير، وفي البحر كل ذلك تفسير باللازم، ومعنى ﴿تفكهون﴾ تطرحون الفكاهة عن أنفسكم وهي المسرة، ورجل فكه منبسط النفس غير مكترث بشيء وتفكه من أخوات تحرج وتحوب أي إن التفعل فيه للسلب.

وقرأ أبو حيوة وأبو بكر في رواية العتكي عنه «فَظِلْتُم» بكسر الظاء كما قالوا: مست بالكسر ومست بالفتح، وحكاها الثوري عن ابن مسعود وجاءت عن الأعمش، وقرأ عبد الله والجحدري ـ فظللتم ـ بلامين أولاهما مكسورة، وقرأ الجحدري أيضاً كذلك مع فتح اللام والمشهور ظللت بالكسر، وقرأ أبو حزام «تفكنون» بالنون بدل الهاء، قال ابن خالويه: تفكه بالهاء تعجب، وتفكن بالنون تندم ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي معذبون مهلكون من الغرام وهو الهلاك قال الشاعر:

إن يعذب يكن غراماً وإن يعـ ... ـط جزيلاً فإنه لا يبالي

والمراد مهلكون بهلاك رزقنا، وقيل: بالمعاصي أو ملزمون غرامة بنقص رزقنا، وقرأ الأعمش والجحدري وأبو بكر ـ أئنا بالاستفهام والتحقيق، والجملة على القراءتين بتقدير قول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون أي قائلين، أو تقولون ذلك ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ محدودون لا مجدودون أو محرومون الرزق كأنهم لما قالوا: إنا مهلكون لهلاك رزقنا أضربوا عنه وقالوا: بل هذا أمر قدر علينا لنحوسة طالعنا وعدم بختنا، أو لما قالوا: إنا ملزمون غرامة بنقص أرزاقنا أضربوا فقالوا: ﴿بل نحن محرمون﴾ الرزق بالكلية ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الماءَ الَّذي تَشرَبُونَ﴾ عذْباً فراتاً، وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به ﴿أَأَنتُم أَنزَلْتُمُوهُ منَ الْمُزْن﴾ أي السحاب واحدته مزنة، قال الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا أرض أبقل إبقالها

وقيل: هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزلُونَ﴾ له بقدرتنا.

﴿لَوْ نشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾ ملحاً ذعاقاً لا يمكن شربه من الأجيج وهو تلهب النار. وقيل: الأجاج كل ما يلذع الفم ولا يمكن شربه فيشمل الملح والمر والحار، فإما أن يراد ذلك، أو الملح بقرينة المقام وحذفت اللام من جواب لو ها هنا للقرينة اللفظية والحالية ومتى جاز حذف ـ لم أر ـ في قول أوس:

حتى إذا الكلاب قال لها ... «...» كاليوم مطلوباً ولا طلبا

والقرينة حالية فأولى أن يجوز حذفها وحدها لذلك على ما قرره الزمخشري، وقرر وجهاً آخر حاصله أن اللام لمجرد التأكيد فتناسب مقام التأكيد فأدخلت في آية المطعوم دون المشروب للدلالة على أن أمره مقدم على أمره، وأن

الوعيد بفقده أشدّ وأصعب من قبل أن المشروب تبع له ألا يرى أن الضيف يسقى بعد أن يطعم، وقد ذكر الأطباء أن الماء مبذرق، ويؤيد ذلك تقديمه على المشروب في النظم الجليل، وللإمام في هذا المقام كلام طويل اعترض به على الزمخشري وبين فيه وجه الذكر أولاً والحذف ثانياً، ولم أره أتى بما يشرح الصدر، وخير منه عندي قول ابن الأثير في المثل السائر: إن اللام أدخلت في المطعوم دون المشروب لأن جعل الماء العذب ملحاً أسهل إمكاناً في العرف والعادة والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب، وكثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحاً إلى زيادة تأكيد فلذا لم تدخل لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق، وأما المطعوم فإن جعله حطاماً من الأشياء الخارجة عن المعتاد وإذا وقع يكون عن سخط شديد، فلذا قرن باللام لتقرير إيجاده وتحقيق أمره انتهى.

﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ تحضيض على شكر الكل لأنه أفيد دون عذوبة الماء فقط كما ذهب إليه البعض.

نعم أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر رضي الله تعالى عنه «أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا شرب الماء قال: الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا» ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ التي منها الزناد وهي المرخ والعفار، وقيل: المراد بالشجرة نفس النار كأنه قيل: نوعها أو جنسها فاستعير الشجرة لذلك وهو قول متكلف بلا حاجة.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلمنشئون﴾ لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبىء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الأشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل ـ في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار ـ كما أن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء في قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ [المؤمنون: ١٤] لذلك ﴿نَحْنُ جَعَلْناهَا تَذْكِرَةً﴾ استئناف معين لمنافعها أي جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا بها ما أوعدوا به، أو جعلناها تذكرة وأنموذجاً من جهنم لما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم «ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» وعلى الوجهين التذكرة من الذكر المقابل للنسيان ولم ينظر في الأول إلى أنها من جنس نار جهنم أولاً وفي الثاني نظر إلى ذلك، وقيل: تبصرة في أمر البعث لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر المضاد لها قادر على إعادة ما تفرقت مواده، وقيل: تبصرة في الظلام يبصر بضوئها، وفيه أن التذكرة لا تكون بمعنى التبصرة المأخوذة من البصر وكون المراد تذكرة لنار جهنم هو المأثور عن الكثيرين، ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿وَمَتاعاً﴾ ومنفعة ﴿لِلْمُقْوِين﴾ للذين ينزلون القواء وهي القفر من أقوى دخل القواء كأصحر دخل الصحراء وتخصيص المقوين بذلك لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين، أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد.

وقيل: ﴿للمقوين﴾ أي المسافرين، ورواه جمع عن ابن عباس وعبد بن حميد عن الحسن، وهو وابن جرير وعبد الرزاق عن قتادة بزيادة كم من قوم قد سافروا ثم أرملوا فأججوا ناراً فاستدفئوا وانتفعوا بها، وكان إطلاق المقوين على المسافرين لأنهم كثيراً ما يسلكون القفراء والمفاوز، وقيل: ﴿للمقوين﴾ للفقراء يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد كأنه تصور من حال الحاصل في القفر الفقر، فقيل: ـ أقوى ـ فلان أي افتقر كقولهم أترب وأرمل، وقال ابن زيد: للجائعين لأنهم أقوت أي خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام فهم يحتاجون إليها لطبخ ما يأكلون وخصوا ـ على ما قيل ـ لأن غيرهم يتنعم بها لا يجعلها متاعاً، وتعقب بأنه بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويسدّ خلتهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ، وقال عكرمة ومجاهد: المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين

يستضيئون بها ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز، قال العلامة الطيبي والطبرسي: وعلى هذا القول ـ المقوي ـ من الأضداد يقال للفقير: مقو لخلوه من المال، وللغني مقو لقوّته على ما يريد يقال: أقوى الرجل إذا صار إلى حال القوة والمعنى متاعاً للأغنياء والفقراء لأنه لا غنى لأحد عنها انتهى.

وفيه بحث لا يخفى، ولعل الأقرب عليه أنه أريد بالإقواء الاحتياج والمستمتع بها محتاج إليها فتدبر، وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروي وتقديم أمر الماء على أمر النار لأن الاحتياج إليه أشد وأكثر والانتفاع به أعم وأوفر، وقال بعضهم: قدم أمر خلق الإنسان من نطفة لأن النعمة في ذلك قبل النعمة في الثلاثة بعد، ثم ذكر بعده ما به قوام الإنسان من فائدة الحرث وهو الطعام الذي لا يستغني عنه الجسد الحي وذلك الحب الذي يختبز فيحتاج بعد حصوله إلى حصول الماء ليعجن به فلذا ذكر بعده ثم إلى النار لتصييره خبزاً فلذا ذكرت بعد الماء وهو كما ترى، واستحسن بعضهم من القارىء أن يقول بعد كل جملة استفهامية من الجمل السابقة: بل أنت يا رب، فقد أخرج عبد الرزاق وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه عن حجر المروي قال: بت عند عليّ كرم تعالى وجهه فسمعته وهو يصلي بالليل يقرأ فمر بهذه الآية ﴿**أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**﴾ فقال: بل أنت يا رب ثلاثاً، ثم قرأ ﴿**أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**﴾ فقال: بل أنت يا رب ثلاثاً، ثم قرأ ﴿**أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون**﴾ فقال: بل أنت يا رب ثلاثاً، ثم قرأ ﴿**أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون**﴾ فقال: بل أنت يا رب ثلاثاً، وأنت تعلم أن في استحسان قول مثل ذلك في الصلاة اختلافاً بين العلماء ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلعَظِيمِ**﴾ مرتب على ما عدد من بدائع صنعه عز وجل وودائع نعمه سبحانه وتعالى، والمراد على ما قيل: أحدث التسبيح تنزيلاً للفعل المتعدي منزلة اللازم وأريد من إحداثه استمراره لا إيجاده لأنه عليه الصلاة والسلام غير معرض عنه، وتعقبه الطيبي بأن هذا عكس ما يقتضيه لفظ الإحداث، فالمراد تجديد التسبيح، وفي الكلام إضمار أي سبح بذكر اسم ربك، أو الاسم مجاز عن الذكر فإن إطلاق الاسم للشيء ذكره، والباء للاستعانة أو الملابسة وكونها للتعدية كما هو ظاهر كلام أبي حيان ليس بشيء، والعظيم صفة للاسم، أو للرب، وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد إما لتنزيهه تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدانيته عز وجل الكافرون بنعمه سبحانه مع عظمها وكثرتها، أو للشكر على تلك النعم السابقة لأن تنزيهه تعالى وتعظيمه جل وعلا بعد ذكر نعمه سبحانه مدح عليها فهو شكر للمنعم في الحقيقة، أو للتعجب من أمر الكفرة في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها؛ وسبحان ترد للتعجب مجازاً مشهوراً فسبح بمعنى تعجب، وأصله فقل سبحان الله للتعجب وفيه بعد وما تقدم أظهر.

هذا وجوز أن لا يكون في ﴿**باسم ربك**﴾ إضمار ولا مجاز بل يبقى على ظاهره فقد قالوا في قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١]: كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته سبحانه عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن سوء الأدب وهو أبلغ لأنه يلزمه تقديس ذاته عز وجل بالطريق الأولى على طريق الكناية الرمزية، وفيه أنه إنما يتأتى لو لم تذكر الباء، وجعلها زائدة خلاف الظاهر، وحال كونها للتعدية قد سمعته، وجعل بعضهم على هذا الخطاب لغير معين فقال: إنه تعالى لما ذكر ما ذكر من الأمور وكان الكل معترفين بأنها من الله تعالى وكان الكفار إذا طولبوا بالوحدانية قالوا: نحن لا نشرك في المعنى وإنما نتخذ أصناماً آلهة وذلك إشراك في الاسم، والذي خلقنا وخلق السماوات والأرض هو الله تعالى فنحن ننزهه في الحقيقة قال سبحانه: ﴿**فسبح باسم ربك**﴾ على معنى كما أنك أيها الغافل اعترفت بعدم اشتراكها في الحقيقة اعترف بعدم اشتراكها في الاسم ولا تقل لغيره تعالى إلهاً فإن الاسم يتبع المعنى والحقيقة، فالخطاب كالخطاب في قول الواعظ يا مسكين أفنيت عمرك وما

أصلحت أمرك لا يريد به أحداً بعينه، وإنما يريد أيها المسكين السامع وهو كما ترى، نعم احتمال عموم الخطاب مما لا ينكر لكن لا يتعين عليه هذا التقرير، ثم الظاهر أن المراد بذكر الرب أو ذكر اسمه سبحانه على ما تقرر سابقاً ما هو المتبادر المعروف.

وفي الكشف إن المراد بذلك تلاوته صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن أو لهذه السورة الكريمة المتضمنة لإثبات البعث والجزاء ومراتب أهله لينطبق عليه قوله تعالى بعد: ﴿فلا أقسم﴾ وعلى الأول لا بد من إضمار ـ أي فسبح باسم ربك وامتثل ما أمرت به ـ فأقسم إنه لقرآن، والغرض تأكيد الأمر بالتسبيح، وأنا أقول يتأتى الانطباق على الظاهر أيضاً سوى أنه يعتبر في الكلام إضمار ولا بأس بأن يقال: إنه تعالى لما ذكر ما ذكر من النعم الجليلة الداعية لتوحيده سبحانه ووصفه بما يليق به عز وجل قال سبحانه: ﴿فسبح باسم ربك﴾ أي فنزهه تعالى عما يقولون في وصفه سبحانه، وأقبل على إنذارهم بالقرآن والاحتجاج عليه به بعد الاحتجاج بما ذكرنا فأقسم إنه لقرآن كيت وكيت فلا في قوله عز وجل: ﴿فَلَاَ أُقْسِمُ﴾ مزيدة للتأكيد مثلها في قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ [الحديد: ٢٩] أو هي لام القسم أشبعت فتحتها فتولدت منها ألف نظير ما في قوله:

أعوذ بالله من العقراب

واختاره أبو حيان ثم قال: وهو وإن كان قليلاً فقد جاء نظيره في قوله تعالى: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ [إبراهيم: ٣٧] بياء بعد الهمزة وذلك في قراءة هشام.

ويؤيد قراءة الحسن وعيسى فلا قسم ـ وهو مبني على ما ذهب إليه تبعاً لبعض النحويين من أن فعل الحال يجوز القسم عليه فيقال: والله تعالى ليخرج زيد وعليه قول الشاعر:

ليعلم ربي أن بيتي واسع

وحينئذ لا يصح أن يقرن الفعل بالنون المؤكدة لأنها تخلصه للاستقبال وهو خلاف المراد، والذي اختاره ابن عصفور والبصريون أن فعل الحال كما هنا لا يجوز أن يقسم عليه ومتى أريد من الفعل الاستقبال لزمت فيه النون المؤكدة فقيل: لأقسمن وحذفها ضعيف جداً، ومن هنا خرجوا قراءة الحسن وعيسى على أن اللام لام الابتداء والمبتدأ محذوف لأنها لا تدخل على الفعل والتقدير فلأنا أقسم، وقيل: نحوه في قراءة الجمهور على أن الألف قد تولدت من الإشباع، وتعقب بأن المبتدأ إذ دخل عليه لام الابتداء يمتنع أو يقبح حذفه لأن دخولها لتأكيده وهو يقتضي الاعتناء به وحذفه يدل على خلافه، وقال سعيد بن جبير وبعض النحاة: ـ لا ـ نفي وردّ لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة كأنه قيل: فلا صحة لما يقولون فيه ثم استؤنف فقيل: ﴿أقسم﴾ الخ، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يجوز لما فيه من حذف اسم ـ لا ـ وخبرها في غير جواب سؤال نحو ـ لا ـ في جواب هل من رجل في الدار، وقيل: الأولى فيما إذا قصد بلا نفي لمحذوف واستئناف لما بعدها في اللفظ الإتيان بالواو نحو ـ لا ـ وأطال الله تعالى بقاءك، وقال: بعضهم إن ـ لا ـ كثيراً ما يؤتى بها قبل القسم على نحو الاستفتاح كما في قوله:

لا وأبيك ابنة العامريّ ... لا يدّعي القوم أني أفرّ

وقال أبو مسلم وجمع: إن الكلام على ظاهره المتبادر منه، والمعنى لا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أي لا يحتاج إلى قسم مّا فضلاً عن أن هذا القسم العظيم، فقول مفتي الديار الرومية أنه يأباه تعيين المقسم به وتفخيمه ناشيء عن الغفلة على ما لا يخفى على فطن ﴿بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أي بمساقط كواكب السماء ومغاربها

كما جاء في رواية عن قتادة والحسن على أن الوقوع بمعنى السقوط والغروب وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال أثرها، والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير، ولذا استدل الخليل عليه السلام بالأفول على وجود الصانع جل وعلا، أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» وعن الحسن أيضاً المراد مواقعها عند الانكدار يوم القيامة قيل: وموقع عليه مصدر ميمي أو اسم زمان ولعل وقوعها ذلك اليوم ليس دفعة واحدة والتخصيص لما في ذلك من ظهور عظمته عز وجل وتحقق ما ينكره الكفار من البعث، وعن أبي جعفر وأبي عبد الله على آبائهما وعليهما السلام المراد مواقعها عند الانقضاض إثر المسترقين السمع من الشياطين، وقد مرّ لك تحقيق أمر هذا الانقضاض فلا تغفل، وقيل: مواقع النجوم هي الأنواء التي يزعم الجاهلية أنهم يمطرون بها، ولعله مأخوذ من بعض الآثار الواردة في سبب النزول وسنذكره إن شاء الله تعالى وليس نصاً في إرادة الأنواء بل يجوز عليه أن يراد المغارب مطلقاً.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة أنها منازلها ومجاريها على أن الوقوع النزول كما يقال: على الخبير سقطت وهو شائع والتخصيص لأن له تعالى في ذلك من الدليل على عظيم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به نطاق البيان، وقال جماعة منهم ابن عباس: النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها.

وأخرج النسائي وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عنه أن قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين» وفي لفظ «ثم نزل من السماء الدنيا إلى الأرض نجوماً ثم قرأ فلا أقسم بمواقع النجوم» وأيد هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى بعد: ﴿**إنه لقرآن**﴾ يعود حينئذ على ما يفهم من مواقع النجوم حتى يكاد يعدّ كالمذكور صريحاً ولا يحتاج إلى أن يقال يفسره السياق كما في سائر الأقوال، ووجه التخصيص أظهر من أن يخفى، ولعل الكلام عليه من باب «وثناياك إنها إغريض».

وقرأ ابن عباس وأهل المدينة وحمزة والكسائي «بموقع» مفرداً مراداً به الجمع.

﴿**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾ مشتمل على اعتراض في ضمن آخر فقوله تعالى: ﴿**إنه لقسم**﴾ ﴿**عظيم**﴾ معترض بين القسم والمقسم عليه وهو قوله سبحانه: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**﴾ وهو تعظيم للقسم مقرر مؤكد له، وقوله عز وجل ﴿**لو تعلمون**﴾ معترض بين الصفة والموصوف وهو تأكيد لذلك التعظيم وجواب ﴿**لو**﴾ إما متروك أريد به نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أي لعظمتموه أو لعملتم بموجبه، ووجه كون ذلك القسم عظيماً قد أشير إليه فيما مر، أو هو ظاهر بناء على أن المراد ﴿**بمواقع النجوم**﴾ ما روي عن ابن عباس والجماعة، ومعنى كون القرآن كريماً أنه حسن مرضي في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع، وكيف لا وقد اشتمل على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش، والمعاد، والكرم على هذا مستعار ـ كما قال الطيبي ـ من الكرم المعروف.

وقيل: الكرم أعم من كثرة البذل والإحسان والاتصاف بما يحمد من الأوصاف ككثرة النفع فإنه وصف محمود فكونه كرماً حقيقة، وجوز أن يراد كريم على الله تعالى قيل: هو يرجع لما تقدم، وفيه تقدير من غير حاجة وأياً مّا كان فمحط الفائدة الوصف المذكور قيل: إن مرجع الضمير هو القرآن لا من حيث عنوان كونه قرآناً فبمجرد الإخبار عنه بأنه قرآن تحصل الفائدة أي إنه لمقروء على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا أنه أنشأه كما زعمه

الكفار، وقوله تعالى: ﴿في كتاب مَّكنُون ﴾ وصف آخر للقرآن أي كائن في كتاب مصون عن غير المقربين من الملائكة عليهم السلام لا يطلع عليه من سواهم، فالمراد به اللوح المحفوظ كما روي عن الربيع بن أنس وغيره، وقيل: أي في كتاب مصون عن التبديل والتغيير وهو المصحف الذي بأيدي المسلمين ويتضمن ذلك الإخبار بالغيب لأنه لم يكن إذ ذاك مصاحف، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عكرمة أنه قال: في كتاب أي التوراة والإنجيل، وحكي ذلك في البحر ثم قال: كأنه قال: ذكر في كتاب مكنون كرمه وشرفه، فالمعنى على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة انتهى.

والظاهر أنه أريد على هذا بالكتاب الجنس لتصح إرادة التوراة والإنجيل، وفي وصف ذلك بالمكنون خفاء ولعله أريد به جليل الشأن عظيم القدر فإن الستر كاللازم للشيء الجليل، وجوز إرادة هذا المعنى المجازي على غير هذا القول من الأقوال، وقيل: الكتاب المكنون قلب المؤمن وهو كما ترى.

وقيل: المراد من كونه في كتاب مكنون كونه محفوظاً من التغيير والتبديل ليس إلا كما قال تعالى: ﴿وإنا له لحافظون ﴾ [يوسف: ٦٣] والمعول عليه ما تقدم، وجوز تعلق الجار بكريم كما يقال زيد كريم في نفسه، والمعنى إنه كريم في اللوح المحفوظ وإن لم يكن كريماً عند الكفار، والوصفية أبلغ كما لا يخفى، وقوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون ﴾ إما صفة بعد صفة لكتاب مراداً به اللوح، فالمراد بالمطهرون الملائكة عليهم السلام أي المطهرون المنزهون عن كدر الطبيعة ودنس الحظوظ النفسية، وقيل: عن كدر الأجسام ودنس الهيولي والطهارة عليهما طهارة معنوية، ونفي مسه كناية عن لازمه وهو نفي الاطلاع عليه وعلى ما فيه، وإما صفة أخرى لقرآن.

والمراد بالمطهرون المطهرون عن الحدث الأصغر والحدث الأكبر بحمل الطهارة على الشرعية، والمعنى لا ينبغي أن يمس القرآن إلا من هو على طهارة من الناس فالنفي هنا نظير ما في قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ [النور: ٣] وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه» الحديث وهو بمعنى النهي بل أبلغ من النهي الصريح، وهذا أحد أوجه ذكروها للعدول عن جعل ـ لا ـ ناهية، وثانيها أن المتبادر كون الجملة صفة والأصل فيها أن تكون خبرية ولا داعي لاعتبار الإنشائية وارتكاب التأويل، وثالثها أن المتبادر من الضمة أنها إعراب فالحمل على غيره فيه إلباس، ورابعها أن عبد الله قرأ ما يمسه وهي تؤيد أن لا نافية وكون المراد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام مروي من عدة طرق عن ابن عباس، وكذا أخرجه جماعة عن أنس وقتادة وابن جبير ومجاهد وأبي العالية وغيرهم إلا أن في بعض الآثار عن بعض هؤلاء ما هو ظاهر في أن الضمير في ﴿لا يمسه ﴾ مع كون المراد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام راجع إلى القرآن.

أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة أنه قال: في الآية ذاك عند رب العالمين لا يمسه إلا المطهرون من الملائكة فأما عندكم فيمسه المشرك والنجس، والمنافق الرجس، وأخرجاهما وابن المنذر والبيهقي في المعرفة عن الحبر قال: في الآية الكتاب المنزل في السماء لا يمسه إلا الملائكة، ويشير إليه ما أخرج ابن المنذر عن النعيمي قال: قال مالك: أحسن ما سمعت في هذه الآية ﴿لا يمسه إلا المطهرون ﴾ أنها بمنزلة الآية التي في عبس ﴿كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة﴾ [عبس: ١١ ـ ١٦] وكون المراد بهم المطهرين من الأحداث مروي عن محمد الباقر على آبائه وعليه السلام وعطاء وطاوس وسالم.

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن زيد قال: كنا مع سلمان ـ يعني الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه فانطلق إلى حاجة فتوارى عنا فخرج إلينا فقلنا لو توضأت

فسألناك عن أشياء من القرآن؟ فقال: سلوني فإني لست أمسه إنما يمسه المطهرون ثم تلا ﴿**لا يمسه إلا المطهرون**﴾، وقيل: الجملة صفة لقرآن، والمراد ـ بالمطهرون ـ المطهرون من الكفر، والمس مجاز عن الطلب كاللمس في قوله تعالى: ﴿إنا لمسنا السماء﴾ [الجن: ٨] أي لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر، ولم أر هذا مروياً عن أحد من السلف، والنفي عليه على ظاهره، ورجح جمع جعل الجملة وصفاً للقرآن لأن الكلام مسوق لحرمته وتعظيمه لا لشأن الكتاب المكنون، وإن كان في تعظيمه تعظيمه. وصحح الإمام جعلها وصفاً للكتاب ـ وفيه نظر ـ وعلى الوصفيه للقرآن ذهب من ذهب إلى اختيار تفسير المطهرين بالمطهرين عن الحدث الأكبر والأصغر.

وفي الأحكام للجلال السيوطي استدل الشافعي بالآية على منع المحدث من مس المصحف وهو ظاهر في اختيار ذلك، والاحتمال جعل الجملة صفة للكتاب المكنون أو للقرآن، وكون المراد بالمطهرين الملائكة المقربين عليهم السلام على ما سمعت عن ابن عباس وقتادة عدل الأكثرون عن الاستدلال بها على ذلك إلى الاستدلال بالأخبار، فقد أخرج الامام مالك وعبد الرزاق وابن أبي داود وابن المنذر عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه قال في كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعمرو بن حزم «ولا تمس القرآن إلا على طهور».

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يمس القرآن إلا طاهر» إلى غير ذلك، وقال بعضهم: يجوز أن يؤخذ منع مس غير الطاهر القرآن من الآية على الاحتمالين الآخرين أيضاً، وذلك لأنها أفادت تعظيم شأن القرآن وكونه كريماً، والمس بغير طهر مخل بتعظيمه فتأباه الآية وهو كما ترى، وأطال الإمام الكلام في هذا المقام بما لا يخفى حاله على من راجعه، نعم لا شك في دلالة الآية على عظم شأن القرآن ومقتضى ذلك الاعتناء بشأنه ولا ينحصر الاعتناء بمنع غير الطاهر عن مسه بل يكون بأشياء كثيرة كالإكثار من تلاوته والوضوء لها وأن لا يقرأه الشخص وهو متنجس الفم فإنه مكروه.

وقيل: حرام كالمس باليد المتنجسة، وكون القراءة في مكان نظيف، والقارىء مستقبل القبلة متخشعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه، والاستياك لقراءته، والترتيل، والتدبر، والبكاء، أو التباكي، وتحسين الصوت بالقراءة وأن لا يتخذه معيشة، وأن يحافظ على أن لا ينسى آية أوتيها منه، فقد أخرج أبو داود وغيره «عرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها، وأن لا يجامع بحضرته فإن أراد ستره، وأن لا يضع غيره من الكتب السماوية وغيرها فوقه، وأن لا يقلب أوراقه بأصبع عليها بزاق ينفصل منه شيء فقد قيل بكفر من يفعل ذلك إلى أمور أخر مذكورة في محالها، وفي وجوب كون القارىء طاهراً من الأحداث خلاف، فعن ابن عباس في رواية أنه يجوز للجنب قراءة القرآن، وروي ذلك أيضاً عن الإمام أبي حنيفة، وعن ابن عمر أحب إلي أن لا يقرأ إلا طاهر وكأنهم اعتبروه كسائر الأذكار والفرق مثل الشمس ظاهر.

وقرأ عيسى «المطهرون» اسم مفعول مخففاً من أطهر، ورويت عن نافع وأبي عمرو، وقرأ سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه «المُطَهّرون» بتخفيف الطاء وتشديد الهاء وكسرها اسم فاعل من طهر أي ﴿**المطهرون**﴾ أنفسهم، أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام، وعنه أيضاً «المُطَّهِّرون» بتشديدهما وأصله المتطهرون فأدغم التاء بعد إبدالها في الطاء؛ ورويت عن الحسن وعبد الله بن عون، وقرىء المتطهرون على الأصل ﴿**تنزيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلعالمينَ**﴾ صفة أخرى للقرآن أي منزل، أو وصف بالمصدر لأنه ينزل نجوماً من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك أجري مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل.

وجوز كونه خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل على الاستئناف، وقرىء تنزيلاً بالنصب على نزل تنزيلاً.

أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿**أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيث**﴾ أي أتعرضون فبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله والإيمان بما تضمنه وأرشد إليه وهو القرآن الكريم ﴿**أَنتُم مُّدْهِنُونَ**﴾ متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به، وأصل الادهان كما قيل: جعل الأديم ونحوه مدهوناً بشيء من الدهن ولما كان ذلك مليناً ليناً محسوساً يراد به اللين المعنوي على أنه تجوز به عن مطلق اللين أو استعير له، ولذا سميت المداراة مداهنة وهذا مجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية، ولذا تجوز به هنا عن التهاون أيضاً لأن المتهاون بالأمر لا يتصلب فيه وعن ابن عباس والزجاج ﴿**مدهنون**﴾ أي مكذبون وتفسيره بذلك لأن التكذيب من فروع التهاون.

وعن مجاهد أي منافقون في التصديق به تقولون للمؤمنين آمنا به وإذا خلوتم إلى إخوانكم قلتم: إنا معكم والخطاب عليه للمنافقين وما قدمناه أولى، والخطاب عليه للكفار كما يقتضيه السياق.

وجوز أن يراد بهذا الحديث ما تحدثوا به من قبل في قوله سبحانه: وكانوا يقولون ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون﴾ [الواقعة: ٤٧، ٤٨] فالكلام عود إلى ذلك بعد رده كأنه قيل: أفبهذا الحديث الذي تتحدثون به في إنكار البعث أنتم مدهنون أصحابكم أي تعلمون خلافه وتقولونه مداهنة أم أنتم به جازمون وعلى الإصرار عليه عازمون، ولا يخفى بعده، وفيه مخالفة لسبب النزول وستعلمه قريباً إن شاء الله تعالى ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ**﴾ شكركم ﴿**أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا، أخرج ذلك الإمام أحمد والترمذي وحسنه والضياء في المختارة وجماعة عن علي كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو إما إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى أن في الكلام مضافاً مقدراً أي شكر رزقكم أو إشارة إلى أن الرزق مجاز عن لازمه وهو الشكر، وحكى الهيثم بن عدي أن من لغة ازدشنوءة ما رزق فلان فلاناً بمعنى شكره، ونقل عن الكرماني أنه نقل في شرح البخاري أن الرزق من أسماء الشكر واستبعد ذلك ولعله هو ما حكاه الهيثم، وفي البحر وغيره أن علياً كرم الله تعالى وجهه وابن عباس قرآ ـ شكركم ـ بدل ﴿**رزقكم**﴾ وحمله بعض شراح البخاري على التفسير من غير قصد للتلاوة وهو خلاف الظاهر، وقد أخرج ابن مردويه عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قرأ علي كرم الله تعالى وجهه «الواقعة» في الفجر فقال: «وتجعلون ـ شكركم ـ أنكم تكذبون» فلما انصرف قال: إني قد عرفت أنه سيقول قائل لِمَ قرأها هكذا إني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ كذلك كانوا إذا أمطروا قالوا: أمطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى ـ وتجعلون ـ شكركم أنكم إذا مطرتم تكذبون ـ ومعنى جعل شكرهم التكذيب جعل التكذيب مكان الشكر فكأنه عينه عندهم فهو من باب.

تحية بينهم ضرب وجيع

ومنه قول الراجز:

وكان شكر القوم عند المنن **كي الصحيحات وفقء الأعين**

وأكثر الروايات أن قوله تعالى: ﴿**وتجعلون**﴾ الخ نزل في القائلين: مطرنا بنوء كذا من غير تعرض لما قبل.

وأخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال: «مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا: هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة: ٧٥] حتى بلغ ﴿**وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**﴾.

وأخرج نحوه ابن عساكر في تاريخه عن عائشة رضي الله تعالى عنها وكان ذلك على ما أخرج ابن أبي حاتم عن أبي عروة رضي الله تعالى عنه في غزوة تبوك نزلوا الحجر فأمرهم ﷺأن لا يحملوا من مائه شيئاً ثم ارتحلوا ونزلوا منزلاً آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عليه الصلاة والسلام فصلى ركعتين ثم دعا فأمطروا وسقوا فقال رجل من الأنصار يتهم بالنفاق: إنما مطرنا بنوء كذا فنزل ما نزل، ولعل جمعاً من الكفار قالوا نحو ذلك أيضاً بل هم لم يزالوا يقولون ذلك، والأخبار متضافرة على أن الآية في القائلين بالانواء، بل قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أنها توبيخ لأولئك، وظاهر مقابلة الشكر بالكفر في الحديث السابق أن المراد بالكفر كفران النعمة إذا أضيفت لغير موجدها جل جلاله؛ وقد صح ذكره مع الإيمان، أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما سلم أقبل علينا فقال: هل تدرون ما قال ربكم في هذه الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فقال: قال: ما أنعمت على عبادي نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين فأما من آمن بي وحمدني على سقياي فذلك الذي آمن بي وكفر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك الذي آمن بالكوكب وكفر بي» والآية على القول بنزولها في قائلي ذلك ظاهرة في كفرهم المقابل للإيمان فكأنهم كانوا يقولونه عن اعتقاد أن الكواكب مؤثرة حقيقة موجدة للمطر وهو كفر بلا ريب بخلاف قوله مع اعتقاد أنه من فضل الله تعالى، والنوء ميقات وعلامة له فإنه ليس بكفر، وقيل: تسميته كفراً لأنه يفضي إليه إذا اعتقد أنه مؤثر حقيقة.

هذا وقيل: معنى الآية ـ وتجعلون شكركم ـ لنعمة القرآن ـ أنكم تكذبون ـ به، ويشير إلى ذلك ما رواه قتادة عن الحسن: بئس ما أخذ القوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله تعالى إلا التكذيب.

وفي الإرشاد أنه الأوفق لسياق النظم الكريم وسباقه، وأقول ما قدمناه تفسير مأثور نطقت به السنة المقبولة، وذهب إليه الجمهور وليس فيه ما يأبى إرادة معنى مطابق لسبب النزول وموافق لسياق النظم الكريم وسباقه، وذلك بأن يقال: إنه عز وجل بعد أن وصف القرآن بما دل على جلالة شأنه وعزة مكانه وأشعر باشتماله على ما فيه تزكية النفوس وتحليتها بما يوجب كمالها من العقائد الحقة ونحوها حيث قال سبحانه: ﴿**تنزيل من رب العالمين**﴾ فعبر جل وعلا عن ذاته سبحانه بلفظ الرب الدال على التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً.

وقد يستفاد ذلك من وصفه بكريم بناء على أن المراد به نفاع جم المنافع فإنه لا منفعة أجل مما ذكر وكان قد ذكر عز وجل غير بعيد ما يدل على أنه تعالى هو المنزل لماء المطر لا غيره سبحانه استقلالاً ولا اشتراكاً قال عز قائلاً: أفبهذا القرآن الجليل الشأن المشتمل على العقائد الحقة المرشد إلى ما فيه نفعكم أنتم متهاونون فلا تشكرون الله تعالى عليه وتجعلون بدل شكركم أنكم تكذبون به، ومن ذلك أنكم تقولون إذا مطرتم مطرنا بنوء كذا وكذا فتسندون إنزال المطر إلى الكواكب وقد أرشدكم غير مرة إلى ما يأبى ذلك من العقائد وهداكم إلى أنه تعالى هو المنزل للمطر لا الكواكب ولا غيرها أصلاً ـ فما جاء من تفسير تكذبون بتقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ليس المراد منه إلا بيان نوع

اقتضاه الحال من التكذيب بالقرآن المنعوت بتلك النعوت الجليلة وكون ذلك على الوجه الذي يزعمه الكفار تكذيباً به مما لا ينتطح فيه كبشان، وهذا لا تمحل فيه، وقد يقال على تقدير أن يراد بالرزق المطر وكون ﴿**تكذبون**﴾ على معنى تكذبون بكونه ـ أي المطر ـ من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء وإن لم أقف على التصريح به في أثر يعول عليه، المعنى أفبهذا القرآن الجليل المرشد إلى أن كل نعمة منه تعالى لا غير المصرح عن قريب بأنه المنزل للمطر وحده ﴿**أنتم مدهنون**﴾ أي تكذبون على ما سمعت عن ابن عباس والزجاج ومن ذلك أنكم ﴿**تجعلون**﴾ موضع شكر ما يرزقكم من المطر وينزله لكم أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى وتنسبونه إلى الأنواء، والتبكيت الآتي مبني على تكذيبهم بالقرآن المفهوم من ﴿**تكذبون**﴾ أو من قوله سبحانه: ﴿**أنتم مدهنون**﴾ لكن التكذيب به باعتبار التكذيب ببعض ما نطق به بما سبق وتوقف المراد بالآية على الخبر غير بدع في القرآن الكريم، وحال عطف ﴿**تجعلون رزقكم أنكم تكذبون**﴾ على ما قبله لا يخفى على نبيه، فتأمل والله تعالى الموفق لفهم كتابه الكريم.

وقرأ المفضل عن عاصم «تَكْذُبُون» بالتخفيف من الكذب وهو قولهم في القرآن إنه ـ وحاشاه ـ افتراء ويرجع إلى هذا قولهم في المطر: إنه من الأنواء لأن القرآن ناطق بخلافه، وقوله تعالى: ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم**﴾ الخ تبكيت كما سمعت وذلك باعتبار تكذيبهم بما نطق به قوله تعالى: ﴿**نحن خلقناكم**﴾ الخ أعني الآيات الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم ـ ولولا ـ للتحضيض بإظهار عجزهم، و ﴿**إذا**﴾ ظرفية، و ﴿**الحلقوم**﴾ مجرى الطعام؛ وضمير ﴿**بلغت**﴾ للنفس لانفهامها من الكلام وإن لم يجر لها ذكر قبل، والمراد بها الروح بمعنى البخار المنبعث عن القلب دون النفس الناطقة فإنها لا توصف بما ذكر وكأنه مبني على القول بتجرد النفس الناطقة وهي المسماة بالروح الأمرية، وأنها لا داخل البدن ولا خارجه ولا تتصف بصفات الأجسام كالصعود والنزول وغيرهما على ما اختاره حجة الإسلام الغزالي وجماعة من المحققين، ومذهب السلف أن النفس الناطقة وهي الروح المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] جسم لطيف جداً سار في البدن سريان ماء الورد في الورد وهو حي بنفسه يتصف بالخروج والدخول وغيرهما من صفات الأجسام وقد رد العلامة ابن القيم قول الغزالي ومن وافقه بأدلة كثيرة ذكرها في كتابه الروح، ووصفها ببلوغ الحلقوم عليه ظاهر.

وأما على القول بالتجرد وعدم التحيز فقيل: المراد به ضعف التعلق بالبدن وقرب انقطاعه عنه فكأنه قيل: فلولا إذا حان انقطاع تعلق الروح بالبدن ﴿**وأنتم**﴾ أيها الخاسرون حول صاحبها ﴿**حينئذ**﴾ أي حين إذ بلغت الحلقوم ووصلت إليه أو حان انقطاع تعلقها ﴿**تنظرون**﴾ إلى ما يقاسيه من الغمرات، وقيل: ﴿**تنظرون**﴾ حالكم ووجهه أنهم يعلمون أن ما جرى عليه يجري عليهم فكأنهم شاهدوا حال أنفسهم وليس بذاك.

وقرأ عيسى حينئذ بكسر النون اتباعاً لحركة الهمزة في إذ ﴿**ونحن اقرب إليه**﴾ أي المحتضر المفهوم من الكلام ﴿**منكم**﴾ والمراد بالقرب العلم وهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب فإن القرب أقوى سبب للاطلاع والعلم، وقال غير واحد: المراد القرب علماً وقدرة أي نحن أقرب إليه من كل ذلك منكم حيث لا تعرفون من حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدّة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها الحقيقية ولا أن تقدروا على مباشرة دفعها إلا بما لا ينجع شيئاً ونحن المستولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت ﴿**ولكن لا تبصرون**﴾ لا تدركون كوننا أقرب إليه منكم لجهلكم بشؤوننا وقد علمت أن الخطاب

للكفار، وقيل: لا تدركون كنه ما يجري عليه على أن الاستدراك من تنظرون؛ والابصار من البصر بالعين تجوّز به عن الإدراك أو هو من البصيرة بالقلب؛ وقيل: أريد بأقربيته تعالى إليه منهم أقربية رسله عز وجل أي ورسلنا الذين يقبضون روحه ويعالجون إخراجها أقرب إليه منهم ولكن لا تبصرونهم ﴿**فَلَولاَ إن كُنتُم غَيرَ مَدينينَ**﴾ أي غير مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم وتعبدهم، ومنه قيل للعبد: مدين وللأمة مدينة قال الأخطل:

ربت وربا في حجرها ابن **مدينة** ... تراه على مسحاته يتركل

والكلام ناظر إلى قوله تعالى: ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ [الواقعة: ٥٧]، وقيل: هو من دان بمعنى انقاد وخضع، وتجوز به عن الجزاء كما في قولهم ـ كما تدين تدان ـ أي فلولا إن كنتم غير مجزيين وجعل ناظراً لإنكارهم البعث وليس بشيء ﴿**تَرْجعونَهَا**﴾ أي الروح إلى مقرها والقائلون بالتجرد يقولون أي ترجعون تعلقها كما كان أولاً.

﴿إن كُنتُم صادقين﴾ في اعتقادكم عدم خالقيته تعالى فإن عدم تصديقهم بخالقيته سبحانه لهم عبارة عن تصديقهم بعدمها على مذهبهم، وفي البحر وغيره إن كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدىء المعيد ونسبتكم إنزال المطر إلى الأنواء دونه عز وجل، وترجعون المذكور هو العامل ـ بإذا ـ الظرفية في ﴿**إذا بلغت الحلقوم**﴾ وهو المحضض عليه ـ بلولا ـ الأولى، و ﴿**لولا**﴾ الثانية تكرير للتأكيد، و ﴿**لولا**﴾ الأولى مع ما في حيزها دليل جواب الشرط الأول أعني ﴿**إن كنتم غير مدينين**﴾ والشرط الثاني مؤكد للأول مبين له، وقدم أحد الشرطين على ﴿**ترجعونها**﴾ للاهتمام والتقدير ـ فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مربوبين صادقين فيما تزعمونه من الاعتقاد الباطل فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم ـ وحاصل المعنى أنكم إن كنتم غير مربوبين كما تقتضيه أقوالكم وأفعالكم فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن إذا بلغت الحلقوم وتردونها كما كانت بقدرتكم أو بواسطة علاج للطبيعة، وقوله تعالى: ﴿**وأنتم حينئذ تنظرون**﴾ جملة حالية من فاعل ﴿**بلغت**﴾ والاسمية المقترنة بالواو لا تحتاج في الربط للضمير لكفاية الواو فلا حاجة إلى القول بأن العائد ما تضمنه حينئذ لأن التنوين عوض عن جملة أي فلولا ترجعونها زمان بلوغها الحلقوم حال نظركم إليه وما يقاسيه من هول النزع مع تعطفكم عليه وتوفركم على إنجائه من المهالك، وقوله سبحانه: ﴿**ونحن أقرب**﴾ الخ اعتراض يؤكد ما سيق له الكلام من توبيخهم على صدور ما يدل على سوء اعتقادهم بربهم سبحانه منهم، وفي جواز جعله حالاً مقال.

وقال أبو البقاء: ﴿**ترجعونها**﴾ جواب ﴿**لولا**﴾ الأولى، وأغنى ذلك عن جواب الثانية، وقيل: عكس ذلك.

وقيل: ﴿**إن كنتم**﴾ شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدماً في التقدير ـ أي إن كنتم صادقين إن كنتم غير مربوبين فارجعوا الأرواح إلى الأبدان ـ وما ذكرناه سابقاً اختيار جار الله وأياً مّا كان فقوله تعالى: ﴿**فأما إن كان من المقربين**﴾ إلى آخره شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة وضمير ﴿**كان**﴾ للمتوفى المفهوم مما مر أي فأما إن كان المتوفى الذي بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم ﴿**فروح**﴾ أي فله روح على أنه مبتدأ خبره محذوف مقدم عليه لأنه نكرة، وقيل: خبر مبتدأ محذوف أي فجزاؤه روح أي استراحة، والفاء واقعة في جواب أما، قال بعض الأجلة: تقدير هذا الكلام مهما يكن من شيء فروح الخ إن كان من المقربين فحذف مهما يكن من شيء، وأقيم أما مقامه ولم يحسن أن يلي الفاء أما، فأوقع الفصل بين أما والفاء بقوله سبحانه: ﴿**إن كان من المقربين**﴾ لتحسين اللفظ كما يقع الفصل بينهما بالظرف والمفعول، والفاء في ﴿**فروح**﴾ وأخويه جواب أما دون ﴿**إن**﴾، وقال أبو البقاء: جواب أما ﴿**فروح**﴾، وأما ﴿**إن**﴾ فاستغنى بجواب أما عن جوابها

لأنه يحذف كثيراً، وفي البحر أنه إذا اجتمع شرطان فالجواب للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف، فالجواب ها هنا لأما، وهذا مذهب سيبويه.

وذهب الفارسي إلى أن المذكور جواب ﴿إن﴾ وجواب أما محذوف، وله قول آخر موافق لمذهب سيبويه.

وذهب الأخفش إلى أن المذكور جواب لهما معاً، وقد أبطلنا المذهبين في شرح التسهيل انتهى، والمشهور أنه لا بد من لصوق الاسم ـ لأما ـ وهو عند الرضي وجماعة أكثري لهذه الآية، والذاهبون إلى الأول قالوا: هي بتقدير فأما المتوفى ﴿إن كان﴾ وتعقب بأنه لا يخفى أن التقدير مستغنى عنه ولا دليل عليه إلا اطراد الحكم، ثم إن كون ـ أما ـ قائمة مقام مهما يكن أغلبي إذ لا يطرد في نحو أما قريشاً فأنا أفضلها إذ التقدير مهما ذكرت قريشاً فأنا افضلها، وتمام الكلام في هذا المقام يطلب من كتب العربية.

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والنسائي والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وآخرون عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ «فَرُوحٌ» بضم الراء، وبه قرأ ابن عباس وقتادة ونوح القاري والضحاك والاشهب وشعيب وسليمان التيمي والربيع بن خيثم ومحمد بن علي وأبو عمران الجوني والكلبي وفياض وعبيد وعبد الوارث عن أبي عمرو ويعقوب بن حسان وزيد ورويس عنه والحسن وقال: «الروح» الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم، أو سبب لحياته الدائمة فإطلاقه عليها من باب الاستعارة أو المجاز المرسل، وروي هذا عن قتادة أيضاً. وقال ابن جني: معنى هذه القراءة يرجع إلى معنى الروح فكأنه قيل: فله ممسك روح وممسكها هو الروح كما تقول: الهواء هو الحياة وهذا السماع هو العيش، وفسر بعضهم الروح بالفتح بالرحمة أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ [يوسف: ٨٧] وقيل: هو بالضم البقاء ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ أي ورزق كما روي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، وفي رواية أخرى عن الضحاك أنه الاستراحة، وأخرج عبد بن حميد عن الحسن أنه قال: هو هذا الريحان أي المعروف.

وأخرج ابن جرير عنه أنه قال: تخرج روح المؤمن من جسده في ريحانة: ثم قرأ ﴿فأما إن كان﴾ الخ.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصنين من ريحان الجنة فيشمهما ثم يقبض ﴿وجَنات نعيم﴾ أي ذات تنعم فالإضافة لامية أو لأدنى ملابسة، وهذا إشارة إلى مكان المقربين بحيث يلزم منه أن يكونوا أصحاب نعيم.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن الربيع بن خيثم قال في قوله تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان﴾: هذا له عند الموت، وفي قوله تعالى: ﴿وجنة نعيم﴾ تخبأ له الجنة إلى يوم يبعث ولينظر ما المراد بالريحان على هذا، وعن بعض السلف ما يقتضي أن يكون الكل في الآخرة.

﴿وَأَمّا إن كَانَ مِنْ أصحاب آليَمين﴾ عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبىء عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الأخيرين، وقوله تعالى: ﴿فسلامٌ لك من أصْحاب آليمين﴾ قيل: هو على تقدير القول أي فيقال لذلك المتوفى منهم سلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك كقوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] فالخطاب لصاحب اليمين ولا التفات فيه مع تقدير القول، و ﴿من﴾ للابتداء كما تقول سلام من فلان على فلان وسلام لفلان منه.

وقال الطبري: معناه فسلام لك أنت من أصحاب اليمين، فمن أصحاب اليمين خبر مبتدأ محذوف والكلام

بتقدير القول أيضاً، وكأن هذا التفسير مأخوذ من كلام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

أخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أنه قال في ذلك: تأتيه الملائكة من قبل الله تعالى تسلم عليه وتخبره أنه من أصحاب اليمين، والظاهر أن هذا على هذا المعنى عند الموت، وأنه على المعنى السابق في الجنة.

وجوز أن يكون المعنى فسلامة لك عما يشغل القلب من جهتهم فإنهم في خير أي كن فارغ البال عنهم لا يهمك أمرهم، وهذا كما تقول لمن علق قلبه بولده الغائب وتشرش فكره لا يدري ما حاله كن فارغ البال من ولدك فإنه في راحة ودعة، والخطاب لمن يصلح له أو لسيد المخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم، وعليه قيل: يجوز أن يكون ذلك تسلية له عليه الصلاة والسلام على معنى أنهم غير محتاجين إلى شفاعة وغيرها، ولا يخفى أن كون جميع أصحاب اليمين غير محتاجين إلى ما ذكر غير مسلم فالشفاعة لأهل الكبائر أمر ثابت عند أهل السنة ولا جائز أن يكونوا من أصحاب الشمال فصرائح الآيات أنهم كفار «وما لهم من ولي ولا شفيع يطاع» وكونهم من أصحاب اليمين أقرب من كونهم من السابقين وجعلهم قسماً على حدة قد علمت حاله فتذكر فما في العهد من قدم.

وذكر بعض الأجلة أن هذه الجملة كلام يفيد عظمة حالهم كما يقال فلان ناهيك به وحسبك أنه فلان إشارة إلى أنه ممدوح فوق حد التفصيل، وكأني بك تختار ذلك فإنه حسن لطيف.

﴿وأما إن كان منَ ٱلمُكَذِّبينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى: ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون﴾ [الواقعة: ٥١] ذمّاً لهم بذلك وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب، ولما وقع هذا الكلام بعد تحقق تكذيبهم ورده على أتم وجه ولم يقع الكلام السابق كذلك قدم وصف التكذيب هنا على عكس ما تقدم، ويجوز أن يقال في ذلك على تقدير عموم متعلق التكذيب بحيث يشمل تكذيبه ﷺ في دعوى الرسالة إن هذا الكلام إخبار من جهته سبحانه بأحوال الأزواج الثلاثة لم يؤمر عليه الصلاة والسلام بأن يشافه بكل جمله منه من هي فيه فقدم فيه وصف التكذيب الشامل لتكذيبه عليه الصلاة والسلام المشعر بسبب الابتلاء بالعذاب كرامة له ﷺ وتنويهاً بعلو شأنه، ولما كان الكلام السابق داخلاً في حيز القول المأمور عليه الصلاة والسلام بأن يشافه به أولئك الكفرة لم يحسن التقديم للكرامة إذ يكون حينئذ من باب مادح نفسه يقرئك السلام، ويجوز أن يقال أيضاً إن الكلام في حال الكافر المحتضر والتكذيب لكونه مقابل التصديق لا يكون إلا بالقلب وهو لم يتعطل منه تعطل سائر أعضائه فلذا قدم هنا، ويرشد إلى هذا ما قالوه في دعاء صلاة الجنازة اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان من وجه تخصيص الإسلام بالإحياء والإيمان بالإماتة.

وقال الإمام في ذلك: إن المراد من الضلال هناك ما صدر عنهم من الإصرار على الحنث العظيم فضلوا عن سبيل الله تعالى ولم يصلوا إليه ثم كذبوا رسله، ﴿وقالوا أئذا متنا﴾ [المؤمنون: ٨٢] الخ فكذبوا بالحشر فقال تعالى: ﴿أيها الضالون﴾ الذين أشركتم المكذبون الذين أنكرتم الحشر لآكلون ما تكرهون، وأما هنا فقال سبحانه لهم: أيها المكذبون الذين كذبتم بالحشر الضالون من طريق الخلاص الذي لا يهتدون إلى النعيم، وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب هناك مع الكفار فقال سبحانه: أيها الذين أشركتم أولاً وكذبتم ثانياً، والخطاب هنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يبين له عليه الصلاة والسلام حال الأزواج الثلاثة كما يدل عليه. فسلام لك فقال سبحانه: المقربون في روح وريحان وجنة ونعيم وأصحاب اليمين في سلامة، وأما المكذبون الذين كذبوك وضلوا فقدم تكذيبهم إشارة إلى كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث بين أن أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم انتهى.

وعليك بالتأمل والإنصاف والنظر لما قال دون النظر لمن قال، وقوله تعالى: ﴿فَنُزُلٌ﴾ بتقدير فله نزل أو فجزاؤه

نزل كائن ﴿من حميم﴾ قيل: يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل ﴿وتصلية جحيم﴾ أي إدخال في النار، وقيل: إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وكل ذلك مبني على أن المراد بيان ما لهم يوم القيامة، وقيل: هذا محمول على ما يجده في القبر من حرارة النار ودخانها لأن الكلام في حال التوفي وعقب قبض الأرواح والأنسب بذلك كون ما ذكر في البرزخ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في الآية: لا يخرج الكافر حتى يشرب كأساً من حميم، وقرأ أحمد بن موسى والمنقري واللؤلؤي عن أبي عمرو «وتصلية» بالجر عطفاً على ﴿حميم﴾ ﴿إنَّ هٰذا﴾ أي الذي ذكر في السورة الكريمة كما أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱليَقِين﴾ اليقين على ما يفهم من كلام الزمخشري في الجاثية اسم للعلم الذي زال عنه اللبس وبذلك صرح صاحب المطلع وذكر أنه تفسير بحسب المعنى وهو مأخوذ من المقام وإلا فهو العلم المتيقن مطلقاً والإضافة بمعنى اللام والمعنى ـ لهو عين اليقين ـ فهو على نحو عين الشيء ونفسه ولا يخفى أن الإضافة من إضافة العام إلى الخاص وكونها بمعنى اللام قول لبعضهم، وقال بعض آخر: إنها بيانية على معنى من، وقدر بعضهم هنا موصوفاً أي لهو حق الخبر اليقين وكونه لا يناسب المقام غير متوجه، وفي البحر قيل: إن الإضافة من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى أنه نهاية في ذلك فهما بمعنى أضيف أحدهما إلى الآخر للمبالغة وفيه نظر، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلعَظِيم﴾ لترتيب التسبيح أو الأمر به، فإن حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب التسبيح عما لا يليق مما ينسبه الكفرة إليه سبحانه قالاً أو حالاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً وأخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه وغيرهم عن عقبة بن عامر الجهني قال: «لما نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال: اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: اجعلوها في سجودكم».

«ومما قاله السادة أرباب الاشارة» متعلقاً ببعض هذه السورة الكريمة أن «الواقعة» اسم لقيامة الروح كما أن «الآزفة» اسم لقيامة الخفي، و «الحاقة» اسم لقيامة السر، و «الساعة» اسم لقيامة القلب، وقالوا: إن الواقعة إذا وقعت ترفع صاحبها طوراً وتخفضه طوراً وتشعل نيران الغيرة وتفجر أنهار المعرفة وتحصل للسالك إذا اشتغل بالسلوك والتصفية ووصل ذكره إلى الروح وهي في البداية مثل ستر أسود يجيء من فوق الرأس عند غلبة الذكر وكلما زاد في النزول يقع على الذاكر هيبة وسكينة وربما يغمى عليه في البداية ويشاهد إذا وقع على عينيه عوالم الغيب فيرى ما شاء الله تعالى أن يرى وتكشف له العلوم الروحانية ويرى عجائب وغرائب لا تحصى، وإذا أفاق فليعرض ما حصل له لمسلكه ليرشده إلى ما فيه مصلحة وقته ويعبر له ما هو مناسب لحوصلته ويقوى قلبه ويأمره بالذكر والتوجه الكلي حتى يكمل بصفو سر الواقعة فيكون سراً منوراً فربما يصير السالك بحيث إذا فتح عينيه بعد نزولها في عالم الشهادة يشاهد ما كان مشاهداً له فيها وهي حالة سنية معتبرة عند أرباب السلوك ـ فليس لوقعتها كاذبة ـ بل هي صادقة لأن الشيطان يفر عندها والنفس لا تقدر أن تلبس على صاحبها وهي اليقظة الحقيقية وما يعده الناس يقظة هو النوم كما يشير إليه قول أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، ثم إنهم تكلموا على أكثر ما في السورة الجليلة بما يتعلق بالأنفس، وقالوا في مواقع النجوم: إنها إشارة إلى اللطائف المطهرة لأنها مواقع نجوم الواردات القدسية الخفية من السماء الجبروتية اللاهوتية، وقيل: في قوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ إن فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي لمن لم يكن طاهر النفس من حدث الميل إلى صغائر الشهوات ـ وهو الحدث الأصغر ـ ومن حدث الميل إلى كبائر الشهوات ـ وهو الحدث الأكبر ـ أن يمس بيد نفسه وفكره معاني القرآن الكريم كما لا ينبغي

لمن لم يكن طاهر البدن من الحدثين المعروفين في البدن أن يمس بيد بدنه وجسده ألفاظه المكتوبة، وقيل: أيضاً يجوز أن يقال المعنى لا يصل إلى أدبي حقائق أسرار القرآن الكريم إلا المطهرون من أرجاس الشهوات وأنجاس المخالفات.

وإذا كانت هذه الجملة صفة للكتاب المكنون المراد منه اللوح المحفوظ وأريد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام، وكان المعنى لا يطلع عليه إلا الملائكة عليهم السلام كان في ذلك ردّ على من يزعم أن الأولياء يرون اللوح المحفوظ ويطلعون على ما فيه، وحمل المطهرين على ما يعم الملائكة والأولياء الذين طهرت نفوسهم وقدست ذواتهم حتى التحقوا بالملائكة عليهم السلام لا ينفع في البحث مع أهل الشرع فإن مدار استدلالاتهم على الأحكام الشرعية الظواهر على أنه لم يسمع عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو هو أنه نظر يوماً وهو بين أصحابه إلى اللوح المحفوظ واطلع على شيء مما فيه. وقال لهم: إني رأيت اللوح المحفوظ واطلعت على كذا وكذا فيه، وكذلك لم يسمع عن أجلة أصحابه الخلفاء الراشدين أنه وقع لهم ذلك، وقد وقعت بينهم مسائل اختلفوا فيها وطال نزاعهم في تحقيقها إلى أن كاد يغم هلال الحق فيها ولم يراجع أحد منهم لكشفها اللوح المحفوظ.

وذكر بعض العلماء أن سدرة المنتهى ينتهي علم من تحتها إليها وأن اللوح فوقها بكثير، وبكل من ذلك نطقت الآثار، وهو يشعر بعدم اطلاع الأولياء على اللوح، ومع هذا كله من ادعى وقوع الاطلاع فعليه البيان وأنى به، وهذا الذي سمعت مبني على ما نطقت به الأخبار في صفة اللوح المحفوظ وأنه جسم كتب فيه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأما إذا قيل فيه غير ذلك انجر البحث إلى وراء ما سمعت، واتسعت الدائرة.

ومن ذلك قولهم: إن الألواح أربعة، لوح القضاء السابق على المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول، ولوح القدر أي لوح النفس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول وهو المسمى باللوح المحفوظ، ولوح النفس الجزئية السماوية التي ينتقش فيها كل ما في هذا العالم شكله وهيئته ومقداره ـ وهو المسمى بالسماء الدنيا ـ وهو بمثابة خيال العالم كما أن الأول بمثابة روحه والثاني بمثابة قلبه ولوح الهيولي القابل للصورة في عالم الشهادة ويقولون أيضاً ما يقولون وينشد المنتصر له قوله:

وإذا لــم تــر الــهــلال فــســلــم ... لأنـــاس رأوه بـــالأبـــصـــار

هذا ولا تظنن أن نفي رؤيتهم للوح المحفوظ نفي لكراماتهم الكشفية وإلهاماتهم الغيبية معاذ الله تعالى من ذلك، وطرق إطلاع الله تعالى من شاء من أوليائه على من شاء من علمه غير منحصر بإراءته اللوح المحفوظ ثم إن الإمكان مما لا نزاع فيه وليس الكلام إلا في الوقوع، وورود ذلك عن النبي ﷺ وأجلة أصحابه كالصديق والفاروق وذي النورين وباب مدينة العلم والنقطة التي تحت الباء رضي الله تعالى عنهم أجمعين، والله تعالى أعلم.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾ ما بنوه على القول بوحدة الوجود والكلام فيها شائع ـ وقد أشرنا إليه في هذا الكتاب غير مرة ـ ولهم في اليقين وعين اليقين وحق اليقين عبارات شتى، منها اليقين رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان وقيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار، وقيل: طمأنينة القلب على حقيقة الشيء من يقن الماء في الحوض إذا

استقر، وحق اليقين فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط فعلم كل عاقل الموت علم اليقين فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين، وإذا ذاق الموت فهو حق اليقين، وقيل: علم اليقين ظاهر الشريعة، وعين اليقين الاخلاص فيها، وحق اليقين المشاهدة فيها، «وقيل:، وقيل:» ونحن نسأل الله تعالى الهداية إلى أقوم سبيل، وأن يشرح صدورنا بأنوار علوم كتابه الكريم الجليل وهو سبحانه حسبنا في الدارين ونعم الوكيل.